حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

فصلية علمية محكمة ـ مجلس النشر العلمي ـ جامعة الكويت

جَدَلِيَّةُ السَّرْدِ وَالحِوَارِ
قِراءةٌ فِي خَمْرِيتيْنِ لِأَبِي نُواس

Dialectic of Narrative and Dialogue
(Reading in Two Wine Poems by Abu Nowas)

د. كَمَال مُحمَّد السَّيد مُحَمَّد عَبْدِ البَر
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة
جمهورية مصر العربية

جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

مجلس
النشر العلمي

ISSN: 1560 - 5248

الرسالة 633 - الحولية 44

1445 هـ / ديسمبر 2023 م

• ثمن العدد

الكويت: 500 فلس، البحرين: دينار واحد، قطر: 10 ريالات، الإمارات 10 دراهم، السعودية: 10 ريالات، عمان : ريال واحد.

ثمن النسخة في دول الوطن العربي ما يعادل دولاراً واحداً.

ثمن النسخة في الدول الأجنبية ما يعادل ثلاثة دولارات.

• الاشتراك السنوي (أفراد):

سنة واحدة: الكويت 4 دينار كويتي، الدول العربية: 6 دينار كويتي، الدول الأجنبية 22 دولار.

سنتان: الكويت 7 دينار كويتي، الدول العربية: 10 دينار كويتي، الدول الأجنبية 37 دولار.

ثلاث سنوات: الكويت: 10 دينار كويتي، الدول العربية: 14 دينار كويتي، الدول الأجنبية 52 دولار.

أربع سنوات: الكويت: 13 دينار كويتي، الدول العربية: 18 دينار كويتي، الدول الأجنبية 67 دولار.

• الاشتراك السنوي (مؤسسات):

سنة واحدة: الكويت 22 دينار كويتي، الدول العربية: 22 دينار كويتي، الدول الأجنبية 90 دولار.

سنتان: الكويت 37 دينار كويتي، الدول العربية: 37 دينار كويتي، الدول الأجنبية 150 دولار.

ثلاث سنوات: الكويت: 53 دينار كويتي، الدول العربية: 53 دينار كويتي، الدول الأجنبية 210 دولار.

أربع سنوات: الكويت: 67 دينار كويتي، الدول العربية: 67 دينار كويتي، الدول الأجنبية 270 دولار.

جميع المراسلات الخاصة بشروط النشر أو أية استفسارات أخرى

توجه إلى رئيس تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: 17370 الخالدية – الكويت: 72454 – تلفون: 24830256 – فاكس 24830256

ISSN 1560 - 5248 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab

E-mail: aass@Ku.edu.Kw

http://apc.kuniv.edu.kw/AASS/

تتوفر نصوص البحوث كاملة لدى:

EBSCO Publishing Products

دار المنظومة: www.mandumah.com

UIrich's Periodicals Directory 263117

إصدارات مجلس النشر العلمي

مجلة العلوم الاجتماعية 1973، مجلة الكويت للعلوم والهندسة 1973، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية 1975، لجنة التأليف والتعريب والنشر 1976، مجلة الحقوق، 1977، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية 1980، المجلة العربية للعلوم الإنسانية 1981، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية 1983، المجلة التربوية 1983،المجلة العربية للعلوم الإدارية 1991.

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

مجلس النشر العلمي ـ جامعة الكويت

فصلية علمية محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل
تعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في تخصصات
العلوم الإنسانية والاجتماعية والآداب

الحولية الرابعة والأربعون
الرسالة الثالثة والثلاثون بعد المئة السادسة
1445 هـ / 2023م

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية – جامعة الكويت

هيئـة التحريـر

- أ.د. **تغريد محمد القدسي**
رئيسة هيئة التحرير
قسم دراسات المعلومات – جامعة الكويت

- أ.د. **باقر سليمان النجار**
جامعة البحرين – البحرين
أستاذ زائر بقسم الاجتماع – جامعة الكويت

- أ.د. **نعمان محمود أحمد جبران**
جامعة إربد – الأردن
أستاذ زائر بقسم التاريخ – جامعة الكويت

- أ.د. **عدنان يوسف العتوم**
قسم علم النفس – جامعة اليرموك – الأردن

- أ.د. **مشاعل الحملي**
قسم اللغة الإنجليزية وآدابها – جامعة الكويت

- د. **عبد اللّه محمد الجسمي**
قسم الفلسفة – جامعة الكويت

- د. **إبراهيم ناجي الهدبان**
قسم العلوم السياسية – جامعة الكويت

- د. **أحمد مبارك الحصم**
قسم الجغرافيا – جامعة الكويت

- د. **أسعد هاشم الصالح**
قسم اللغة العربية – جامعة انديانا
الولايات المتحدة الأمريكية

- **مـها إبراهيـم المسعـد**
مديرة التحرير

الهيئـة الاستشارية

- **أ.د. باسـل حاتـم**
الجامعة الأمريكية - الشارقة
الإمارات العربية المتحدة

- **أ.د. إبراهيـم السعافين**
قسم اللغة العربية - الجامعة الأردنية

- **أ.د. حمدي حسن أبو العينين**
كلية الإعلام - جامعة مصر الدولية

- **أ.د. سـاري حنفـي**
رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتمـاع
الجامعة الأمريكية - بـيروت

- **أ.د. منـى بيكـر**
جامعة مانشستر - المملكة المتحدة

- **أ.د. عبدالقادر الفاسي الفهري**
قسم اللغة العربية - جامعة محمد الخامس

- **أ.د. عبد الله الوليعي**
قسم الجغرافيا - جامعة الملك سعود

- **أ.د. مـأمـون فنـدي**
مدير معهد لندن للدراسات الإستراتيجية
المملكة المتحدة

قواعد النشر في حَوْليّات الآداب والعلوم الاجتماعيَّة

- حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية: فصلية تنشرُ البحوثَ والدِّراساتِ الأصيلةَ باللّغتَيْن العربيَّةِ والإنجليزيَّة في مجال العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة ويتوفر فيها ما يأتي:
- أنْ تُمثِّلَ الدِّراسةُ إضافةً جديدةً في حقل التّخصّص.
- لم يسبق نشر الدراسة بأي صورة كانت، ولم يسبق أيضًا تقديمها للنشر إلى جهة أخرى أثناء ورودها إلى الحوليات. ويلتزم الباحث بكتابة إقرار وتعهد بأن البحث المقدم لم يسبق نشره في أي وعاء نشر، أو أرسل إلى جهة أخرى.
- ألا يقل عدد كلمات الدراسة عن (15000) كلمة، شاملة المراجع والهوامش والجداول (بحدود 50 صفحة) وألا يزيد عدد الكلمات عن (60000) كلمة في حدود 200 صفحة.
- يطبع البحث بواسطة معالج النصوص Microsoft Word وعلى مسافة ونصف، وبنط Simplified Arabic 14 للبحوث باللغة العربية، وعلى مسافتين، وبنط Times New Roman 12 في حالة البحوث باللغة الإنجليزية. على أن يكون عنوان البحث معبراً عن الدراسة وبحدود 15 كلمة.
- يرفق الباحث ملخصاً للبحث، مطبوعًا باللغتين العربية والإنجليزية، في حدود (250) كلمة. على أن يحوي ملخص البحث: هدف الدراسة وأسئلتها، منهج الدراسة المستخدم، أبرز النتائج المستخلصة وأهم الإستنتاجات، إضافة إلى الكلمات الدالة (المفتاحية).
- يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة، مطبوعة باللغتين العربية والإنجليزية، تشمل أهمّ مؤلفاته وأبحاثه.
- تقدم الخرائط والأشكال والرسوم (إن وجدت) بأصولها الصالحة للطباعة بصيغة JPG، وبمستوى دقة 600 × 800.
- في حالة رغب الباحث بنشر الصور أو الخرائط أو الأشكال البيانية الملونة يلتزم بدفع تكاليفها.
- يراعي الباحث عند كتابة البحث الالتزام بالنسخة الأخيرة (السابعة) من نظام جمعية علم النفس الأمريكية American Psychological Association (APA7) من حيث كتابة المراجع والهوامش في متن البحث، إضافة لقائمة المراجع. على الوجه الموضح أدناه.
- كتابة المرجع في المتن: اسم العائلة للمؤلف متبوعًا بفاصلة، ثم سنة النشر. (يرجى الرجوع إلى دليل التوثيق وفقًا لنظام (APA7).

مثال (Courtois, 2001)

- قائمة المراجع: يرجى الرجوع إلى دليل التوثيق وفقًا لنظام (APA7) للتفاصيل.

Jones, J. (2005). Writing with style. Style Writing Journal, 12 (6),1433

ويمكن زيارة موقع APA لمعرفة القواعد الخاصة بنظام (APA7) على:

http://www.apastyle.org

- يجب أن تشتمل جميع البحوث على قائمة المراجع كاملة في نهاية البحث، على أن يكون بنط الكتابة بالنص الروماني (Times Roman Script).
- لمعرفة قواعد النشر وأخلاقياته الرجاء مراجعة موقع الحوليات الإلكتروني:

http://apc.kuniv.edu.kw/

شروط قبول البحوث في الحوليات:

- يجب أن يقدم البحث عن طريق نظام الـ OJS وليس البريد الإلكتروني؛ ليتسنى للحوليات البدء بالتقييم. - تقبل الحوليات البحوث التي تقدم إلكترونياً فقط من خلال الموقع:

http:// journals.KU.edu.KW/aass

- لا تقبل مجلة الحوليات البحوث التي سبق نشرها بأي شكل أو وسيط.
- لا تقبل مجلة الحوليات نشر أبحاث الماجستير أو الدكتوراه أو أي مستلات منها.
- لا ترد ولا تسترجع أصول البحوث المقدمة للنشر، سواء نشرت أم لم تنشر.
- لا يجوز نشر البحوث مع جهات أخرى إلا بعد موافقة الحوليات على ذلك وإذا ثبت نشرها فستتخذ إدارة الحوليات الإجراءات القانونية المتبعة بهذا الشأن.
- يمكن للباحث نشر بحثه مع جهات أخرى، بعد الحصول على إذن كتابي سابق من رئيس التحرير، وبعد انقضاء ثلاث سنوات على نشره في الحوليات.
- يعرض البحث الذي تتوافر فيه القواعد المذكورة سابقًا وبعد موافقة هيئة التحرير، على محكمين إثنين لتقرير مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة، ويكون التحكيم ثنائي الحجب (Double Blind Review).
- تمنح المجلة للباحث ثلاثين نسخة مجانية مطبوعة من بحثه المنشور.
- ترسل جميع المراسلات الخاصة بالحوليات ما عدا البحوث، إلى رئيس التحرير عن طريق البريد الإلكتروني للمجلة.

رئيس تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب : 17370 الخالدية

رمز بريدي : 72454 - الكويت

ISSN 1560 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab

http://apc.kuniv.edu.kw/AASS

E-mail: aass@ku.edu.kw

الاصدار الثاني – الحولية الرابعة والأربعون – ديسمبر 2023م

يصدر هذا العدد مع نهاية عام 2023 ونحن نشرف على بداية العام الجديد نتمنى أن يكون عام خير ورفاه، عام عدل وسلام على الجميع. أما نحن في الحوليات؛ فلا نزال نصارع الوقت لنشر إصداراتنا في وقتها، ولعلنا في ذلك نعدّ مثالاً حيّاً لما تعانيه صناعة النشر في الوطن العربي، ناهيك عنها في الكويت.

الرسالة 633 هي الأولى في هذه الحولية وجاءت تحت عنوان *جدلية السرد والحوار: قراءة في خمريتين لأبي نواس*، وأعدّها الدكتور كمال محمَّد السَّيد محمَّد عبد البَر من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة. وهي دراسة مقارنة بين نصّبن لقصيدتين لأبي نواس، يختمها الباحث بدعوة الباحثين الحاليين أن لا يهملوا النصوص التراثية العربية، وأن يعطوها من جهدهم وطاقتهم، ويشبعوها بحثاً ودراسة.

الرسالة 634 هي الثانية في هذه الحولية وجاءت تحت عنوان *المكان وتشكلات العنف في رواية بثينة العيسى (خرائط التيه)* للدكتورة دلال بنت بندر المالكي من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية. وفيها تقرّب الباحثة الأشكال العديدة للعنف أمام القارئ، كما وردت في الرواية المذكورة، وتحاول الإجابة عن سؤال مفاده: كيف يعكس المكان نوع العنف؟

الرسالة الثالثة في هذه الحولية هي الرسالة 635 وأدرجت تحت عنوان *المسيحية من دعوة محلية إلى ديانة عالمية: دراسة اجتماعية فلسفية في أسباب الانتشار وآليات التنصير في العالم الإسلامي* للدكتورة وسيلة يعيش خزار من جامعة الشارقة والدكتورة نعيمة إدريس بنت مبروك من الجزائر. تبحث هذه الرسالة في تحوّل الديانة المسيحية من دعوة محلِّيّة مبنيّة على التسامح والمحبّة إلى دعوة عالمية تمتلك صفات المنافسة، على يد المبشّرين، كما تبحث في تخوُّفِ المتعصبين المسيحيين من الإسلام المتسارع في الانتشار؛ إذ رأوه منافساً لهم؛ ومن ثم عمدوا إلى مواجهته بوسائل غير مشروعة، من الواجب التصدّي لها؛ كالاستشراق.

الرسالة الرابعة هي الرسالة 636 وعنوانها *المفارقة في النص*، للدكتور صبري الحيقي من وزارة الثقافة باليمن. تبحث الدراسة في طبيعة مصطلح المفارقة ووظيفته، ويفسر فيها الباحث الخلط بين المفارقة والتهكم، ثم يعرّج على الاستخدامات العديدة للمفارقة، ويوضح بإسهاب الفرق بين المفارقة في النص الأدبي والمفارقة في الحياة اليومية.

أما الرسالة الخامسة 637 فهي بعنوان *أسلوب التعجب في العربية: دراسة وصفية إحصائية*، للدكتورة حليمة أحمد عمايرة من قسم اللغة العربية في جامعة البلقاء التطبيقية بالأردن. وتعرض لأسلوب التعجب في اللغة العربية، إحصائياً، في عدد من النصوص، وتعرّج على استخداماته في القرآن الكريم وعيّنة من النصوص الأدبية؛ لتخلص إلى ما طرأ على استخدامات هذا الأسلوب من تغيير.

الرسالة السادسة 638 بعنوان *أسواق العسكر ومنظومتها التجارية عبر عصور الحضارة الإسلامية: دراسة تاريخية منذ القرن الأول حتى نهاية القرن التاسع الهجري 1:9 هـ/7:15م*، للدكتور عطية فتحي الويشي من قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية القانون الكويتية العالمية. وفيها يتناول أسواق العسكر في الدول الإسلامية العديدة وأهميتها، ودواعي تأسيسها بدءاً بالقرن الأول وانتهاء بالقرن التاسع الهجري، وعرّج على الأثار الاجتماعية لأسواق العسكر، التي كانت جزءاً لا يتجزأ من النظم الاقتصادية للدول.

والرسالة الأخيرة في هذا الإصدار هي الرسالة 639 وجاءت تحت عنوان *تأويل الشطح في قول الحلاج: «أنا الحق»*. وهي تبحث في موضوع الشطح واستخداماته، وبخاصة في الفكر الصوفي، وهو موضوع قد يقود إلى تأويلات لا تحمد عقباها، كما تتناول نظرة الفلاسفة المسلمين؛ مثل الرازي، وابن خلدون، والغزالي، إلى الفكر التصوّفي وإمكانيات تأويله التي قد تقود إلى التنكيل بالتعبير وبالشخص.

أتمنى لجميع القراء الأعزاء قراءة ممتعة، عبر التنقل بين هذه الموضوعات المتنوعة التي نحرص على توافر التباين بينها؛ لتكون محوراً لمناقشات ثرية، وحوارات مثمرة، بين أهل الاختصاص على وجه الخصوص، والقراء على وجه العموم.

أ.د. تغريد القدسي - غبرا
رئيسة التحرير

Doi 10.34120/0757-044-633-001

الرسالة (633)
قدمت في : 2021/1/25
أجيزت في: 2021/5/6
● **للاستشهاد:**
عبدالبر، كمال محمد السيد محمد. (2023). جدلية السرد والحوار قراءة في خمريتين لأبي نواس. *حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية* (44)633.

جَـدَليَّـةُ السَّـردِ وَالحِـوَارِ
قِـراءةٌ فِـي خَـمْريتيْنِ لِأَبِـي نُواس

Dialectic of Narrative and Dialogue
(Reading in Two Wine Poems by Abu Nowas)

د. كَمَال مُحمَّد السَّيد مُحَمَّد عَبْدِ البَر
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة
جمهورية مصر العربية

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ـ الحولية الرابعة والأربعون 1445هـ/2023م

المؤلف:

د. كمال محمد السيد محمد عبد البر

- دكتوراه في الدراسات الأدبية.
- مدرس بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة.
- التخصص: الأدب الحديث – نقد النقد.

الإنتاج العلمي:

أولًا – الأطروحات:

1- «**شعر نجيب الكيلاني: الرؤية والإجراء**». أطروحة (ماجستير)، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 2009.

2- «**اتجاهات المعاصرين في مقاربة النص الشعري الحديث في مصر خلال النصف الثاني من القرن العشرين**». أطروحة (دكتوراه)، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 2015.

ثانيًا – الكتب:

1- «**مقاربات النقاد للنص الشعري الحديث في مصر خلال النصف الثاني من القرن العشرين**»، دار النشر NOOR PUBLISHING، 2017م.

2- «**في الأدب العباسي – مدخل تاريخي**»، كتاب تعليمي لطلاب دار العلوم.

3- «**أندلسيات: قراءة في نصوص شعرية ونثرية**»، كتاب تعليمي لطلاب دار العلوم.

ثالثًا – الأبحاث:

1- «**الإيقاع في شعر السياب للدكتور سيد البحراوي: مساءلة نقدية**». مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، إصدار خاص 2015م.

2- «**الرمز والصورة في نقد د. أحمد درويش: استدراك على قراءتين**». مجلة كلية دار العلوم، إصدار خاص 2015م.

3- «**الخطاب النقدي ومفهوم التجريب: إيقاع نص السبعينيات نموذجًا**». مجلة الأندلس، إصدار خاص إبريل 2017م.

فهرس المحتـوى

الملخص 13

مِـهَـادٌ: الخمريَّـاتُ نَـصٌّ أَخْطَـأَ مَدْخَلَـهُ، وَلَـيْسَتْ بِـدْعًا 15

أولاً : الْـخَـمريَّـةُ الأُولَى 33

ثَـانِـيًا : الخمْـرِيَّـةُ الثانِيَـةُ 73

الخاتمة 84

الهوامش 91

ثَـبَتٌ بِـأَهَـمِّ مَـرَاجِـعِ الـدِّرَاسَـةِ 107

الملخّص

هدف الدراسة: فـي هَذه الدرَاسَـة مُـوازنَـةٌ نَـصيَّـةٌ بينَ قَصيدتَين لِلشَّاعِر العبَّاسِيّ أَبـي نُـوَاس، وَقَـدْ أَرَدْتُ بِـهَذِه الدرَاسَـة أَنْ أُثبِتَ كَفَاءَةَ المدخَلِ اللغَويِّ فـي قِـرَاءَة النصِّ الأَدَبـيِّ، وَتَـجلية أَدبيَّـتِـه. **المنهج**: وَقَـدْ تَـكونَتْ هَذِه الدرَاسَةُ مِنْ تَـمهيدٍ وَمَبحثَيْـن وَخَاتِـمَة؛ فَأَمَّـا **التمْهيدُ** فكانَ مُراجعَةً لِبعضِ المداخِلِ الأُخْرَى التِي اهتَمَّتْ بِـفَنِّ الخمْـرِيَّـاتِ عَامَّـةً فِـي الشعْرِ العَرَبِـيِّ، مثلَ: (المدخَلِ التاريخيِّ، والنفسيِّ، والبنيَـوَيِّ)، وَقَـدْ أَبَـنْتُ بَـعضَ مَا وقعَتْ فيه تِلْكَ المداخِلُ مِنْ مَـآخِذ. وَأَمَّـا **المبحَثُ الأَوَّلُ** فَـقَـدْ خَلصَ لِقِـرَاءَة القَصيدَة الأُولَـى مِنْ خِلَالِ تِـقنيَـة السَّـرْدِ المهيمنَـة عَلَى بِنَاءِ تِلكَ القَصيدَة، وَقَـدْ جَلِيَّتُ – مَـا استَطَـعْتُ – دَوْرَ المستويَـاتِ اللغويَّـة (الـمُعجمية، والصـرْفيَّـة، وَالتـركيبيَّـة، والتصْويـريَّـة) فِـي بِـنَاءِ سَـرديَّـة ذَلِـكَ النصِّ، وَتَـحقيقِ أَدَبيَّـتِـه. وَفِـي **المبحَثِ الـثَّانِـي** اتبَعْتُ المنهَجَ ذَاتَـهُ لِتبيَانِ مَا بينَ القَصيدَتَين مِنْ مُشابَـهَاتٍ وَمُفَارَقَاتٍ وَلَّـدَهَا اختِلَافُ الغَايَـة مِنَ النصَّيْـن، وَكَان ذَلِكَ الاختِلَافُ أَهَمَّ مُـفارقَـة بينَ القَصيدَتَين، ثُـمَّ تَـبِعَـتْـهُ مُـفَارَقَـاتٌ أُخْرَى؛ حَيثُ تَـداخَلَ السَّـرْدُ وَالحِـوَارُ فِـي بِـنَاءِ القَصيدَة الثانيَـة، مَعَ تَـغليبِ الحِوَارِ، وَقَـدْ أَشَـرْتُ مُـوجِـزًا إِلَـى دَوْرِ المستَوَيَاتِ اللُّـغويَّـة كَذلِكَ فِـي بِـنَاءِ ذَلِكَ النصِّ الحِوَارِيِّ السَّـرْدِيِّ. **النتائج**: ثُـمَّ كَانَتِ الخاتِـمَـةُ دَعوَةً لِلدارِسينَ كَـيْ يَلتفِتُـوا إِلَى نُـصوصِ تُـراثِـهِم العَـرَبِـيِّ، وَيَـخُصُّـوهَـا بِـنَصِيبٍ مِنْ جُهدِهِم وَبَـحثِهِم، فَـمَا زَالَـتْ تِلكَ النصُوصُ تَـنتَظِرُ مَـزِيدًا مِنَ القِـرَاءَاتِ الـرَّأْسِيَّـة، وَلعَلِّـي قَـدْ أَغْـرَيتُهُم حِينَما أَشَـرْتُ إِلَـى قَصيدَةٍ ثَـالِـثَـةٍ لأَبِـي نُـواس، اختلَفَتْ غَايتُـهَا، فَاختلفَتْ وَسَائِـلُ تَشكيلِـهَا.

الكلمات الدالة (المفتاحية): (الشعر العباسي، أبو نواس، الخمريات، السرد، الحوار).

مهـــا دٌ

الخمريَّاتُ نَصٌّ أَخْطَأَ مَدْخَلَهُ، وَلَيْسَتْ بِدْعًا

أَوَّلًا - الْمَدْخَلُ التَّارِيخِيُّ:

يَشْغَلُ فَنُّ الْخَمريَّات مِنْ تُراثِنَا الشعريِّ حَيزًا وَاسِعًا مُمتَدًّا، وَمَا زَالَ ذَلِكَ الْفَنُّ يَتطَوَّرُ مُخْتَلِطًا بِغيرِهِ مِنْ فُنونِ الشعرِ العرَبِيِّ، حَتَّى اسْتَقَلّ وَصَارَتِ الْخَمْرُ غَايَةً وَمَقْصِدًا تُكتَبُ القَصيدَةُ - طَالَتْ أَوْ قَصرَتْ - فِي الْخمرِ وَمَا حَفَّ بِهَا أَوِ اتَّصَلَ بِمَجالِسِهَا، لَا تَشْرَكُهَا غَايَةٌ أُخْرَى أَوْ فَنٌّ آخَرُ.

وَرُبَّما كَانَ المدخَلُ التاريخيُّ أهمَّ المداخِلِ التي عُنِيَتْ بِدراسَةِ ذَلكَ التطورِ في فَنِّ الخمرياتِ وغَيرِهِ مِنْ فُنونِ تُرَاثِنَا الشعريِّ؛ حَيثُ تَتَبَّعَ مُؤرِخُو الأَدبِ نَشْأَةَ فَنِّ الخمريَّاتِ في الْجَاهِليَّةِ، وانْحِسَارَهُ أَوْ ضَعفَهُ كَمًّا وَكَيفًا في عَصرِ صَدرِ الإسلامِ، ثُمَّ تَجَدُّدَهُ في العَصْرِ الأُمويِّ عَلَى يَدِ الأخطَلِ وَالوليدِ بنِ يَزيدَ، وَسِوَاهُما، وَاتِّساعَهُ في العَصرِ العبَّاسيِّ، وَقَدْ يَلْتفِتُونَ أثناءَ تَأْريخِهم إِلَى تَفرُّدِ بعضِ الشعراءِ بِخصائِصَ مَائِزَةٍ، مِثْلَما أشارَ د. **شَوقي ضيف** إِلَى تَفرُّدِ خمرياتِ الوَليدِ بنِ يَزيدَ الأُمويِّ بِشَفَّافيةِ التعبيرِ فَقَالَ: «وَيَكادُ الإنسانُ يُؤمِنُ بأَنَّ العربَ لَمْ يُوجَدْ عِنْدَهم قَبْلَ الوَليدِ مَنْ عَشقَ الْخمرَ عِشْقَهُ. وَهُناك - حَقًّا - وَصْفٌ كَثيرٌ لِلخَمرِ في الشعرِ الجَاهليِّ وَفِي الشعرِ الأُمويِّ، ولكنَّ الإنسَانَ لَا يَجِدُ في الوصفِ القَديمِ وَلَا في الوَصفِ المعاصرِ للوليدِ مَا تَجدهُ عِندَهُ مِنْ شَفَّافيةِ التَّعبيرِ، وَهِي شَفَّافيةٌ جَاءتهُ مِنْ أَنَّهُ عَشقَ الخمرَ، أَوْ قُلْ عَبدَهَا، وَاتَّخَذَهَا مَذْهبًا في حياتِه. وَلَعلَّ هَذَا هوَ أَهمُّ فَارقٍ بينَه وَبينَ الشعرَاءِ القدَمَاءِ، فَقدْ يَنظمونَ القَصيدةَ فيها خَمرٌ وَغَيرُ خَمرٍ، وَكَذلكَ كَانَ يَصنَعُ الأَخْطَلُ. أَمَّا عِندَ الوليدِ، فَالقطعَةُ تُؤَلَّفُ لِلخَمْرِ فَحَسْبُ، فَهِيَ لَيستْ وَسِيلةً لِشَيءٍ بَعدَهَا، وَإِنَّما هِيَ وَسيلةٌ لِنفسِهَا أو هِيَ وَسِيلَةٌ وَغَايةٌ في الوَقْتِ نَفسِهِ»[1].

وَقَريبٌ مِنْ ذَلِكَ مَا فَعلهُ د. **حُسينُ عَطْوان** حِينَ نَظَرَ فَرَأَى الشَّاعِرَين: بَشَّارَ ابْنَ بُرد وَأَبَا نُوَاس يُحَاكِيَانِ الأَعْشَى في خَمْرِيَّاتِهِ أَوْ يَأْخُذَانِ مَعنًى مِنْ مَعَانيه، فيُخفقُ بَشارٌ في مُحاكَاتِه، وَيُجَوِّدهُ أَبُو نُوَاس وَيُثريه، يَقولُ د. **حُسينُ عَطوَان**: «وَظَلَّ بَشارُ بنُ بُرد البصريُّ يَصف الخمرَ وَصْفًا تَقليديًّا مُعتَمدًا فيه عَلى الأصول الجَاهلية، وَوَضَعَها أَمَامَهُ وَأَخَذَ يَصْطَفِي مِنْ مَعَانيها وَصُورِهَا، مُسَخِّرًا ذَكَاءَهُ وَفِطْنَتَهُ في الاصطفاء مِنْها وَإِعَادة البناء والتركيب لِمَا اختارَهُ دُونَ أَنْ يَزيدَ عَلَيه مَعنًى نَادرًا، أَوْ تَشْبيهًا مُبتَكرًا ... وَهوَ إِذَا أُصيبَ نَديمهُ بِالدُّوَارِ عَالَجَهُ بِالزيَادة مِنَ الْخَمْرِ وَالسُّكْرِ مُستَمِدًّا هَذَا المعنَى مِنْ بَيتِ الأَعشَى المشهور:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

وَمُحَاكِيًا إِيَّاهُ مُحاكَاةً رَديئَةً، فَإِنَّهُ لَمْ يَعْجِزْ عَنِ التوليدِ مِنْهُ، وَمَدِّهِ وَتَعميقِه، وَصِيَاغته صِيَاغَةً سَهْلةً أَنيقَةً، بَلْ عَرَضَهُ عَرْضًا غَامِضًا، وَبَناهُ بِناءً مُعْوَجًّا، ذَهَبَ بِبَسَاطَتِهِ وروعته وَطَلاوَتِهِ، في حِينَ أَثْرَاهُ أَبُو نُوَاس حِينَ أَلَمَّ بِهِ وَجَوَّدَ فيه، إِذْ قَالَ:

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ وَدَاوِنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ»[2]

عَلَى أَنَّ التفَاتَ أُولئكَ الدَّارِسينَ إِلَى إِخْفَاقِ شَاعِرٍ وَإِجَادَةِ آخَرَ أَوْ تَفرُّدِه لَمْ يَعْصِمْ دِرَاسَاتِهِم مِنْ أُفُقِيَّةِ الْمُقَارَبَةِ؛ إِذْ تُلِمُّ بِالظوَاهِرِ الأَدبيةِ سَرِيعًا وَلَا تَتَلَبَّثُ أَمَامَهَا، نَاهِيكَ بِعُمومية أحكامِهِم وَتَنَاقُضِهَا، فَبَينَما يَرَى د. **شَوقِي ضيف** الوَلِيدَ ابنَ يَزيدَ رَائِدَ فَنِّ الخمريَّاتِ وَمُؤَسِّسَهَا وَأُستاذَ **أَبِي نُوَاس** فيهَا[3]، يَرَى د. **حُسَيْنُ عَطْوَان** أَنَّ الشاعِرَ **أَبَا الْهِنديِّ** (وَهوَ مِنْ مُخضرَمِي الدَّولتين: الأُموية والعبَّاسية) هُوَ أُستاذُ فَنِّ الخمريَّات، وَأُستاذُ أَبِي نُوَاس فِيهَا، وَيُخالِفُهمَا الأستاذُ **إِيليَا حَاوِي** فَيجعَلُ أَبَا نُوَاس رَائِدَ فَنِّ الْخَمْرِيَّاتِ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ[4].

وَمَهْمَا يَكُنْ أَمرُ الخِلافِ بَينَ الدَّارسِينَ حولَ رِيَادةِ فَنِّ الخمريّاتِ في شِعْرِنَا العَربيِّ، فَإِنَّ دِرَاسَةَ الأستَاذِ **إيليَا حَاوِي** (فَنَّ الشعرِ الْخَمْرِيِّ) تُعَدُّ استِثْناءً بينَ الدرَاسَاتِ التَّأْرِيخيَّةِ التي تَنَاولَتْ ذَلكَ الفنَّ؛ ذَلكَ أَنَّهَا وَازَنَتْ بَينَ رَصْدِ التطوُّرِ التاريخيِّ لِشِعْرِ الخمريَّاتِ وَقِرَاءَةِ قِيَمِ التشكِيلِ الفَنِّي وَالْجَمالِيِّ[5]، فَلَمْ يَطْغَ جَانبٌ مِنْهَا عَلَى الآخَرِ، وَرُبَّمَا يَعُودُ ذَلكَ إِلَى أَنَّ دِرَاسَةَ الأستاذِ إيليَا حَاوِي كانتْ خَالصةً لِفَنِّ الشعرِ الخمريِّ، وَلَمْ تَكُنْ فَصْلًا في كِتَابٍ يَتناوَلُ ظَوَاهِرَ أُخَرَ غَيْرَ الخمريَّاتِ مِثْلَما في دِرَاسَتَيْ الدكتورَيْنِ: **شَوقِي ضِيف وَحُسيْن عَطْوَان**.

يَشهَدُ بِذَلكَ مَا كَتَبهُ الأستاذُ **إيليَا حَاوِي** عَنْ خَمْرِيَّاتِ **الأَعْشَى** بِوَصفِهِ رَائِدَ الشعرِ الْخَمْرِيِّ في العَصْرِ الجاهليِّ؛ حَيثُ تَوقَّفَ أَمامَ ثَلاثَةِ نَماذِجَ مِنْ خَمرِيَّاتِهِ يَشرَحُها وَيُجَلِّي سِمَاتِهَا وَخَصَائِصَهَا، وَيُوَازِنُ بَينَهَا وَبينَ الخمرِ عِندَ **طَرفَةَ بْنِ العَبدِ**، وَيَفعَلُ قَرِيبًا مِنْ ذَلكَ مَعَ خَمرِيَّاتِ **الأَخْطَلِ** فَيوضِّحُ وُجُوهَ التقليدِ وَالتجديدِ فِيهَا، كَما تَوقَّفَ أَمَامَ نَموذَجٍ مِنْ خَمرِيَّاتِ الشاعِرِ العبَّاسيِّ **حُسين بن الضحَّاك**، أَمَّا **أَبُو نُوَاسٍ** فَقَدْ خَصَّ خَمرِيَّاتِهِ بِأَكبرِ نَصيبٍ مِنْ كِتَابِهِ، وَلَا غَرْوَ فَقَدْ رَآهُ رَائِدَ فَنِّ الخمريَّاتِ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ.

وَلَعَلَّ أَهَمَّ مَا يَعيبُ المدخَلَ التاريخيَّ في دِرَاسَةِ النصِّ الأدبيِّ هوَ غَلبَةُ القِرَاءَةِ الأفقيَّةِ عَلَى الرَّأْسيَّةِ، وَلَا عَجَبَ في ذَلكَ؛ فَغَايَةُ تِلكَ الدرَاسَاتِ أَنْ تَرْصُدَ نَشْأَةَ الظوَاهِرِ الأَدبيَّةِ وَمَا أَصَابَهَا مِنْ تَطوراتٍ تَختلفُ بِاختلافِ الأحقَابِ التاريخيةِ المتعاقبةِ، لِذَا يَخرُجُ النصُّ ذَاتُهُ – في أَغلَبِ تِلْكَ الدراسَاتِ – غَبِينًا بَخِيسًا، لَا يَحظَى بِغَيرِ الملاحظَاتِ العَامَّةِ؛ إِذْ يُعنَى مُؤَرِّخُ الأَدبِ بِمَا أَحَاطَ النَّصَّ الأَدَبِيَّ وَأَثَّرَ فِيهِ سَلْبًا أَوْ إِيجَابًا أَكْثَرَ مِمَّا يُعْنَى بِالنَّصِّ الأَدَبِيِّ ذَاتِهِ.

ثَانِيًا – الْمَدْخَلُ النَّفْسِيُّ:

لَعلَّ أَهمَّ مَا وقعَ فيه المدخلُ النفسيُّ بوجهٍ عام هوَ دخولُهُ إلى النصِّ الأدبيِّ

بأفكارٍ مسبقةٍ جاهزةٍ مُستعارَةٍ من علمٍ آخرَ، ثُم يُقسَرُ النصُّ عَلى قَـوْلِـهَا؛ إِذْ غَرِيَ بعضُ النقاد بأفكارِ فرويدَ ومَا كتبَهُ عَنِ العُقَدِ النفسية، فاستعَارُوهَا وَحَاولُوا تفسيرَ بعضِ الظواهرِ والنصوصِ الأدبيةِ عَلى هَدْيِها.

وَقَدْ كَانتْ ظاهرةُ الخمريَّاتِ وَلَا سيمَا خمرياتُ **أبي نواسٍ** مِنَ الظاهراتِ التي حاولَ بعضُ النقادِ تفسيرَهَا في ضَوءِ المنهجِ النفسيِّ، علَى نحوِ مَا فعلَ الدكتورُ **محمدُ النويهي** في كتابِه (نَفسيةُ أَبي نُواس)، والأستاذُ العقادُ في كتابِه (الحسنُ بنُ هَانِئ)، فأمَّا الدكتورُ **النويهيُّ** فقد خلصَ الفصلُ الأولُ منْ كتابِه لتناولِ خمرياتِ **أبي نواسٍ**، فتتبَّعَ تنوعَ عواطفِه أو مَواقفِه مِنَ الخمرِ، بَدءًا مِنْ حُبِّهَا إلى عِبَادَتِهَا إِلَى شعورِه نَحوَهَا شُعورًا جِنسيًّا، «فَأَبُو نواسٍ قَد أَحسَّ نحوَ الخمرِ بإحساسٍ جنسيٍّ، نَعنِي أَنَّ الخمرَ هاجتْ فِيهِ شَهوةَ المواقعَةِ، لَا مُواقعَةَ النسَاءِ أَوِ الغِلمَانِ، بَل مُواقعة الخمْرِ، وَأَنَّ شُربَهَا أرضَاهُ إرضَاءً جِنسيًّا»[6]. ثُم انتهَى د. **النويهيُّ** إلى تفسيرِ غرامِ أبي نُواسٍ بالخمرِ بعقدةِ أوديبَ، وَإِنْ لَـمْ يَذكُرْ هذهِ العقدةَ صَراحةً، فقَدْ ذَكَرَ مَضمونَها، حيثُ يقولُ: «إِذَا فَكرَ القارئُ في كُلِّ مَا قَدمناهُ عَن حُبِّ أَبِـي نواسٍ لِلخمرِ وإجلالِه لها، وَعاطفتِه الدينيةِ أمامَها، وَشُعورِه الجنسيِّ نحوَها، فَقد يَعتقدُ أَنَّ في هذهِ الإحساساتِ المتنوعةِ المعقدَةِ كِفايةَ التنوعِ والتعقيدِ، ولكنْ بَقِيَتْ عَاطفةٌ أُخرَى غريبةٌ نُريدُ أَنْ نُبيِّنَها الآنَ، وَهِيَ أنهُ أَحَسَّ أحيَانًا نحوَهَا إحساسَ الولَدِ نَحوَ الأُمِّ، أَيْ أَحَبَّها حُبًّا بنَـويًّا»[7].

وَصحيحٌ أَنَّ د. **النويهيُّ** استدلَّ مِنْ شِعرِ أَبِي نواسٍ علَى مَا نَسبهُ إليه من غرامِه بالخمرِ غَرامًا جِنسيًّا، وحُبه لها حبًّا بنويًّا، أو شُذوذِه الجنسيِّ، أو مَا إليهَا مِنْ أمورٍ أُخَرَ، لَكنَّه كانَ مُتعسفًا إِلَى حدٍّ بعيدٍ، وَمَا ذَكرَهُ مِنْ شِعرِ أَبِي نواسٍ لَا يُسعفُهُ في ذَلكَ، وُكُلُّ ملتمسٍ دَليلًا لِـمَا أَرَادَ وَاجِدُهُ، وَلَيسَتِ العبرةُ بوجودِ النصِّ أوِ الشاهدِ، إِنَّمَا العبرَةُ في تَأويلِه وقِراءتِه، وَفقْهِ الاستدلَالِ بِه، فكثيرٌ مِنَ النصوصِ الشعريةِ التي استدَلَّ بِها الدكتورُ **النويهيُّ** يُمكنُ أَنْ يُفسِّرَهَا التعبيرُ المجازيُّ، لَا العُقَدِ النفسيةُ، وَمِنْ ذَلكَ قولُهُ:

«فَفِي شعرِه يُسمِّي الخمرَ (دَرَّةً)، والدرةُ اللبنُ، ويسمي شُربَ الكأسِ رضاعةً:

حَلَبْتُ لأَصْحَابِي بِهَا دَرَّةَ الصَّبَا ... بِصَهْبَاءَ مِنْ مَاءِ الكُرُومِ شَمُولِ

تَرَاضَعُوا دَرَّةَ الصهبَاءِ بَينَهُمُو ... وَأَوْجَبُوا لِنَدِيمِ الكَأْسِ مَا يَجِبُ

طَابَ فِيهَا ارْتِضَاعُنَا حَتَّى ... صَرعتْنَا عَنْ ضَعْفِهَا بِاقتِدَارِ

ونظرَ إليها نَظرَ الولَدِ إلَى أمِّه:

وَانْظُرْ إِذَا هِيَ قَابَلَتْكَ تَهيُّؤًا ... نَظَرَ اليَتِيمِ إِلَى يَدِ الأُمِّ»[8].

وَلَا رَيْبَ أَنَّ كلَّ هذهِ الأبياتَ قائمةٌ عَلَى التعبيرِ المجازيِّ أَو الاستعَارِيِّ، لكنَّ د. **النويهيَّ** يَجعلُها مِنْ بابِ التعبيرِ الحقيقيِّ ليخدمَ بِهَا فكرةَ حُبِّ أبِي نُواسٍ البنويِّ للخمرِ، وذَهِلَ د. **النويهيُّ** عَمَّا في الأبياتِ مِنْ كَلماتٍ أَوْ تَراكيبَ تَفضَحُ ذلكَ التأويلَ وَتَجعلُه مُتعذِّرًا، فَلَوْ جَارينَاهُ في اتخاذِ أَبِي نواسٍ الخمرَ أُمًّا، فَليسَ يُتصوَّرُ أَنْ يَحلبَ أُمَّهُ لأَصحابِه عَلَى نَحو مَا تُؤكِّدُه الجملةُ الأُولَى في البيتِ الأولِ (حَلَبْتُ لأَصْحَابِي بِهَا دَرةَ الصَّبَا)، وَلَوْ أَنَّ د. **النويهيَّ** تَأملَّ البَيتَ الأَوَّلَ مَليًّا لَعَلِمَ أَنَّ الشاعرَ لَمْ يُسَمِّ الخمرَ دَرَّةً عَلَى نَحْوِ مَا زَعَمَ، وَلَمْ تَكنِ الخمرُ هيَ المقصودةَ بِالحلْبِ، وَإِنَّما أَرَادَ الشاعرُ بِالحلْبِ ماءَ المطرِ، الذي تُمزَجُ به الخمرُ، فَالمحلُوبُ عَلَى سَبيلِ الاستعارةِ هوَ مَاءُ المطرِ وَلَيسَ الخمرَ، وَفِي ديوانِ أَبِي نُواسٍ بتحقيقِ **إيفالد فاغنر** عَنْ روايَةِ حَمزةَ الأَصبهَانيِّ، مَا يُؤكِّدُ ذلكَ؛ إِذْ نَقرَأُ عَقيبَ البيتِ السالفِ: «حَلَبتُ: صَبَبْتُ فَاستعَارَ حَلبتُ لِقَوله: دَرَّةَ الصَّبا وهوَ مَاءُ مطرٍ كانَ بِالصَّبَا فيقولُ: مَزَجْتُ الصَّهباءَ بِهذَا المَاءِ وَسَقيتُهُم، وَيَرْوِي قَومٌ: دِرَّةَ الصِّبَى، فمعنَى هَذَا أَنَّهُ يَقولُ: لَمَّا سَقَيتُهم صَهبَاءَ شَمُولًا فَكأَنَّني حَلَبتُ لَهم دِرَّةَ تَصَابٍ وَلَهوٍ، وَقَولُه: بِهَا الهاءُ للخيمَةِ أَيْ بِالخيمَةِ»[9]، وَمَعنَى هَذَا أَنَّ المرادَ بالدرَّةِ هُنا عَلَى الروايَةِ الأُولَى المطَرُ، وَعَلى الروايةِ الثانيةِ اللهو والتصَابِي، وليسَ الخمرَ كما فَهِمَ د. النويهي، وَلَا وَاشِجَةَ فِي البيتِ بينَ الدَّرةِ وَالخَمْرِ إِلَّا عَلَى سَبيلِ التشبيهِ.

وَليسَ يُتصَوَّرُ كذلكَ أَنْ يَشرَكَهُ أصحابُهُ في ارتضَاعِ أُمِّه عَلَى نَحو مَا تَقُولُهُ كَلِمَتَا (تَرَاضَعُوا - ارْتضَاعُنَا) في البيتَيْنِ الثانِي وَالثالِث، وَأَمَّا البيتُ الرابعُ فهوَ مِنْ بَابِ التشبيهِ البليغِ، وَلَوْ أَنَّنَا جَارينَا د. النويهيَّ في قِرَاءةِ كلِّ استعارةٍ أَوْ تَشبيهٍ في شِعرِنَا العرَبِيِّ علَى أَنَّهُ حقيقةٌ لَا تَخييلٌ، لَبطلَ المجازُ، وَلَصَحَّ أَنْ نَعُدَّ الحرْبَ أُمًّا لِعنترَةَ العَبسيِّ عَلَى الحقيقةِ لا المجَازِ، وَأَنَّهُ أَحبَّهَا حُبًّا بنَويًّا كَما أَحَبَّ أَبُو نُواسٍ الخمرَ حبًّا بنويًّا، أَوَلَمْ يَقُلْ عَنترَةُ:

خُلِقْتُ مِنَ الحَدِيدِ أَشَدَّ قَلْبًا وَقَدْ بَلِيَ الحَدِيدُ وَمَا بَلِيتُ
وَفِي الحَرْبِ العَوَانِ وُلِدْتُ طِفْلا وَمِنْ لَبَنِ الْمَعَامِعِ قَدْ سُقِيتُ[10]

لَكنَّ د. النويهيَّ ذَهلَ عَنِ المجَازِ، وَاعتسفَ ليُنطقَ النصُوصَ بِمَا آمَنَ بِه، ولكَ أَنْ تَعجَبَ حينَ تَرَى د. النويهيَّ يبرِّئُ نَفسَهُ مِنَ التكلفِ والاعتسَافِ فيقولُ: «..وَلَكِنْ هَذهِ أشعَارهُ تَنطقُ بِمَا ادَّعينَا نُطقًا لَاخفاءَ فيه، وَلَا يَجعلُ بِنَا حَاجةً إِلَى تَعسفٍ في تحليلٍ نفسيٍّ أَوْ إِسْرافٍ في جَدَلٍ نَظريٍّ»[11].

وَلَا يَتسعُ المقامُ لمناقشةِ كَلامِ د. النويهيَّ مناقشةً تفصيليةً، وَحَسبُنَا مَا قَالَه د. عَبد الواحد عَلَّام عَن مُغالاتِه واعتسَافِه فِي دراسَاتِه النفسيةِ بِوجْهٍ عَامٍّ، يقولُ د. عبدُ الواحد عَلَّام: «ولكنَّ النَاقدَ يَتسمُ في كُلِّ دراسَاته بسمَةِ المغَالاةِ والاعتسَافِ في بعضِ الأحيانِ، كَما سبقَ أَنْ أَشرتُ، فَإذا أرادَ أَنْ يَصلَ إِلَى حُكمٍ يُؤيدُ مَا ذهبَ إِليه لَمْ يَنظُرْ إِلَّا في النصُوصِ الشعريةِ التي تَدعَمُ هذَا الحكْمَ وَتُقويه، غَاضًّا النظرَ عَنْ نصوصٍ أُخْرَى قَدْ لَا تَتفقُ مَعَ هذَا الحكْم، بَلْ لعَلَّها تُناقضُهُ، ولعلَّ موقفَهُ مِنَ ابنِ الروميِّ خيرُ شاهدٍ علَى ذلكَ، فَحينَ أرادَ أَنْ يُدللَ عَلَى ظاهرةِ الانكماشِ والانطوَاءِ لَدَى الشاعرِ وَمَا يَنتُجُ عَنْ هَذهِ الظاهرَةِ مِنْ عواطفَ مُتعددةٍ، سَاقَ قَصيدَتَه (دَعِ اللومَ) التي تُحلِّل تَحليلًا دَقيقًا صَادقًا مخلصًا نَفْسًا إِنْسَانيةً مُعذبَةً حَائرَةً، كَمَا يَرَى النَّاقدُ، وَتُقدمُ لَنَا صِفاتِ ابنِ الرومِي التي أَلصقَها الدكتورُ النويهيُّ بِه، بَيدَ أَنَّ في شِعرِ ابن

الرومي قَصَائِدَ أُخْرَى يَبْدُو فِيهَا الشاعِرُ مُخالفًا تَمامَ المخالَفةِ لِمَا ذَهَبَ إليهِ الدكتورُ النويهيُّ وَلَكنَّ الناقِدَ لَا يَقِفُ عِندَهَا جَميعًا»[12].

وَأَمَّا الأستاذُ **العقَّادُ** فَقَدْ كانَ أكثرَ اعتدالًا وَأَقَلَّ تَعسفًا مِنَ الدكتورِ **النويهيِّ**، وَإِذَا كانَ د. النويهيُّ قَدْ رَجَعَ آفَاتِ أَبِي نواسٍ إِلَى رَابِطَةِ الأُمِّ أَوْ عقدةِ أُوديبَ فَإِنَّ الأستاذَ **العقادَ** يُرْجِعُ آفاتِ أَبِي نُواسٍ جميعَها إِلَى (النَّرجسيةِ)، وَيفسِّرُ إقبالَهُ المفرطَ عَلَى الخمرِ بعقدَةِ النسَبِ، إِذْ كانَ أَبُو نواسٍ يَشعرُ بِخسَّةِ نَسَبِهِ في عَصْرٍ بَلَغَ فيهِ التفاخُرُ بِالأنسَابِ وَالأحسَابِ مَبلغًا فَائقًا، يَقولُ الأستاذُ **العقادُ**: «فَقَدْ كَانَ إدمَانُهُ الخمرَ هَوَسًا وَلَمْ يَكُنْ مجردَ عَادةٍ أو لذةٍ ذَوقيةٍ، وَلَا بُدَّ وَرَاءَ كلِّ هَوَسٍ مِنْ عُقْدَةٍ نَفسيةٍ، فَمَا هيَ هَذِهِ العقدَةُ التي أَصَابتْ نَفْسًا محصنَةً مِنَ العُقَدِ فَغلبتْهَا وَلَمْ تُفلِحْ فِيهَا إِبَاحتُهُ وَلَا العلانيةُ التي عَاشَ فِيهَا مِن طفولتِهِ إلى ختامِ عمرِهِ. إِنَّها غَلبتْهُ لأَنَّها جَاءتْهُ مِنْ قِبَلِ طَبيعتِهِ، وَنَعني بِهَا **النرْجسيَّةَ**.. فَهِيَ الطبيعَةُ التي تُزيِّنُ للنرجسيِّ عادَاتِ العَرضِ والظهورِ، وَهَذِهِ العقدَةُ النفسيةُ لَيسَتْ مِمَّا يَتَقبَّلُ العَرضَ وَالظهورَ، لأَنَّهَا مُهينَةٌ لِصَاحِبِهَا مُذِلَّةٌ لَه بَينَ قَومِهِ، وَهِيَ خِسَّةُ النَّسَبِ في عَصْرِ الأنسَابِ والأَحْسَابِ»[13].

وَقَدْ نُوَافِقُ الأستاذَ **العقادَ** في تَعليلِهِ شُرْبَ أَبِي نواسٍ الخمرَ بِأَنَّها شَرابُ الملوكِ الذي يُذَكِّرُهُ بأجدادِهِ الأكاسرَةِ، أَوْ لأَنَّها تَجمعُهُ بِنَدَامَى لَا فَخرَ بَينَهم بِالآباءِ وَالأجدَادِ، أَوْ لأَنَّهُ اتخذَهَا تُكَأَةً يَنْعَى بِهَا عَلَى العَرَبِ أطلالَهم وَرُسُومَهم لِيَزْدَرِيَهم، وَقَدْ عَزَّ عَلَيهِ أَنْ يُجارِيَهم في فَخْرِهِم، أَوْ مَا شَاءَ الأستاذُ **العقادُ** مِنْ أسبَابٍ أُخرَى[14]، لَكِنْ يَبقَى مَا أشارَ إليهِ د. **عبدُ الواحدِ عَلَّام** عَسِيًّا بِالتأملِ، فلَمْ يَكُنْ أَبُو نواسٍ أولَ شاعرٍ يَقولُ في الخمْرِ شِعْرًا، ولَمْ يَكنْ كَذلكَ آخرَ الشعرَاءِ في هَذَا الفَنِّ، «صَحيحٌ أَنَّ أَبَا نواسٍ اشْتَهَر بهذهِ الخمريَّاتِ أكثرَ مِنْ غَيرِهِ، لكنَّ ذَلكَ لَا يَعني تَفسيرَ هَذِهِ الشهرَةِ وذلكَ التفوُّقِ بعقدَةِ النسَبِ كَما يَرَى العقَّادُ أَوْ بِعُقدَةِ رَابِطَةِ الأُمِّ كَما يَذهَبُ الأستاذُ النويهيُّ، وَإِلَّا كَانَ لِزَامًا عَلينَا أَنْ نُرْجِعَ تَفوُّقَ كلِّ شَاعرٍ في فَنٍّ مِنَ الفنونِ وَشُهرتَهُ

في غَرَضٍ مِنَ الأغراضِ إِلَى عُقدةٍ خاصةٍ بهِ، بَلْ يَلزمُنَا أَيْضًا أَلَّا نَقِفَ عِنْدَ حَدِّ التفوُّقِ، بَلْ نَبحَثُ قُصُورَ الشاعرِ كَذلكَ في هَذَا الفَنِّ أَوْ ذَاكَ اللونِ لِنُرجِعَهُ إِلَى عُقَدِ الشاعرِ الدفينَةِ، وَأَخْشَى بِهَذَا أَنْ تَتحَوَّلَ الدراسَةُ النقديةُ إِلَى محاوَلَةِ التماسِ الوَثَائِقِ النفسيَّةِ في حيَاةِ الشعرَاءِ وَالأدبَاءِ وَتَحكِيمِهَا في رِقَابِهِمْ»[15].

ثَالِثًا - الْمَدْخَلُ البِنْيَوِيُّ:

لَا رَيبَ أَنَّ هذَا الاعتسافَ في قِرَاءَةِ خَمريات **أَبِي نواس** أمرٌ غَريبٌ، لَكنهُ يَبدُو أقلَّ غَرابَةً إِذَا مَا قُورِنَ بمدَاخِلَ أُخرَى تَزعُمُ المقاربَةَ المنهجيَّةَ، وَتَستَطِيلُ بِهَا، فلَيسَ يَخفَى أَنَّ الاعتسَافَ سِمَةٌ غَلْبَاءُ عَلَى كَثيرٍ مِنَ المداخِلِ النفسيةِ إِلَى النصِّ الشعريِّ، سَواء اتصَلَتْ بِأَبِي نُواسٍ أَوْ غَيرِهِ مِنْ شُعرَاءِ العربيةِ، وَمِنْ ثَمَّ فَاعتسَافُ **د. النويهيِّ** أَوْ غَيرِهِ في قراءَةِ خمريات أَبِي نواسٍ أَمْرٌ مُتوقَّعٌ، أَمَّا أَنْ يَقَعَ نَاقِدٌ يَزعُمُ المقاربَةَ المنهجيةَ في الاعتسَافِ نَفْسِهِ، فَذَلِكَ أَعْجَبُ العَجَبِ، عَنَيْتُ بِذَلكَ **د. سَامِي سويدَان** في كِتابِهِ: (**في النصِّ الشعريِّ العرَبِيِّ مُقارَبَاتٌ مَنهجيَّةٌ**)، وَلَا يخفَاكَ مَا في عنوانِ الكتابِ مِنْ وَعْدٍ بمقاربَةٍ علميَّةٍ مَنهجيَّةٍ لَا تَتكلَّفُ وَلَا تَعتَسِفُ، وَلا تُنطِقُ النصَّ بِمَا لَا يَقولُهُ، تَقرأُ النصَّ وتُقارِبُهُ أكثرَ مما تُقارِبُ مَا حَفَّ بِهِ، ولَئِنْ قَالَ العنوانُ ذلكَ إِيماءً إِوْ إِجمالًا، لَقدْ قالَهُ الناقدُ في المقدمَةِ والتمهيدِ لقراءاتِهِ النصيةِ صَرَاحةً وتفصيلًا، إِذْ نَرَاهُ يُؤكِّدُ وِجهتَهُ النصيةَ لَا غَيرُ، فَيقولُ: «في الفصولِ اللاحقَةِ لَمْ يَجْرِ اهتمامٌ بتقديمِ الأَوضَاعِ الاجتماعيَّةِ والتاريخيةِ التي أُنْتجَتْ نصوصُ الدراسَاتِ فيهَا، وَلَا بمتابعَةِ الحياةِ الشخصيَّةِ لأصحَابِ هَذهِ النصوصِ في أَحْدَاثِهَا وَتَفاعلَاتِهَا، باعتبارِ أَنَّ بِإمكانِ القارئِ العودةَ إِلَى المصادرِ المناسبَةِ للاطلاعِ عَليهَا وَالتعرُّفِ إِلَى تَفاصيلِهَا، عَدَا عَنْ أَنَّها لَيْسَتْ مِنْ مهمَّةِ الدراسَاتِ النصيةِ الواردَةِ هُنَا أَسَاسًا، فَهذهِ الأخيرَةُ تَقتَصِرُ عَلَى معالَجَةِ النصِّ وَحَسْبُ، وَتَكادُ تَحصرُ هَمَّهَا في الإِصْغَاءِ إِلَى قَولِهِ، مَعَ ذَلكَ لَمْ تُغفِلْ بعضَ الإِلمامَاتِ إِلَى تِلْكَ الأَوضَاعِ وَالأَحدَاثِ العامةِ وَالخاصَّةِ، حَيثُ بَدَا ذَلكَ ضَروريًّا»[16].

فَكَلامُ الناقِدِ وَاضِحٌ صَرِيحٌ، يَقولُ بِـأَنَّـهُ يَضَعُ النصَّ في مقدمَةِ أَوْلَوِيَّـاتِـهِ، بَلْ يُحتِّمُ القراءَةَ المنهجيةَ لِلنَّصِّ الشعريِّ، وَيَرى أَنَّ اكتفَاءَ بَعضِ النقادِ باستعادَةِ النصِّ أو التعليقِ عَليهِ لَيْسَ مِـنَ النقْدِ في شَيءٍ، فَيقولُ: «تَـبقَى النصوصُ الجماليةُ مُنطويَـةً عَلَـى أَسْـرَارِهَا بـانتظـارِ مَـنْ يُحسنُ استدرَاجَهـا واستيلادَهَـا مَكنونَـاتِهَا. ذَلكَ أَنَّـهَا لَا تَبُوحُ بِـهَا إِلَّا لِـمَنْ يُـحسنُ استنطَاقَهَا. وَلَا يُمكنُ أَنْ يَقومَ بِذَلكَ مَنْ يَستعيدُهَا، غَالبًا بطريقةٍ سَطحية، فَيؤدِّيهَا مِنْ جَديدٍ بلغَةٍ مختلفةٍ هِيَ لُـغتُـهُ، تَوهُّـمًا مِنهُ، أَوْ تَوهِيمًا لِسِوَاهُ، أَنَّـهُ بِذلكَ يُـنْجِـزُ بَحثًا إِنْ لَـمْ يَدَّعِ أَنَّـهُ يُـحْدِثُ كَشْفًا .. كَمـا أَنَّ التعليقَ، مَهمَا بَلَغَ مِنْ تَـجلِياتِـهِ النادِرَةِ مِنَ استشْفَافٍ لِـجوَانبَ إبداعيةٍ أو أبعَادٍ دِلاليةٍ، لَا يَعْدُو أبوَابَ الدائِـرَةِ المذكورَةِ. وَالمؤسِفُ أَنْ يَكونَ طَاغيًا في المقارِبَاتِ النصيَّةِ، والمأسَاوِيُّ أَنْ يَـأْتِـيَ في مُعظَمِ الأحيَانِ بُـدَائيًّا أَوِ انفعَاليًّا. ذَلكَ أَنَّ دَرْسَ النصُوصِ الشعريَّـةِ إِمَّـا أَنْ يَـكونَ دَرْسًا مَنهَجِيًّا أَوْ لَا يَكونُ»[17].

وَلَا غَـرْوَ أَنْ نَجِدَ د. **سَامِي سويدَان** بَعدَ ذَلكَ يَعيبُ دراسَاتٍ سَابقةً عَنْ أَبِـي نُواسٍ؛ لأَنَّـها أخطأَتِ الدراسَةَ المنهجيَّةَ، فَكِتَابُ د. **عَلي شلق** عَنْ أَبِي نواسٍ (أَبُو نُواسٍ بينَ التخطِّي والالتزَامِ) نَموذجٌ مِنْ نَماذِجِ الدراسَةِ التقليديَّـةِ، التِي لَا تَـأْتِـي لِلمُطَّلِعِ عَلَيْهَا بِـأَيِّ فائدةٍ تُذكَرُ، وَلَكِنَّها في المقابِلِ قَدْ تَحمِلُ إليهِ الضرَرَ الكَبيرَ[18]، وَكَلامُ **أدونيسَ** عَن أَبِي نواسٍ لَا يَبرَأُ مِنْ خَلَلٍ مَنهجيٍّ عَامٍّ يَحكُمُ دراسَاتِ أَدُونيسَ حَيثُ يَبنِي أحكامَـهُ عَلَى أبياتٍ متفرقةٍ، ومُبعثرَةٍ وخَارجَ سياقِهَا، أَمَّـا أحكامُـهُ الخاصةُ بِأَبِـي نواسٍ فَبعضُهَا شَطحَاتٌ وَبَعضُهَا مغالطَاتٌ[19].

وَمِنَ الدراساتِ التِي التفَتَ إليهَا د. **سَامِي سويدَان** كَذلكَ دراسَةٌ **لِكمَال أَبو ديب**، بكتَابِـهِ (جَدليةُ الخفَاءِ والتجَلِّي)، وَتَحديدًا الفَصْلَ الخامِسَ مِنه، وَعُنوانُـهُ «نَحْوَ مَنهجٍ بِنيويٍّ في تَحليلِ الشعْرِ/ دراساتٌ بِنيويَّـةٌ في شِعْرِ أَبِـي نواسٍ وأَبِـي تَـمَّام»، وَتَتميَّـزُ دراسَةُ كَمال أبو ديب – فِيمَا يَـرَى د. **سَامِي سويدَان** – عَنْ سَابِقَتَيْهَا، وَعَن مُعظَمِ الدراسَاتِ الأخرَى السائدَةِ لِلشِّعْرِ بِسِمَتَيْنِ: **أُولاهُـمَا** – «ارتكازُهَا إِلَى مَنهجٍ في البحثِ

مُحَدَّدٍ تُعلِنُهُ وَتعمَلُ عَلَى الالتزَامِ بِهِ»، ثَانيتُهمَا – اختيارُهَا لِلمنهَجِ البنيوِيِّ بالتحْديدِ»[20]، وَلَا رَيبَ أنَّ صياغَةَ السمَةِ الثانيةِ بهذِهِ الصورَةِ تُوحِي، بَلْ تُؤكِّدُ أنَّ د. **سَامِي سويدَان** مِنْ أنصَارِ البنيويةِ وحُماتِهَا، وَلَا غَرْوَ أن يُبَجِّلَ دراسَةً لِمجرَّدِ إعلانِهَا تَبنِّيَ المنهجِ البنيويِّ، وَلَا غَرْوَ كَذلِكَ أنْ يُعقِبَ عِبارَتَهُ السَّالِفَةَ بِقَولِهِ: «وَهُوَ مَنهَجٌ يَبدُو حَتَّى اليوم أكثرَ المناهِجِ المعرفيةِ كفاءةً ومُلاءمَةً في الدراسَاتِ الإنسَانيةِ وَالأدَبيَّةِ والشعْرِيَّةِ، وَمِنَ النادِرِ وجودُ بَحثٍ أو دِرَاسةٍ حَديثَةٍ ذاتِ قِيمَةٍ أَوْ جَدْوَى فِي هَذهِ المجالاتِ لَمْ تَلتزِمْ هَذَا المنهَجَ بصُورةٍ وَاعِيَةٍ أَوْ غَير وَاعِيَةٍ»[21].

وَرُغْمَ هَذَا التبجِيلِ لِلبنيويَّةِ، فَإنَّهَا لَمْ تَعصِمْ دِرَاسَةَ **أَبِي ديبٍ** مِنَ الأخطاءِ، حَتَّى لَقَدْ رَآهَا د. **سَامِي سويدَان** نَفسُهُ إِسَاءةً إِلَى المنهَجِ البنيوِيِّ لِكثرَةِ أخطائِهَا، مِمَّا يُؤَكِّدُ قيمةَ الناقدِ أكثرَ مِنَ المنهَجِ، فَالناقِدُ هوَ المنهَجُ، وَلَا يَكفِي ادعَاءُ المنهَجِ وَحدَهُ لِتبجِيلِ دِرَاسَةٍ أو اعتمادِهَا؛ فَلَا قِيمَةَ لِأَدَاةٍ بِيَدِ مَنْ لَا يُحسِنُ استخدَامَهَا، وَمُؤَدَّى ذَلِكَ أنَّ د. **سويدَان** نَاقضَ نَفسَهُ، حِينَ مَدَحَ تِلْكَ الدراسَةَ لمجرَّدِ تَبنِّيهَا المنهَجَ البنيويَّ بالتحديدِ، ثُمَّ أردَفَ ذَلِكَ بقولِهِ: «مَعَ ذَلِكَ، فإنَّ العمَلَ المتحَقِّقَ في دِرَاسَةِ شِعْرِ أَبِي نُواسٍ فِي الكِتَابِ المذكُورِ، رُغْمَ أَنَّهُ مِنْ أَكْثَرِ الأَعْمَالِ جِدِّيَّةً وَرصَانَةً التي أُتيحَ لَنا الاطلاعُ عَليهَا، حَفَلَ – لِلأسَفِ – بِالعديدِ مِنَ الأخطَاءِ إِلَى حَدٍّ يُثِيرُ التخَوُّفَ مِنْ إِمكَانِ انعِكَاسِ (تَطبيقِ المنهَجِ البنيويِّ) عَلَى (بَرْهَنَةِ إِمْكانياتِ المنهَجِ) المذكُورِ سَلْبًا، وَيُسَاءُ إِلَى هَذَا المنهَجِ بصورَةٍ غَيرِ مَقصودَةٍ، وَلَمَّا كَانَ المجَالُ هُنَا مَحدودًا لَا يُتيحُ التطرُّقَ إِلَى الأخطَاءِ العَديدةِ التي يَحْفِلُ بِهَا العمَلُ عَلَى مستَوَى التحقِيقِ والممارسَةِ، فَإِنَّنا سَنكتَفِي بِالإشارَةِ إِلَى بَعضِ العَيناتِ الخاصَّةِ بِالتفاصِيلِ دُونَ أَنْ يَعنِيَ ذَلِكَ عَدَمَ أَهميتِهَا»[22].

وَلَا يَتسعُ المجالُ هُنا – كَذلِكَ – لِتتبُّعِ ثُغرَاتِ مُقارَبَةِ د. سَامي سويدَان نَفسِهِ إِحْدَى خَمْرِيَّاتِ أَبِي نواسٍ، وَحَرِيٌّ بِمَنْ يَتعَقَّبُ أخطاءَ الآخَرِينَ وَيُحصِيهَا عَليهِم أَنْ يَكونَ بنجْوَةٍ مِنهَا، لَكِننَا – وَمِنْ أَسَفٍ – نَرَى د. **سَامِي** يَقَعُ فِيمَا وَقَعَ فيهِ الآخرُونَ

مِنْ أَخْطَاءٍ، وَحَسْبُنَا أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَهَمِّ خَطَأٍ وَقَعَتْ فيه مُقارَبَةُ د. **سَامي سويدَان**، عَنَيْتُ: اعتسَافَهُ في التَّأْويلِ، وَإِنْطاقَهُ النصَّ بِمَا لَمْ يَقُلْهُ؛ حيثُ يَجعَلُ د. **سويدانُ** شُرْبَ أَبِي نُوَاسٍ الخمرَ، وَمُنادمتَهُ أَصْحابَهُ ضَرْبًا مِنَ العبَادَةِ وَطُقُوسًا تُؤَدَّى في جَوٍّ قُدْسِيٍّ ، وَمَا رَآهُ النقادُ أَجْمعونَ في مَجلسِ الخمْرِ مِنْ لَهْوٍ ومجونٍ وعَربَدَةٍ، يَتحوَّلُ عَلَى يَدَيْ د. سويدَان، تَحولًا نَقيضًا: «مَجْلِسُ الخمْرِ مَجلسٌ حَضَاريٌّ رَفِيعٌ»[23].

وَرُبَّما كَانَتْ هَذِهِ الجملَةُ أَهْوَنَ مَا في هَذِهِ المقاربَةِ، ذَلِكَ أَنَّ الجملَ والعبارَاتِ التِي تُحَمِّلُ النصَّ مَا يَنُوءُ بِهِ أكثَرُ مِنْ أَنْ تَتَّسِعَ لَهَا هَذِهِ الورقَاتُ، وَحَسبُنَا أَنْ نُشِيرَ إِلَى بَعضِهَا، يَقولُ د. **سَامي سويدَان**: «وَتُقَرِّبُ الصورَةُ في البيتِ الرابعِ المعْنَى. حَيْثُ تُشبَّهُ الكُؤُوسُ بِمَصابيحَ مُشعَّةٍ في مِحرَابٍ كَاهِنٍ. وَلَيسَتِ الأدوارُ والصفاتُ الخاصَّةُ بِهَذَا الكَاهنِ مُنقطعَةَ الصلَةِ بِسيَاقِ التعبِيرِ. فَهِيَ مِنْ نَاحيةٍ تَنِمُّ عَنِ التوقُّدِ المشعِّ للكؤوسِ، وَمِنْ نَاحيَةٍ ثَانيَةٍ تُومِئُ بِاعتبَارِ أَنَّ الاهتمَامَ بِالمصَابيحِ مِنْ شُؤونِ الشَّمَّاسِ، إِلَى الشَّخْصيَّةِ التِي أَرادَ الإيحَاءَ بِهَا مِنْ خِلالِهِ: السَّاقِي أو الخمَّارِ. فَيتَأَكَّدُ انتِصَارُ الخمرَةِ النَّيِّرَةِ عَلَى الظلَامِ، وَتَأَلُّقُ الْجَوِّ القُدسيِّ الطقوسِيِّ الذِي يَتِمُّ فيه هذَا الانتصَارُ كَانتصَارٍ لِلخيرِ عَلَى الشَّرِّ. فَإِذَا بِالضوْءِ الخمريِّ يَخُطُّ الطريقَ الصحيحَ للخَيرِ وَالإِصْلَاحِ نَحْوَ الفَرَحِ، **وَإِذَا بِالكؤوسِ أَقرَبُ مَا تَكونُ إِلَى ابتهَالَاتٍ وَصَلوَاتٍ لِإِلَهِ الْخَيرِ وَالصَّلَاحِ، رَبِّ المتعَةِ واللذَّةِ**. وتَكونُ الخمرُ في بُعدِهَا النورَانِيِّ – الرُّوحَانِيِّ الجديدِ مِحورَ اجتمَاعِ مَجلسٍ قُدْسِيٍّ مُضيءٍ، وَتَبلْورُ في صَفَائِهَا حَياةً خَاصةً بِالشَّاربينَ، مَنزوعَةً مِنْ جَسَدِ الليلِ البَهيمِ المهيمنِ وَالعَامِّ، مُحَوِّلَةً كُلَّ مَا يُحيطُ بِهَا إِلَى عَناصرَ مِنْ جِنْسِهَا، إِلَى أَضْوَاءٍ مُشعَّةٍ مِنَ السعَادَةِ وَالفَرَحِ، فَيَكْتَملُ هُنَا مَعْنَى البَيْتِ السابقِ (الثَّالِثِ). ذَلِكَ أَنَّ قَرْعَ النواقيسِ دَعْوَةٌ يُلبِّيهَا الشَّاربُونَ فَيحضرُونَ دُونَ تَلَكُّؤٍ مَجلسَ الخمرَةِ المنيرِ، فَتكُونُ لَهم حَياةً وَتَكونُ لَهم مُتعةً. **جُمْلةٌ مِنْ طقوسٍ خَاصةٍ تُشيرُ إِلى دينٍ جَديدٍ محورُهُ اللذةُ**»[24].

إِنَّ مَا رَآهُ أَبُو نواسٍ صُورةً أو خَيالًا، يَرَاهُ د. سويدَان حَقيقةً وَوَاقعًا، وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى البَيتِ الرَّابع الذِي سَلفَتْ الإشارةُ إليهِ وَجَدنَاهُ مُجرَّدَ تَشبيهٍ ليسَ إلَّا، حَيثُ يَقولُ أَبُو نوَاسٍ:

كَأَنَّ كَاسَاتِنَا وَاللَّيلُ مُعتَكِرٌ سُرُجٌ تَوَقَّدُ في مِحْرَابِ شَمَّاسِ[25]

وَمَعنَى ذَلكَ أَنَّ د. سويدَان وَقَعَ فِيمَا وَقَعَ فيهِ د. النويهيُّ، فَلَمْ يُحْسِنْ قِرَاءَةَ المجَازِ أَو التشبيهِ، ومَا أَغْنَتْهُ البنيويةُ فَتيلًا، بَلْ مَا زَادَتْهُ إلَّا اعْتِسَافًا، فَالأمرُ أَيسَرُ مِمَّا تَكلَّفهُ د. سويدانُ في تأويلِ البيتِ، فقُصارَى مَا أَرَادَهُ أَبُو نُواسٍ إِنَّمَا هوَ تَشبيهُ صَفَاءِ الخمرِ وَلَمعانِهَا في الليلِ الدامسِ البَهيمِ بِالسُّرُجِ في مِحرَابِ شَمَّاسٍ، وَوَجْهُ الشبَهِ هوَ اللمَعَانُ والبريقُ، وَلَيسَ العبادَةَ أَو الطقوسَ الدينيةَ، ويَشهدُ بذلكَ أَنَّ الخمرَةَ أَوْ كَأْسَهَا كَثيرًا مَا تُشبَّهَانِ في شِعْرِ أَبِي نواسٍ وَسِوَاهُ بكلِّ مَا مِنْ شَأنِهِ الصفَاءُ أَو اللمعَانُ والبريقُ، نَحْو (عَيْنِ الديكِ – الشمسِ – النارِ – البَرقِ – الكَوكبِ – النجْمِ – الشهابِ – السِّرَاجِ – المصبَاحِ – الذهَبِ – التِّبرِ ... وَسِواهَا)، وَيَلفتُ النظرَ أَنَّ تِلْكَ التشبيهَاتِ قَدْ تَكرَّرَتْ في شِعْرِ أَبِي نواسٍ وَغَيرِهِ مِنْ أَصحابِ الخمريَّاتِ حَتَّى لَتندُّ عَنِ الحصْرِ، وَحَتَّى لَيمكنُ مَعَ تِلكَ الكثرَةِ أَنْ نَسمَ تِلكَ التشَابِيهَ بِالنمطيَّةِ وَالابتذَالِ، فَقَدْ تَوارَدَهَا غَيرُ شَاعرٍ، وَمَاذَا يَقولُ د. سَامي سويدَان في تَشبيهِ أَبِي نُواسٍ كَأسَ الخمرِ (أَوِ الخمْرَ ذاتَهَا فَلَا انفِصَالَ بَينَهما) بِعَيْنِ الديكِ، حِينَ قَالَ:

وَكَأسٍ كَعَينِ الديكِ صَبَّحْتُ سُحْرَةً وَقَدْ هَمَّ نَجْمُ اللَّيْلِ بِالخفَقَانِ[26]

أَوْ في تَشبيهِهِ إِيَّاهَا في أَبيَاتٍ متتابعَاتٍ بِالشعاعِ وَالذهبِ وَالشمسِ، حَيثُ يقولُ:

رَقَّتْ عَنِ اللحَظَاتِ حَتَّى مَا تَرَى إِلَّا الْتِمَاعَ شُعَاعِهَا الْعَيْنَانِ

وَكَأَنَّ لِلذَّهَبِ الْمَذُوبِ بِكَأْسِهَا بَحْرًا يَجِيشُ بِأَعْيُنِ الْحِيتَانِ

الشَّمْسُ تَطْلُعُ مِنْ خِلَالِ زُجَاجِهَا وَتَغِيبُ حِينَ تَغِيبُ فِي الْأَبْدَانِ[27]

أَوْ فِي تَشبيهِهِ لَـها بالنارِ فِي قَـوْلِـهِ:

فَـإِذَا مَـا مُـزِجَـتْ فِـي كَـأْسِهَـا خِلْتَـهَا فِـي الكَـأْسِ نَـارًا تَـتَّـقِـدْ[28]

أَوْ قَـوْلِـهِ:

لَـهَـا كَوَمِيضِ الـجَـمْـرِ فِـي قَـعْـرِ كَأْسِهَا إِذَا الرِّيحُ هَبَّتْ فَاستَنَارَتْ لَـهَا الْـجَمْرُ[29]

فأيُّ عبادةٍ أو طقوسٍ دينيةٍ في تلْكَ التشبيهَاتِ؟! بَل مَاذا يَقولُ د. سَامِي سويدَان في خَمريةٍ قصيرةٍ لأبِـي نواسٍ تَنقُضُ تَأويلَهُ مجلسَ الخمرِ بالعبادةِ والطقوسِ الدينيةِ، حَيثُ يَبدُو أبُـو نواسٍ في تِلْكَ الخمريةِ سَاخِطًا عَلَى الأديـرَةِ وَرِجَالِـهَا، مُشبِّـهًا الخمرَةَ وَكَأْسَهَا بتشْبيهَاتٍ أخرَى غَيرِ سُرُجِ الشَّماسِ:

تَـدَاوَ مِـنْ لَـوْعَـةِ الْـهِجْرَانِ بِالـرَّاحِ وَعَـدِّ قَـلْـبَكَ عَـنْ ذِكْـرِ الْأُكَيْـرَاحِ

تَسَلَّ بِالْـخَمْرِ عَـمَّـا فَـاتَ مَطْلَـبُـهُ ضُحًى وَإِنْ لَامَ فِيهَا العَاذِلُ اللَّاحِي

حَـمْـرَاءَ صَافِيَـةً فِـي لَـوْنِ جَـوْهَـرَةٍ فِـي طِيبِ عَنْبَـرةٍ أَوْ لَـوْنِ تُـفَّاحِ

مِـنْ كَفِّ ذِي غُـنُجٍ تَـمَّتْ مَـحَاسِنُـهُ كَالْبَـدْرِ ذِي غُـنَّـةٍ مَيْسَـانَ مَـزَّاحِ

كَـأَنَّـهُ مَـاثِـلًا وَالْكَأْسُ فِـي يَـدِهِ يَـمْشِي بِـهَا قَـمَرٌ يَـسْعَى بِمِصْبَاحِ

فَـذَاكَ لَا دَيْـرُ رُهْـبَـانٍ رِجَـالُـهمُ مَا إِنْ لَـهُمْ فِي رَقِيقِ العَيْشِ مِنْ رَاحِ

عَـلَـيَّ غَـنًّى: وَدَعْـنِي مِنْ كَلَامِكَ لِـي إِنْ كَـانَ غَـيًّا فَلِـي غَـيِّي وَإِصْلَاحِي[30]

وَمُؤَدَّى ذَلِكَ أَنَّ مقاربةَ د. سَامِي سويدَان كَانتْ مقاربةً اجتزائيةً، حَيثُ بَنَى تأويلاتِـه – عَلَى اعتسَافِهَا – عَلَى خَمريةٍ واحدةٍ، وَلَيسَ عَلَى قِـرَاءةٍ كليةٍ واعيةٍ لفَنِّ الخمرِ عِندَ أَبِي نواسٍ، فَوقَعَ بِذلِكَ فِيمَا أَخَذَ بِهِ أدونيسَ أَوْ قَريبًا مِنهُ، حِينَ أَشارَ إِلَـى خَلَلٍ مَنهجِيٍّ عَامٍّ يَسِمُ محاولةَ أدونيسَ قراءةَ أَبِي نواسٍ، فَقَالَ: «وَإِذَا كُـنَّا هُنَا

لَا نَتعرَّضُ للمحاولَة بأكمَلِهَا، فَإنَّنا نَكتفي بالإلماع إلَى الخلَلِ المنهجيِّ العَامّ الذي يَحكُمُها، حيثُ إنَّ أَحكَامَهَا وَنَتائجَهَا تَستَندُ إلَى أبيات مُتفرقَة ومُبعثرَة وَخَارجَ سيَاقِهَا، لَا إلَى نصوص كاملة مِنْ قَصائدَ أو مَجموعَة منَ القصَائد»[31]. وَلَا يَخفاكَ أنَّ د. **سَامي** قَدْ وَقَعَ فيمَا وَقَعَ فيه **أدونيسُ** فَاكتفَى بخَمريَّة واحدة، وَأَغْفَلَ أخوات لَهَا، ثُمَّ اعتَسَفَ في تَأْويلِهَا، فَأَرَانَا مَجلسَ الخمْرِ قُدَّاسًا في أَحَدِ أَديرَة النصَارَى أَوْ كَنائسهم، نَاهيكَ بأَنَّ مُقاربتَهُ المستوَى النحْويَّ – مَثلًا – في خَمرية أبي نواس لَا تَعْدُو أنْ تَكونَ مجردَ ملحوظات شكلية يَستطيعُها القارئُ العاديُّ، بَلْهَ النَّاقدَ المتخصِّصَ، وَلَئِنْ كَانت البنيويةُ تَحملُ الناقدَ عَلَى مثلِ هذَا التعسُّف، وَتُوقعُهُ في مِثْلِ تلكَ السطحية، لَبِئْسَت البنيويَّةُ مَنهَجًا.

هَذَا، وَلَيست الخمريَّاتُ بِدْعًا مِنْ نُصوص شعرنَا العربيِّ التي أخطَأَتْ مَدَاخلَها، أَوْ أَخْطأَ النقادُ المدخلَ اللغويَّ إلَى قراءَتهَا، حينَ ادَّرَعُوا لِقرَاءَة شعرنَا العرَبيِّ مَداخلَ أَوْرَثَتْهُم تَكلفًا واعْتسَافًا، وَرُبَّما شَطحًا في المقَاربَة وَالتأْويل، وَلَوْ أَنَّهُمْ ضَنُّوا بوَقْت وَجُهْد أَنفَقُوهمَا في فَهْم تلْكَ المناهج المستعَارَة، وَمُحاولَة تَطبيقِهَا عَلَى أدبنَا العربي قَديمه وحديثه، وَلَو أَنهُم أَنْفَقُوا ذَلكَ الوَقْتَ والجهدَ في مُقاربَة لغة أَدبنَا العَربي، وَاكتنَاه جَماليَّاتهَا وَقُدرَاتهَا الفارهَة في الإبدَاع وَالتشكيل، نَاهيكَ بتنوعهَا وَثَرَائهَا، وَاصطبَاغهَا بخصَائصَ تَختلفُ مِنْ شَاعر لآخَرَ – لَوْ أَنَّهُم فَعَلُوا ذَلكَ لَأحسَنُوا إلَى أَنفسهم، وَأَدبهم وَثقافتهم، وقُرَّائهم. لَكنَّهَا الفتنةُ بالمرجعيَّات المستعارَة، ذَاهلينَ عَنْ فَارق مُهمٍّ بَينَ ثَقافتنَا وَثَقافَة الغَرْب؛ فالمناهجُ في الثقافَة الغَربيَّة تَختلفُ وَتَتنوَّعُ لكنَّها لَا تَتناقَضُ، مثلَما تَتَناقَضُ وتَتقاطَعُ في ثَقافتنَا؛ ذَلكَ بأَنَّ "الجدَلَ المنهَجيَّ في الغَرب يَقومُ عَلى أُسُس سَليمَة، وَمَنطقُ الجدَلِ الغَرْبيِّ بذاته لَا غبارَ عَليه، وَهوَ تَعبير عَنْ كفَاية طرائق التعْبير عَنِ الرؤيَة بينَ مَرحَلَة وأُخرَى وَعَصر وآخَرَ، لَكنَّ النقدَ العربيَّ ذهَبَ إلَى دَرَجَة التبَنِّي التَّامِّ لمنهَج دُونَ آخرَ، ثُمَّ عَدَّ ذَلكَ المنهجَ هوَ الوسيلَةَ الوَحيدَةَ في التحْليل والاستقْصَاء، وَفيما لَا يُمكنُ تَلمُّسُ خِلَافَات حَادة تَبلغُ حَدَّ التناقض وَالتضَادِّ المطلق في المنَاهج النقدية في الغَرْب، بَلْ

ثَمةَ اختلافَاتٌ تَقتضيهَا الرؤيَـةُ، نَجِدُ أَنَّ تَطبيقَاتهَا في النقْدِ العرَبـيِّ قَـدْ بَلغَت مرحلَـةَ التناقُضِ الكُليِّ والتقاطُعِ، بما يُـدلِّلُ عَلَى أنَّ تلكَ المناهِـجَ قَـدْ فُـرِّغَتْ مِنْ محتوَاهَا، وَفُهِمَتْ عَلَى نَحْوٍ خَاطِئٍ، وَجَرَى تَطبيقُها ضِمْنَ مَقولَاتٍ مجردَةٍ كُلِّيـةٍ»[32].

وأقلُّ مَا يُفهَمُ مِنْ كَلامِ د. **عَبد الله إبرَاهيمَ** الآنفِ أَننا لَـمْ نُحْسِنْ فَهْمَ تلكَ المناهِجِ المجتَلَبَةِ مِنْ ثقافَـةٍ أخرَى مغايرَةٍ لثقافَتنَا، وَلَـمْ نُحْسِنْ كَذلكَ تَـمَثُّلَها وَتَطبيقَها، لَكِنَّنَا مَا زِلنَا نَتخِذُهَا أَمَارةً عَلَى الحدَاثَـةِ النقديَّـةِ، وَالتجدْيدِ الثقَافِـيِّ حِينَ عَجزنَا عَنْ إنتَاجِ حَدَاثَـةٍ ذَاتيَّـةٍ!

هَذَا، وليسَ د. **عَبد الله إبرَاهيم** وَحِيدًا في رُؤيتِـهِ تلكَ، فلقدْ طَرَحَ د. **عبدُ العزيز حَـمّودَة** في كتابِـهِ (المرايَـا المقعَّـرَة) سؤالًا جَادًّا، فقالَ: «هَلْ فَهِمَ بعضُ الحداثيينَ الحداثَـةَ الغَربيةَ حَقِيقَـةً؟ وَإِذَا كَانُوا قَد فَهمُوهَـا هَلْ نَجَحُوا في تَوصيلِ مَا فَهِمُوهُ إِلَى المتلقِّي العرَبيِّ المستهدَفِ بِالتحديثِ، وهوَ المثقفُ العاديُّ، ولْنقُلْ مَنْ أَكْملَ تَعليمَه الجامعيَّ علَى الأقلِّ، وليسَ عُضوَ (النخبَـةِ) الحدَاثيةِ؟»[33]. وَلَئِنْ لَـمْ يَـجزِمْ سُؤالُ د. **حَـمّودة** – أَوْ سُؤالَاه إِنْ أَردْنَا الدقةَ – بإِخفاقِ الحدَاثيينَ العَرَبِ في الفَهمِ والتوصيلِ؛ لقَدْ أَوْحَيَا بـارْتيابٍ في قُدرتِهم علَى فَهمِ الحداثَـةِ الغَربيةِ، وتَوصيلِهَا إِلَى المتلقِي العَربي على أقلِّ تَقــديــرٍ.

مِنْ أَجلِ ذَلكَ تَحاميتُ ادعَاءَ مَنهجٍ مُحددٍ في مُقاربَـةِ النصِّ الشعرِيِّ، فَما زَالَ المنهَجُ في خطابِنَا النقديِّ إِشكَاليةً غَيرَ مَحسومَةٍ، وَلَا تَخدعَنَّكَ كثْرَةُ العناوينِ أَوِ اللافتَاتِ التي يَضعَهُا النقادُ أَمَامَ قِراءَاتِهم، فَقَدْ رَأَيْتَ أَنَّ العنَاوينَ في وَادٍ والمقاربَاتِ في وَادٍ آخَرَ.

لَكنَّما آثَرْتُ في هَذِهِ الورقَاتِ أَنْ أَدخُلَ إِلَى النصِّ مِنْ بَابِـهِ الطَّبيعيِّ: **لُغته**، وَمِنْ ثَمَّ لَا تَنتَظِرْ مِنْ تلكَ الورَيقَاتِ أَنْ تُحدِّثَكَ عَنْ شُذُوذِ أَبِي نواسٍ أَوْ نَـرجسيَّتِه أَوْ عُقَدِه النفسيَّةِ، عَلَى نَحْوِ مَا صَنَعَ د. **النويهيُّ** في كِتابِـهِ (نَفسيةُ أَبِي نواسٍ)، وَالأستاذُ

العقادُ في كتابِه (الحسَنُ بنُ هَانِئ)، أوْ حَتَّى سِوَاهمَا؛ فَلَيسَتْ عُقَدُ أَبِي نواسٍ وَأَدْواؤُهُ النفسيةُ أو الْخُلقيةُ مِمَّا يَكتَرِثُ بِهِ كَاتِبُ تِلكَ الوريْقَاتِ، بلْ لَيسَتْ مِمَّا يَعنِيهِ في قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ.

وَلَا تنَتظرْ مِنْ تِلكَ الوريقَاتِ كَذلكَ أَنْ تَتنفَّجَ عَليكَ فَتزعُمَ تَذرُّعَها بِبنيَويةٍ أو سِيميَائيةٍ، أَوْ تَستطِيلَ فَتزعمَ تَوسُّلَها بِالتداوليَّةِ أوِ التفكِيكيَّةِ أو الحِجَاجِيّةِ، أَوْ مَا سِوَاهَا مِنْ كَلماتٍ يُخايلُ بِهَا النقادُ القَارِئَ العَربِيَّ الحديثَ، فَلَيسَ كَاتبُ هَذهِ الوريقَاتِ مِنْ تِلكَ المناهِجِ في قَبِيلٍ أَوْ دَبِيرٍ، وقُصارَى مَا تَعِدُ بِهِ تِلكَ الوريقاتُ أن تواجِهَ نَصَّ أبي نواسٍ كِفَاحًا، وأن تَلقاهُ قَبيلًا، وأن تُعنَى ببنَائِهِ وأدواتِهِ في التشكِيلِ وإنتاجِ المعنَى، وتوليدِ الدلالةِ، فَإِنْ وَافَق شَيءٌ مِمَّا كُتِبَ فِي تلكَ القراءَةِ إِحْدَى مَقولَاتِ هذهِ المناهِجِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ أَتَى عَفْوًا، وَمَا تَكَلَّفْتُهُ أو فَعلتُهُ عَنْ أَمْرِي أَوْ بِمَلْكِي.

هَذَا، وَلَقَدْ كَانَ فِي شاعِريَّةِ أَبِي نُواس وقُدرتِه علَى التخييلِ والتسْرِيدِ في خَمرياتِه، وَفي إطارٍ مَوزونٍ مُقفًّى؛ مَا يَنبغِي أَنْ يَلفِتَ النقادَ عَنْ عُقَدِهِ وأَدوائِهِ النفسيةِ، وَلَا سِيَّما أَنَّ تُراثَنا النقديَّ قدْ أَلْمَحَ إِلَى شَاعريةِ أَبِي نواسٍ، وأكدَتْها مقولَاتُ بعضِ نُقّادِهِ، وَحَسبُنَا مِنْهَا مَا يَأْتِي:

– مَا قَالَهُ **أَبُو عبيدةَ التَّميميّ**: «أَبُو نُواسٍ فِي المحْدَثِينَ مِثْلُ امْرِئِ القَيسِ في الأَقْدَمِينَ. فَتحَ لَهُم هَذِهِ الفِطَنَ، وَدَلَّهُم علَى المعَانِي وَأَرشَدَهُم إِلَى طَرِيقِ الأَدَبِ والتصَرّفِ فِي فُنونِهِ».

– وَمَا قَالَهُ **عبدُ الله بنُ محمدِ بنِ عَائشةَ**: «مَنْ طَلَبَ الأَدَبَ فَلَمْ يَرْوِ شِعْرَ أَبِي نُواسٍ فَلَيسَ بِتَامِّ الأَدَبِ».

– وَمَا قَاله **أَبُو عبيدِ الله محمدُ بنُ زِيَاد الأَعْرَابيّ** عَنْ أَبِي نُواس: «إِنَّهُ مِنْ أَشْعَرِ الناسِ، وَمَا يَمنَعُنَا مِنْ رِوَايَةِ شِعرِهِ إِلّا تَبذُّلُهُ وَسُخْفُهُ».

– وَمَا قالَه **إبراهيمُ بنُ سَيّار النظَّام** وَرَواهُ عنهُ تلميذُهُ **الـجَاحِظُ**، إذْ سَمِعَه يَقُولُ: «وَقَدْ أَنشَدَ شِعْرًا لأَبِي نُواسٍ فِي الخمْرِ: كأَنَّ هذَا الفَتَى جُمِعَ لَهُ الكَلَامُ فَاختَارَ أَحْسَنَهُ!» .

– وَيَقُولُ **أَبُو حَاتم**: «كَانَتِ المعَانِي مَدفونَةً حَتَّى أَثَارَهَا أَبُو نُواسٍ» [34].

أَمَا كَانَتْ تلكَ المقولَاتُ – عَلى عُموميّتِهَا – عَسِيَّةً بجُهدٍ نَقدِي يُؤكِّدُها أَوْ يَنفيهَا؟!.. لكنهَّا مَرّةً أُخْرَى عُقدَةُ الخواجَة.. لكنَّها الفتنَةُ بالموضَاتِ الغَرْبية، فَحِينَ زَاعَتْ أفكَارُ فُرُويد وتَحليلَاتُهُ النفسيةُ، هُرِعَ إليهَا بعضُ نقادِنَا يَقْسِرُونَ نُصُوصَنَا عَلى مُوافقَتِهَا والنطْقِ بِهَا، حتَّى ظَنَّ قُرَّاء النقْدِ في ذَلكَ الحينَ أَنَّ كُلَّ أُدبَائِنَا زَمْنَى نَفسيّونَ؛ أحدُهم نَرْجِسيٌّ، والآخَرُ سَادِي، وثَالثهم فِصَامِيٌّ، ورَابعُهم شَاذٌّ .. وَبَينَما يُعانِي بعضُهم مِنْ عُقدَةِ أُوديبَ يُعَانِي آخَرُ مِنْ عُقدَةِ إليكْتَرَا، حتَّى غدونَا نَؤُمّ كُتبَ النقْدِ الأَدبِي فنَرجِعُ بطَانًا بِعلْمِ النفْسِ ومُفرَداته، خِماصًا مِنَ النقْدِ وَإِضَاءَاتِه، وَجَعَلَتْ عناوينُ متشابِهَةٌ تُخايلُ القَارِئَ العَربِيَّ مِنْ نَحْوِ: (فُلان بنُ عِلّان: حَياتُه مِنْ شِعْرِه، أَوْ حَيَاتُهُ وَشِعْرُهُ)، وَمَا فَتِئَ نُقادٌ يَحلبُون فِي آنِيَةِ **فُرويد** وَيَحطبُونَ في حِبَالِه حتَّى ابتُذِلَتْ موضتُهُ، وافتُضِحَتِ العناوينُ، بَل الكِتَاباتُ المتشَابِهَةُ، فلم يَكُنْ بُدٌّ مِنَ استِيرادِ موضَةٍ جَدِيدَة، فَوَلَّى بَعضُ نُقادِنَا وُجُوهَهم شَطْرَ تلميذِه **كَارل يُونج** يُرَدِّدُونَ أفكَارَهُ عَنِ العقلِ الجمْعِيِّ والأَسَاطِير، حتَّى صَارَ شِعْرُنا الجاهِلِيُّ كلُّه أساطِيرَ، وَصَارَتْ كلُّ مُفرَدَةٍ مِنْ مُفْرَداتِه كَالناقَةِ والثوْرِ، والقمَرِ والشمسِ، ومَا إليهَا بِنْتًا لأسطورَةٍ مِنَ الأساطِيرِ، وَكَرَّةً أُخْرَى يَقعُ أُولئكَ النقادُ في الابتذَالِ والتشَابِه والتَكْرَارِ، بَل يَقعونَ فِي تَحميلِ النصُوصِ مَا لا تَحتملُ وإنْطاقِهَا بِما لَا تَقُولُهُ، فجَعَلُوا يَبحثُونَ مِنْ جَدِيدٍ عَنْ موضَةٍ أُخْرَى، وَقَد وَجَدُوا ضَالَّتَهم هَذِهِ المرَّةَ في موضاتٍ خَرَجَتْ مِنْ عَباءَةِ الأَلسنيَّة، كَالأسلوبيةِ أَو البِنيويةِ أَو السيميَائيةِ .. أَوْ مَا شِئْتَ مِنْ كَلماتٍ تَنتَهِي بِتِلْكَ اللاحقَةِ الحمقَاءِ (يَّة)، وَزَعَمُوها فَتحًا في الدرْسِ النقْدِي والنصِّيّ، وَظَنُّوا أَنفسَهم مُجدِّدينَ وَمَا هُمْ بِمُجدِّدينَ فِي شَيءٍ، وَمَا هُمْ إلَّا نَقَلَةٌ مُقلِّدُونَ، فَحَتَّامَ النقْلُ؟!، وإلَامَ التقْلِيدُ؟!

وَلَا رَيْبَ أَنَّ كَلامِي هَذَا سَيُحمَلُ عَلَى مُعادَاةِ الثقَافَةِ الغَرْبِيَّةِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى الانغلَاقِ النقْدِيِّ، وَلَرُبَّمَا رُمِيتُ – جَرَّاءَ هَذَا الكَلام – بِالجهْلِ وَضِيقِ الأُفُقِ، وَلَيسَ وَرَاءَ كَلامِي هَذَا سِوَى طُمُوحٍ إِلَى أَنْ تَبقَى تِلكَ المناهِجُ أَدوَاتٍ مُعِينَةً لِلناقِدِ العَرَبِيِّ، يُفِيدُ مِنهَا بِمَا يَخدُمُ نُصوصَهُ وثَقافَتَهُ، وَلَا يَتخِذُهَا بَدِيلًا لِجُهدٍ يَجِبُ أَنْ يُؤدِيَهُ تِجَاهَ النصِّ العَرَبِيِّ؛ فَلَقَدْ أَوْرَثَتْ هَذِهِ المناهِجُ كَثِيرًا مِنْ نُقَّادِنَا كَسلًا، وَحَبَّبتْ إِلَيهِم الاسْتِسْهَالَ، فَظَنُّوا أَنَّ مُجَرَّدَ تَبنِّي هَذِهِ المناهِجِ، أَوِ اتِّخَاذِهَا عَنَاوِينَ لِدراسَاتِهم يَعصِمُ تِلْكَ الدراسَاتِ مِنْ تَقْلِيدٍ، أَوْ يَسِمُهَا بِالحدَاثَةِ وَالتجدِيدِ.

ثُمَّ إِنَّنِي فَوْقَ ذَلِكَ لَحَرِيصٌ بِكلامِي السَّالِفِ عَلَى أَنْ تَكُونَ لَنَا رُؤْيَةٌ عَرَبِيَّةٌ خَاصةٌ فِي قِرَاءَةِ نُصُوصِنَا الأَدَبِيَّةِ، فَهَلْ فِي ذَاكَ حُوبٌ؟!

أولاً - الْخَمريَّةُ الأُولى

يَقُولُ أَبُو نُوَاسٍ[35]:

دَعِ الرَّبْعَ مَا لِلرَّبْعِ فِيكَ نَصِيبُ ... وَمَا إِنْ سَبَتْنِي زَينَبٌ وَكَعُوبُ

وَلَكِنْ سَبَتْنِي البَابِلِيَّةُ إِنَّهَا ... لِمِثْلِيَ فِي طُولِ الزَمَانِ سَلُوبُ

جَفَا الماءُ عَنْهَا فِي المِزَاجِ لأَنَّها ... خَيَالٌ لَهَا بَينَ العِظَامِ دَبِيبُ

إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا حَلَّقَتْ بِهِ ... فَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ يُعَدُّ أَرِيبُ

وَلَيلَةِ دَجْنٍ قَدْ سَرَيْتُ بِفِتْيَةٍ ... تُنَازِعُهَا نَحْوَ المُدَامِ قُلُوبُ[36]

إِلَى بَيْتِ خَمَّارٍ وَدُونَ مَحلِّهِ ... قُصُورٌ مُنِيفَاتٌ لَنَا وَدُرُوبُ

فَفُزِّعَ مِنْ إِدْلاَجِنَا بَعْدَ هَجْعَةٍ ... وَلَيْسَ سِوَى ذِي الكِبْرِيَاءِ رَقِيبُ[37]

تَنَاوَمَ خَوْفًا أَنْ تَكُونَ سِعَايَةً ... وَعَاوَدَهُ بَعْدَ الرُّقَادِ وَجِيبُ

وَلَمَّا دَعَوْنَا بِاسْمِهِ طَارَ ذُعْرُهُ ... وَأَيْقَنَ أَنَّ الرَّحْلَ مِنْهُ خَصِيبُ[38]

وَبَادَرَ نَحْوَ البَابِ سَعْيًا مُلَبِّيًا ... لَهُ طَرَبٌ بِالزَّائِرِينَ عَجِيبُ

فَأَطْلَقَ عَنْ نَابَيْهِ وَانْكَبَّ سَاجِدًا ... لَنَا وَهْوَ فِيمَا قَدْ يَظُنُّ مُصِيبُ

وَقَالَ: ادْخُلُوا حُيِّيتُمُ مِنْ عِصَابَةٍ ... فَمَنْزِلُكُمْ سَهْلٌ لَدَيَّ رَحِيبُ

وَجَاءَ بِمِصْبَاحٍ لَهُ فَأَنَارَهُ ... وَكُلّ الذِي يَبْغِي لَدَيْهِ قَرِيبُ

فَقُلْنَا أَرِحْنَا، هَاتِ إِنْ كُنْتَ بَائِعًا ... فَإِنَّ الدُّجَى عَنْ مُلْكِهِ سَيَغِيبُ

فَأَبْدَى لَنَا صَهْبَاءَ تَمَّ شَبَابُهَا ... بِهَا مَرَحٌ فِي كَأْسِهَا وَوُثُوب

فَلَمَّا جَلاَهَا لِلنَّدَامَى بَدَا لَهَا ... نَسِيمُ عَبِيرٍ سَاطِعٍ وَلَهِيبُ

وَجَاءَ بِهَا تَحدُو بِهَا ذَاتُ مِزْهَرٍ ... يَتُوقُ إِلَيْهَا النَاظِرُونَ رَبِيبُ

كَثِيبٌ عَلاَهُ غُصْنُ بَانٍ إِذَا مَشَى ... تَكَادُ لَهُ صُمُّ الجِبَالِ تُنِيبُ

وَأَقْبَـلَ مَحمُـودُ الجمَـالِ مُقَرْطَـقٌ ... إِلَـى كَـأْسِهَـا لَا عَـيْـبَ فِـيـهِ أَرِيبُ

يَشُـمُّ النَّدَامَـى الـوَرْدَ مِـنْ وَجَنَاتِهِ ... فَلَيْسَ بِـهِ غَيـرَ الـمـلَاحَـةِ طِيـبُ

فَمَـا زَالَ يَسقِينَـا بِكَـأْسٍ مُجِـدَّةٍ ... تُـوَلِّـي وَأُخْـرَى بَعْـدَ ذَاكَ تَـئُـوبُ

وَغَنَّـى لَنَـا صَوْتًـا بِلَحْنٍ مُرَجَّعٍ: ... سَـرَى البَـرْقُ غَـرْبِيًّا فَحَـنَّ غَرِيبُ

فَمَنْ كَانَ مِنَّا عَاشِقًا فَـاضَ دَمْعُـهُ ... وَعَـاوَدَهُ بَعْـدَ السُّـرُورِ نَحِيـبُ

فَمِـنْ بَيْنِ مَسرُورٍ وَبَاكٍ مِنَ الهوَى ... وَقَـدْ لَاحَ مِـنْ ثَـوْبِ الظَّلَامِ غُيُوبُ

وَقَدْ غَابَتِ الشِّعْرَى العَبُورُ وَأَقْبَلَتْ ... نُجُـومُ الثرَيَّـا بِالصَّبَـاحِ تَـثُـوبُ

يَـحْسنُ قبلَ قِـرَاءةِ هذه الخمرية أَنْ نُشيرَ إِلَى تُهمةٍ أو شُبهةٍ أَثَارَهـا بعضُ دُعاةِ القصيدَةِ الحداثية؛ إِذْ زَعَمُوا أَنَّ الشِّعرَ البَيتيَّ عَاجِزٌ عَنْ تَحمُّلِ الشعْرِ القَصصيِّ والدِّرَاميِّ، وأَنَّ ذلكَ العَجْزَ كانَ أَحَدَ مُسوغَاتِ الخرُوجِ عَلَى هذَا الشكْلِ الإيقاعيِّ المعهودِ للقصيدَةِ العَرَبية، ومِمَّنْ أَثَارُوا هَذِه الشبهَةَ الأستاذُ **العقَّادُ** حينَ كتبَ يشايعُ زميلَه **عبد الرحمن شكري** في مُحاوَلتِه كتابةَ الشعرِ المرسَلِ؛ حَيْثُ تَنبَّأَ **العقَّادُ** بفُشُوِّ هذه النزعَةِ الجديدَةِ فَقَالَ: «لَا مَكانَ للرَّيْبِ في أَنَّ القُيودَ الصنَاعيّةَ سَتَجْرِي عَليهَا أَحْكَامُ التغْيير وَالتنقيح، فَإِنَّ أَوْزَانَنَا وَقَوَافِيَنَا أَضْيَقُ مِنْ أَنْ تَنفَتِحَ لأَغْرَاضِ شَاعِرٍ تَفتحَتْ مَغَالِقُ نَفْسِه، وَقَرَأَ الشعرَ الغرْبِيَّ فَرَأَى كيفَ تَرْحُبُ أوزانُهم لِلأَقَاصِيصِ المطَولَة، والمقَاصِدِ المختَلِفَة، وَكيْفَ تَلِينُ في أَيديهم القَوَالِبُ الشِّعْرِيَّةُ فيُودِعُونَها مَا لَا قُدْرَةَ لشَاعِرٍ عرَبيٍّ عَلَى وَضْعِه في غَيرِ النثْرِ»[39].

وَقَدْ ذَهَبَ **العقادُ** في المقدمَةِ التي كتَبَهَا للجزءِ الأولِ مِنْ دِيوَانِ المازِنِيّ إِلَى أَنَّ القوَافِيَ المرسَلَةَ والمزدوَجَةَ والمتقابلةَ عِنْدَ شُكْرِي ثم المزدوجَة والمتقابلَة عِنْدَ **المازِنِيّ** لَيْسَتْ هيَ غايةَ المنظُورِ مِنْ وراءِ تعْديلِ الأَوزَانِ والقوَافي وَتَنقيحِهَا، ولكنهَا بمثابَةِ تَهيؤِ المَكَانِ لاستقبَالِ المذهَبِ الْجَديد؛ «إِذْ لَيْسَ بينَ الشعرِ العربيِّ وبينَ التفَرُّعِ والنَّماءِ سِوَى هَذَا الحائِلِ، فَإِذَا اتسَعَتِ القوَافِي لِشَتَّى الأَغْرَاضِ والمقَاصِدِ

وَانفَرَجَ مَجَالُ القَوْلِ بَرَزَتِ المَوَاهِبُ الشِّعْرِيَّةُ عَلَى اختلافِهَا، وَرَأَيْنَا بَينَنَا شُعَرَاءَ الرِّوَايَةِ، وَشُعَرَاءَ الوَصْفِ، وَشُعَرَاءَ التمْثِيلِ، ثُمَّ لَا تَطُولُ نَفْرَةُ الآذَانِ مِنْ هَذِهِ القَوَافِي، لَا سِيَّمَا فِي الشعْرِ الذِي يُنَاجِي الرُّوحَ وَالْخَيالَ أَكْثَرَ مِمَّا يُخَاطِبُ الْحِسَّ وَالآذَانَ، فَتَأْلَفُهَا بَعدُ، وَتَجتَزِئُ بمُوسِيقِيَّةِ الوزْنِ عَنْ مُوسِيقِيَّةِ القَافِيَةِ الموحَّدَةِ»[40].

بَلْ إِنَّ **العقَّادَ** حَاولَ أَنْ يَلتمِسَ للقوَافِي المرسلَةِ جُذُورًا فِي مَوروثِنَا الشعْرِيِّ وأورَدَ عِدَّةَ نَمَاذِجَ مِنَ الشعْرِ العربِيِّ القَدِيمِ للقَافِيَةِ المرسلَةِ، وَذَهَبَ إِلَى أَنَّ القُدَمَاءَ مَا مَنَعَهم مِنَ المضيِّ فِي هَذَا الاتجاهِ سِوَى حَالةِ الفِطْرَةِ والبدَاوَةِ التِي كانُوا عَلَيْهَا[41].

غَيْرَ أَنَّ **العقادَ** عَدَلَ عَنْ هَذَا الرَّأْيِ فِيمَا بَعْدُ، وَأَعلَنَ أَنَّهُ هُوَ وَصَدِيقَهُ **المازِنِيَّ** كَانَا يُشَايِعَانِ زَمِيلَهما شُكري بِالرَّأْيِ فِي إِهْمَالِ القَافِيَةِ دُونَ استطَابَةِ إِهْمَالِهَا بِالأُذُنِ، وَأَنَّهُ هُوَ نَظَمَ القَصَائِدَ الكِثَارَ مِنْ شَتَّى القَوَافِي، وَلَكِنَّهُ طَوَاهَا كُلَّهَا، لأَنَّهُ لَمْ يَستَسِغْهَا، وَلَمْ يُطِقْ تِلَاوتَهَا بِصَوْتٍ مَسمُوعٍ، وَإِنْ قَلَّ نُفُورُهُ مِنْ قِرَاءَتِهَا صَامِتَةً، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ إِفْسَاحَ الفُرْصَةِ لِهَذِهِ التجْرِبَةِ عَسَى أَنْ تَكونَ النفْرَةُ عَارِضَةً لِقِلَّةِ الأُلفَةِ، وَأَنَّ المهلَةَ لَا تَطولُ أَكثَرَ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ أو عِشْرِينَ سَنَةً عَلَى الأَكثَرِ حَتَّى نَستغنِيَ عَنِ القَافِيَةِ حَيْثُ نُرِيدُ الاستغنَاءَ عَنْهَا فِي الملَاحِمِ والمطوَلَاتِ، وَلَكِنَّهُ – وَبَعْدَ مُرُورِ ثَلَاثِينَ سَنَةً عَلَى تلكَ المقدِّمَةِ التِي كَتبهَا لِدِيوَانِ صدِيقِهِ المازِنِيِّ مُؤيدًا هَذِهِ الدعْوَةَ – يَذكُرُ أَنَّهُ لَا يَزالُ يَنقَبِضُ لِاختِلَافِ القَوافِي بَينَ البيتِ وَالبيتِ، فَيَمنعُهُ الانقباضُ عَنِ الاسترسَالِ فِي سَماعِ القصيدَةِ أَوْ قِراءتِهَا وَ«أَنَّ سَلِيقَةَ العَرَبِيِّ تَنفِرُ مِنْ إِلْغَاءِ القَافِيَةِ كُلَّ الإِلغَاءِ»[42].

عَلَى أَنَّ ارتدادَ **العقَّادِ** عَنِ تأييدِهِ لحركةِ الشعرِ المرسَلِ 1943م وَكذلكَ انصرَافِ شكري عَنِ الكتابةِ بِهِ قبلَ ذَلكَ بثلاثينَ عَامًا – بعدَ صدورِ الجزءِ الثاني من ديوانِهِ سَنَةَ 1913– ثم انصرافَهُ عَنِ الشعرِ كليةً بعدَ سَنةِ 1919م، كل ذَلكَ لَمْ يَقْضِ عَلَى

حَركَةِ الشعرِ المرسَلِ، حَيْثُ حَمَلَ لواءَهَا بعدَ **شكري والعقاد** رُوادٌ مصريونَ آخرونَ في مقدمَتِهم **محمدُ فريد أبو حديد وأحمدُ زكي أبو شادي**.

وَقَدْ شَابَهَ الأستاذَ **العقادَ** الدكتورُ **محمَّدُ النويهيُّ**؛ حيثُ يَقولُ: «بَلْ يَكفِي في هذَا المجالِ أنْ نتذكَّرَ الميدانينِ العظيمينِ اللذينِ لَا يَزالُ شعرُنَا قديمُه وجديدُهُ مُقصِّرًا فِيهمَا أفدحَ تقصيرٍ، مَيدانَ الشعرِ القصصيِّ وميدانَ الشعرِ الدراميِّ. ووَاضحٌ كلَّ الوضوحِ لكلِّ ذِي نظرَةٍ نزيهةٍ أننَا لنْ نَأتيَ بشيءٍ ذِي قيمةٍ في كِلَا الميدانَينِ إلَّا إذَا تَعلمْنا عَامدًا (هكذا) مِنَ التُّراثِ الغربيِّ كمَا تعلَّمْنَا منهُ فَنَّ الروايةِ النثريةِ والمسْرحيةِ النثريةِ. وهَنا تَتجَلَّى مَيزةٌ عَظيمةٌ أَخيرةٌ للشكلِ الجديدِ لَمْ نَعرضْ لهَا حَتَّى الآنِ؛ لأننَا كُنا نَقصرُ كلامَنا عَلَى الشعرِ الغنائيِّ، والقارئُ الذِي يَعرفُ الطبيعةَ الحقةَ لكلٍّ مِنَ الشعرِ القصصيِّ والشعرِ الدراميِّ لَنْ يَحتاجَ إلَى أَنْ نُطيلَ في التدليلِ عَلَى هذِه الحقيقةِ: إنَّ الشكلَ التقليديَّ للقصيدَةِ يَعجِزُ عَجْزًا تَامًّا عَنِ النهوضِ بهذيْنِ الفنينِ فجَميعُ عيوبِهِ التِي عَدَدنَاهَا في الفَصْلِ الأولِ مِنْ هذَا البابِ تحطِّمُ الأسلُوبَ الشعريَّ القصصيَّ وتحطِّمُ الأسلُوبَ الشعريَّ الدّرَاميَّ تَحطيمًا لاَ يَتحققُ بعدَهُ لهما قِيامٌ في الشكْلِ القَديمِ»[43]، ثُمَّ يَقُولُ عقيبَ قَولِهِ الآنفِ: «فَالشكلُ الجديدُ بحُريتِهِ في عَددِ التفاعيلِ في البيتِ الواحدِ، وَبتَخلصِه مِنْ (سِيمتريَّةِ) البيتِ ذِي المصرَاعيْنِ، وبسهولةِ تَخلصِه مِنَ القافيةِ حِينَ لَا يَحتاجُ إليهَا .. وَبِمَا لَهُ مِنْ قُدْرةٍ طَيبةٍ عَلَى تَنويعِ الإيقَاعِ والنغَمِ .. يَستطيعُ الشكلُ الجديدُ أَنْ يُحققَ مَا عَجَزَ الشكلُ التقليديُّ عنهُ مِنْ مُطاوعَةِ التأليفِ في فَنَّي القَصَصِ الشِّعْرِيِّ وَالدِّرَامَةِ الشِّعْرِيَّةِ»[44].

كَمَا أَثَارتْ **نازكُ الملائكَة** الشبْهَةَ ذاتَهَا، وَإِنْ كَانتْ قَدْ حَصرَتْهَا في القافيةِ العربيةِ، فجَعلتهَا حَجَرًا أَمامَ شِعْرِ الملاحِمِ وَالقِصَّةِ، وَلَمْ تَرْمِ الإطارَ الشطريَّ كلَّهُ بتهمةِ حِرْمانِ القصيدَةِ العربيةِ مِنَ الشعْرِ الملحميِّ والقَصصيِّ، تقولُ **نَازك**: «ثُم نَتحدَّثُ عَنِ القافيةِ، ذَلكَ الحجَرِ الذِي تُلقمُهُ الطريقةُ القديمةُ كلَّ بَيتٍ، قَالُوا إنَّ العربيةَ لغةٌ واسعةٌ غَنيَّةٌ، وَأَنَّ ذَلكَ يُبرّرُ كَونَها اللغةَ الوَحيدةَ التِي اتخذَتْ القافيةَ

الموحدةَ سُنَّةً في قَصائِدِهَا، وَنَسُوْا أنَّ أَيَّـةَ لغَـةٍ مَهما اتَّسَعَتْ وَغَنِيَتْ، لَا تَستطِيعُ أَنْ تُمدَّ (مَلحمةً) بقَافيةٍ موحَّدَةٍ، أيًّـا كَانَتْ، وَلَـمْ يَنتبِهُوا إلَى أنَّ ذَلِكَ كَانَ وَاحِدًا مِنَ الأسبابِ التِي حَالَتْ دُونَ وُجودِ الملحَمَـةِ في الأدَبِ العَرَبِـيِّ، مَعَ أنَّـهَا وُجِدَتْ في آدَابِ الأُمَمِ المجَاوِرَةِ كَالفُرْسِ واليونَانِ»[45].

وَلَكَ أَنْ تَعجَبَ حِينَ تَرَى نَازِكَ الملائكَة تَـنقُضُ غَـزْلَـهَا بِيدَيْـها؛ ذَلِكَ بأنَّـها نَاقضَتْ قَـولَـهَا الآنفَ وَأَكْذَبتْـهُ؛ حَيْثُ أَكَّدَتْ في كِتَابِـهَا (قَضايَا الشِّعْرِ المعَاصِر) عَدَمَ صَلاحِيَّـةِ الشعْرِ الحرِّ للمَلَاحِم، تَقُولُ نَـازِكُ: «يَـرْتكِزُ أَغلَبُ الشعْرِ الحرِّ – ثَمانِيةُ بُحُورٍ مِنْـه مِنْ عَشرَةٍ – إلَى تَفعيلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَذَلِكَ يُسبِّبُ فِيهِ رَتَابَـةً مُـملَّـةً، خَاصةً حِينَ يُـرِيدُ الشاعِـرُ أَنْ يُطِيلَ قَصيدَتَـهُ، وَعِندِي أَنَّ الشعْـرَ الحـرَّ لَا يَصلُحُ للمَلَاحِم قَـطُّ؛ لأنَّ مِثلَ تِلكَ القصائِدِ الطويلةِ يَنبغِي أَنْ تَـرتكِزَ إلَى تَنويعٍ دائِمٍ لَا في طُولِ الأَبيَاتِ العدَدِيِّ فَحسْبُ، وَإنَّـما في التفعيلَاتِ نَفسِهَا، وَإلَّا سَئِمَها القَارِئُ، وَمِـمَّا يُلاحَـظُ أَنَّ هَذِهِ الرتَابَـةَ في الأَوزَانِ تُـحتِّمُ علَى الشاعِـرِ أَنْ يَبذُلَ جُهدًا مُتعِبًا في تَـنويعِ اللغةِ وَتَوزِيعِ مَراكِزِ الثقَلِ فِيهَا، وَتَـرتِيبِ الأفكَارِ، فَهذِهِ كُلُّها عَنَاصِرُ تَعوِيضٍ تُـخفِّفُ مِنْ وَقْـعِ النغَمِ المملِّ»[46].

أَوَلَيسَ عَجيبًا أن يكونَ الشعْرُ الحرُّ غَيْرَ صَالِحٍ للشعْرِ الملحَمِيِّ؟! مَعَ أنَّ د. **النويهيَّ ونازكَ الملائكة** وَمَنْ لَـفَّ لَـفَّهما مَـا رَمَـوْا الشِّعْرَ الشَّطْرِيَّ بِـالعجْـزِ عَنْ تَـحمُّلِ الشعْرِ الملحَمِيِّ والقصَصيِّ إلَّا لِتسْوِيغِ الشعرِ الحرِّ أو الشكْلِ الجديدِ وَتَـقديمِه بَـديلًا للشعْرِ الشطْـرِيِّ، فَفِيمَ كَانَتِ التهمَةُ إذَنْ؟! وَلِـمَ الجلَبَـةُ؟! أَوَليسَ عَجيبًا كذلكَ أن يُنسَبَ العَجْـزُ إلَى شَكْلٍ شِعْـرِيٍّ دُونَ سِوَاهُ؟! مَعَ أنَّ الشكْلَ الشعْـرِيَّ أَداةٌ لَا غَيْـرُ، وَيْـكَأنَّ الشكْلَ (الأَدَاةَ) يُبدِعُ بِذَاتِـهِ وَلَا دَخْلَ لِـمَنْ يَستخدِمُـهُ!

وَلَقَدْ فَـاتَ د. **النويهي ونازكَ الملائكَة** أَنَّ قَضيَّـةَ غِيابِ الملاحِمِ عَنْ شِعْرِنَـا العَـرَبِـيِّ قَديمةٌ؛ فَـقَدِ التفَتَ إلَيهَا بَعضُ أَسْلافِنَا، وَلَا سِيَّـما مَـنْ عُنِـيَ منهُم بِتُـرَاثِ

أَرسْطُو أو الشعْرِ اليونانـيِّ، وَمُقارنَتِه بِالشعْرِ العَربـيِّ، وَمَا جَالَ بِخَاطِرِهِمْ قَطُّ أَنَّ الإِطَارَ الشَّطْرِيَّ عَاجِزٌ عَنْ إِنْتاجِ الشعْرِ الملحمِيِّ، ولكنهُم عَزَوْا غِيَابَ الشعْرِ الملحَمِيِّ عَنِ الشعرِ العَربـيِّ إِلَى اختلَافِ طَبيعةِ الشعرِ العرَبـيِّ، وَمَقاصده عَنِ الشعْرِ اليونَانـيِّ؛ فكَانَتْ رُؤيتُهم – عَلَى عُموميتِهَا وافتقَارِهَا إِلَى التفْصيلِ – أَقْوَمَ وَأَهْدَى سَبيلًا، فَمما تَـقبلُـهُ العقولُ وَتُسيغُـهُ أَنْ تَختلفَ طَبائـعُ الأُمَمِ وَمَقاصِدُهَا مِنْ فُنونـهَا، فَتختَلِفَ تبعًا لِذَلِكَ طَبائـعُ أَشعَارِهَا وفُنونـهَا. يقولُ **حَازِمُ القرطَاجنّيُّ**: «فإنَّ الحكيمَ أرسطاليسَ، وَإِنْ كَانَ قَد اعتَنَى بالشعْرِ بحَسَبِ مَذاهِبِ اليونَانيَّـةِ فيه، وَنَبَّـهَ عَلَى عَظيمِ مَنفعَتِه وَتَكلَّمَ في قَوانينَ عَنهُ، فَإِنَّ أشعارَ اليونَانية إِنَّـما كَانَتْ أَغْرَاضًا مَـحدودَةً في أوزَانٍ مَـخصُوصَةٍ، وَمَدَارُ جُلِّ أَشعَارِهِم عَلَى خُـرَافَاتٍ كَانُوا يَضَعُونَـهَا يَفْرِضُونَ فيهَا وُجُودَ أَشياءَ وَصُوَرٍ لَـمْ تَـقَعْ في الوجُودِ، وَيَجعَلُونَ أَحَاديثَهَا أَمْـثَالًا وَأَمْـثلَـةً لِـمَا وَقَعَ في الوُجُودِ. وَكَانَتْ لَـهُمْ أيضًا أَمثَالٌ في أشياءَ مَوجُودَةٍ نَحْوًا مِنْ أَمثَالِ كَليلةَ ودمنةَ، وَنَحوًا مِـمَّا ذَكَرَهُ النابغَةُ مِنْ حَديثِ الحيةِ وَصَاحبِهَا، وَكَانَتْ لَـهُمْ طَريقَةٌ أيضًا – وَهِيَ كَثيـرَةٌ في أَشْعَارِهِم – يَذْكُرُونَ فيهَا انتقَالَ أُمورِ الزمَانِ وَتَصاريفَهُ، وَتَنَقُّلَ الدولِ وَمَا تَـجرِي عليه أَحوالُ الناسِ وَتَـؤُولُ إِليه.

فَأَمَّا غَيْرُ هذهِ الطُّرُقِ، فَلَمْ يَكنْ لَـهُمْ فيهَا كَبيرُ تَصَرُّفٍ، كَتشبيهِ الأَشيَاءِ بِالأَشيَاءِ، فَإِنَّ شِعْرَ اليونَانيينَ لَيسَ فيه شَيءٌ مِنْـهُ، وَإِنَّما وَقَعَ في كَلامِهم التشْبيهُ في الأَفعَالِ لَا في ذَوَاتِ الأَفْعَالِ»[47].

وَلَـم يَـفُتِ الدكتورَ **ابنَ الخوجَةِ** مُـحقِّـقَ المنهَاجِ أَنْ يَلْفِتَنَا إِلَى أَنَّ حَازِمًا مَسبُوقٌ إِلَى هَذَا الكَلَامِ، وَلَـمْ يَـتفَرَّدْ بِـه في تُـرَاثِنَا النقْدِيِّ، وَبِذَلِكَ نَعْلَمُ أَنَّ اختلافَ العرَبِ واليونَانِ في الرؤيَـةِ الشعريَّـةِ لَـمْ يَغِبْ عَنْ وَعْـيِ أَسلَافِنَا، وَلِكَيْ تَكتَمِلَ الصورَةُ، فَهَاكَ تَعليقَ الدكتورِ **ابنِ الخوجَةِ** عَلَى كَلامِ حَازِمٍ الآنِـفِ: «هَذَا مَأخوذٌ مِنْ كَلامِ الشيخِ الرئيسِ – **ابنِ سينَا** – **حينَ قَالَ**: (وَالشِّعْرُ اليونَانـيُّ إِنَّـمَا كَانَ يُـقصَدُ فيه في أَكثَرِ الأَمْـرِ، مُـحاكَاةُ الأَفعَالِ والأَحوَالِ لَا غَيْرُ. وَأَمَّا الذَّوَاتُ فَلَمْ يَكُونُوا يَشتَغِلُونَ

بِمُحاكَاتِـهَا أَصْلًا كَاشْتِغَالِ العرَبِ. فإنَّ العرَبَ كَانَتْ تَـقولُ الشعْرَ لِوجْهَينِ: أَحدهـمَا لِيؤثِّرَ في النفْسِ أَمْرًا مِنَ الأُمورِ تَعِدُ بِـهِ نَحْو فِعْلٍ أو انفِعَالٍ، وَالثَّانِـي لِلْعُجْبِ فَقَط. فكانَتْ تُشبِّـهُ كلَّ شَيءٍ لِتُعجَبَ بِحُسْنِ التشْبيه، وَأَمَّا اليونَانيُّونَ فكَانُوا يَقصدُونَ أَنْ يَـحثُّوا بِالقَولِ عَلَى فِعْلٍ أَوْ يَـردَعُوا بِالقَوْلِ عَنْ فِعْلٍ، وَتَارةً كانُوا يَفعلُونَ ذَلكَ عَلَى سَبِيلِ الخطَابَـةِ وتَارَةً عَلَى سَبِيلِ الشِّعْرِ. فَلِذَلِكَ كَانَتِ المحَاكَاةُ الشعْرِيَّـةُ عِنْدَهُم مَقصُورَةً عَلَـى الأَفَاعِيلِ وَالأَحْوَالِ)»[48].

وَصَفوةُ القَولِ: أَنَّ أَسْلافَنَا رَأَوْا اختلَافَ شِعْرِنَـا العَرَبِـيِّ عَنْ الشعرِ اليونَانـيِّ اختلَافًا في الطبائِعِ وَالغايَاتِ أَو المقَاصِدِ بينَ الأُمَـمِ، وَلَـيْسَ اختلَافًا في الأَدَوَاتِ أَو الوسَائِـلِ وَالأَشْكَالِ؛ لِـذَا لَـمْ يَـتَّـهِمُوا الشعْرَ العَربِـيَّ بِالقُصُورِ، وَلَـمْ يَـرْمُوا إِيقَاعَهُ بِالضِّيقِ أَوْ يَـرَوْا فِيهِ قَـيْدًا يَـحُولُ بَينَهُ وبَينَ احْتِمَالِ فُنُونٍ لَيسَتْ مِنْ غَايَاتِ شَاعِرِهِ، عَلَى نَحْـوِ مَا فَعلَ نُـقَادُنَا المحْدَثُونَ.

وَزِدْ إلى ذلكَ أَنَّ كلامَ نقادِنَا المعَاصِرينَ (العقَّاد – النويْـهي – نَـازِك) بحَاجَةٍ إلى إعادة نظَرٍ؛ فليسَ يَخفَى أنهُ حُكمٌ عامٌّ مُرسَلٌ يَنقصهُ استقراءٌ لِلقصيدَةِ العَربية، وَسَبْرٌ لأَدَوَاتِ إنتاجِهَا، أَوْ تِقنياتِ تَشكيلِهَا، وَمِنهَا – دُونَما رَيبٍ – البِنَاءُ السَّرديُّ والدراميُّ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ هَذَا الكلامَ لَا يَشي بِتُؤَدَةٍ أو تَدبُّرٍ وَتَمـهُّلٍ أَمَامَ تُرَاثِنَا الشعريِّ، نَاهِيكَ بأَنَّـهُ قِيلَ تَحتَ وَطْأَةِ الفتنةِ بِالقَصيدَةِ الغَربيةِ، وَلَاسِيَّما النموذجُ الإِلْـيُوتِـيُّ الذي بَنَى د. النويهيُّ كِتابَـهُ (قَضيةُ الشعرِ الجديدِ) عَليهِ بوصفِهِ النموذجَ الذي يَنبغِي أَنْ يَحتذِيَـهُ الشاعرُ العربيُّ المعاصرُ، إِذَا شَاءَ لِقصيدتِـهِ أَنْ تُـعوِّضَ القَصَصيةَ والدِّرَاميةَ، وَقَدْ حُرِمَتْ مِنْهُما أَحْقَابًا مُتعاقِبَـةً بِسببِ إيقَاعِهَا البيتيِّ أَوِ الشطْرِيِّ!

وَحَـقًّا أَنَّ القصائدَ الدراميةَ والقَصَصيَّـةَ المكْتَملَـةَ في تُـراثِنَا قَليلَـةٌ، لَكِنَّ الفلْـذَاتِ الحِوَاريَّـةَ والمقَـاطِعَ السَّـرْدِيَّـةَ دَاخِلَ القَصيدَةِ العرَبـيَّـةِ كَثيرَةٌ جِدًّا، وَيُـمْكِنُ رَجْعُ قلةِ

القَصائدِ القَصصيةِ والدراميةِ المكتملَةِ في تراثِنَا الشعريِّ إِلَى أنَّ البِنْيَتَيْنِ: السرديةَ والدراميةَ لَمْ تَكونَا مِنْ غَاياتِ الشاعرِ العربيِّ، وَهوَ شَاعِرٌ غِنَائِيٌّ في الْمَقَامِ الأوَّلِ، لَكنَّهُ لَمْ يَعْجِزْ عَنهمَا حِينَما أَرَادَ، وَمَا كانَ النمَطُ الإيقاعيُّ عَائقًا لَهُ عَنِ السَّرْدِ أَوِ الحِوَارِ، وَتَشْهَدُ بِذَلِكَ بَعْضُ القَصَائِدِ التي اكتمَلَ فِيهَا ذَانِكَ البِنَاءَانِ (السرديِّ وَالحِوَارِيِّ) أَوْ أَحَدُهمَا، كَمِيميَّةِ **الحطَيْئَةِ** التِي يَبْدَؤُهَا بقَولِهِ:

وَطَاوِي ثَلَاثٍ عَاصِبِ الْبَطْنِ مُرْمِلٍ بِتَيْهَاءَ لَمْ يَعْرِفْ بِهَا سَاكِنٌ رَسْمًا

وَلَقَدْ ذَاعتْ تِلكَ الميميَّةُ بِوَصْفِهَا نَمُوذَجًا للبِنَاءِ السردِيِّ المكتملِ في شِعْرِنَا العربيِّ، حَتَّى كَادَتْ تُظَنُّ فَارِدَةً، لَا أَشْبَاهَ لَهَا أَوْ نَظَائِرَ فِي تُرَاثِنَا الشِّعْرِيِّ!

هَذَا، وَتُمَثِّلُ خَمْرِيةُ **أَبِي نُوَاسٍ** هَذِي إِحْدَى قصَائِدِ التُّرَاثِ التِي اكتَمَلَ فِيهَا البِنَاءُ السردِيُّ؛ فَنَحنُ مِنْ القَصيدَةِ السالِفَةِ بإزاءِ قصةٍ قصيرةٍ أَوْ قُصيصَةٍ مُكتَمِلَةِ الأَرْكَانِ، فَفِيهَا: الحدَثُ، والمقدمَةُ والعُقْدَةُ والحَلُّ، والنهايةُ، وفيهَا الشخصيَّاتُ، والزمَانُ وَالمكَانُ، وَالمفاجَأَةُ، وَالاسترجَاعُ، والمفارَقَةُ، وَالتنَاصُّ، وَمِنْ ثَمَّ نَستطِيعُ القولَ بأَنَّ الصورَةَ التِي تُقدِّمُهَا هَذِهِ القَصيدَةُ / القصَّةُ هِيَ صُورَةٌ كُليَّةٌ، أَوْ مَشهَدٌ رُبَّمَا يَكونُ يَوميًّا لطائفَةِ اللاهِينَ وَالماجِنِينَ الذينَ ازْدَادُوا في العَصْرِ العبَّاسِيِّ، أَعْنِي مَشهَدَ المنادَمَةِ أَوْ الاجْتِمَاعِ عَلَى شُرْبِ الْخَمرِ، وَالغِنَاءِ، وَحَقًّا أن ثمةَ صورًا جزئيةً تَخللَتْ ذلكَ البِناءَ السرديَّ، لَكنَّهَا كانتْ موظفةً كذلكَ في بناءِ هذهِ الصورةِ الكليةِ وإنتاجِهَا، وَهَذَا إجمالٌ يَحتَاجُ إِلَى تَفْصِيلٍ:

يُمهدُ الشاعرُ لهذَا الحدَثِ بأربعَةِ الأبياتِ الأُولَى، وَفِيهَا يَستبدِلُ بالمقدمتيْنِ الطللِيةِ والغزليةِ المقدمةَ الخمريةَ التِي تناسِبُ مشهدَ الشرابِ واللهوِ الذِي تُصورُهُ القصيدةُ، يقولُ **أَبُو نُواسٍ**:

دَعِ الرَّبْعَ مَا لِلرَّبْعِ فِيكَ نَصِيبُ وَمَا إِنْ سَبَتْنِي زَينَبٌ وَكَعُوبُ

وَلَكِـــنْ سَبَتْنِي البَـابِلِيَّـةُ إِنَّـهَـــا لِـمِثْلِيَ فِـي طُـولِ الـزمَانِ سَلُوبُ

جَفَـا المَاءُ عَنْهَا فِي الـمِزَاجِ لأَنَّـهَـا خَـيَـالٌ لَـهَـا بَيـنَ الـعِظَامِ دَبِيبُ

إِذَا ذَاقَهَـا مَـــنْ ذَاقَهَـا حَلَّقَتْ بِـهِ فَلَيْسَ لَـــهُ عَـقْـلٌ يُـعَـدُّ أَرِيـــبُ

وَأَولُ مَا يَستوقِفُنَا فِي تِلْكَ المقدمَةِ فِعلُ الأمرِ الذِي بَدأَ بِـهِ النصُّ «دَعْ»، وَمَا يَقْتضيهِ مِنْ وجُودِ مُـخاطَبٍ يَنْصَحهُ الشاعرُ، بِالإعراضِ عنْ بكاءِ الأطلالِ، والحديثِ عَنِ الرَّبْعِ والدِّيَارِ، فَهَلْ كانَ **الحسَنُ بنُ هانئٍ** جَاريًا فِي تِلكَ البدايَـةِ عَلَى مَا دَرجَ عَليهِ الشعرَاءُ فِي مقدمَاتِ قصائدِهم مِنْ تَـخَـيُّلِ شَخْصٍ أو أَشْخَاصٍ يُـخَـاطِبُونَـهَمْ؟، وهوَ مَا عُرِفَ بِاسْمِ (**التَّجْرِيدِ**)، مِثْلَمَا فَعلَ امْـرُؤُ القَيسِ، فَقَالَ فِي مَطلَعِ مُعلقَتِهِ:

قفَا نبكِ مـن ذِكرَى حبيبٍ ومنـزِلِ بِسقطِ اللّوَى بـنَ الدخُولِ فَحَوْمَلِ

أَحْسَبُ أَنَّ **أَبَا نُواس** يُـحَدِّثُ نَفسَهُ، وَلَا يَتخَيّلُ شَخصًا يوجِّهُ إليهِ الخطابَ فَيأمُرهُ بِالإعرَاضِ عنْ ذِكْرِ الديارِ، وَالتغزُّلِ فِي الظاعِنَاتِ مِنْهَا أَوْ مَنْ كُنَّ يَسكنَّـهَا، ولعلَّ مِـمَّا يُرجِّحُ ذلكَ أَنَّ **أبا نُواسٍ** يَدعُو إِلَى مَا يُـؤْمِنُ بِهِ، وَمَا مَارَسَهُ فِي غَيرِ مَطلعٍ مِن مَطالعِ قصائدِهِ، عَنيتُ حَـمْلَتَهُ علَى المقدمَةِ الطللية – أولًا –، وَذَلِكَ مَا يَقُولُهُ الشطرُ الأولُ: (**دَعِ الرَّبْعَ مَا للرَّبْعِ فِيكَ نَصِيبُ**)، وَحَملتُهُ عَلَى المقدمَةِ الطللية أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُستدَلَّ عَلَيهَا، ثُمَّ حَملتُهُ عَلَى المقدمَةِ الغزلية، وذَلكَ مَا يَقولُهُ الشطرُ الثاني: (**وَمَا إِنْ سَبَتْنِي زَينَبٌ وَكَعُوبُ**)، وَلَـمْ يَقصدِ الشاعرُ بِزَينَب وكَعُوب امرأَتيْنِ بعينِهمَا، وإِنّما هـمَا رَمزٌ لكلِّ أُنْـثَى تَشغَل غَيرَهُ مِنَ الشعرَاءِ، ذَلِكَ أَنَّ لَه مَعشُوقةً أُخرَى تَأسِرُهُ، وَتَحظَى بِاهتمامِهِ: إِنَّـهَا (الخمْرُ/ البابليةُ)، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْمُقدِّمتيْنِ (الطللية والغزلية) مقترنتَانِ كَثيرًا فِي القَصيدةِ العربيةِ التِي اتخذَهَا الشعرَاءُ حتَّى عَصرِ **أَبِي نواس** وبعدَهُ نَموذجًا يُـحْتذَى فِي البنَاءِ الشعرِيِّ، فَطَالَـمَا مَـزَجَ الشعراءُ بينَ الطلَلِ والنسيبِ، أو رَبَطُوا رَحيلَ المحبوبةِ بِإقفَارِ الديارِ، كأَنْ يَبدَأَ **طرفةُ بنُ العبدِ** معلقتَهُ جَامعًا بينَ خولَةَ وأطلَالِـهَا:

لِـخَـوْلَـةَ أَطْـلالٌ بِـبُـرْقَـةِ ثَـهْمَـدِ تَـلُوحُ كَـبَـاقِـي الوَشْمِ فِي ظَاهِـرِ اليَـدِ

وَرُبَّـمَا يؤكِّدُ تلكَ المناجاةَ كَذلكَ مَا جَرَتْ عَليه سُنَّـةً كَثيرٍ مِنَ القصَـائِدِ العَربيةِ فِي مَطَالِعِهَا، حيثُ يَستفْتِحُهَا الشاعِرُ مُناجِيًا نفسَهُ بِضَميرِ الخِطابِ، دُونَ ضَميرِ التكلُّمِ، حيثُ يُفضِي ضَميرُ التكلمِ في مِثْلِ هَذهِ المناجَاةِ إِلَى إِخْرَاجِ النصِّ مِنْ دَائِرَةِ الشاعِريَّـةِ إِلَى دَائِرَةِ الْـخِطَابِ العَادِيِّ وَيَـحْـرِمُـهُ خُصوصِيَّـةَ التشكِيلِ الشعْرِيِّ أَوْ الجمالِـيِّ، فَحِينَ قَـالَ **الأَعْشَى**:

وَدِّعْ هُـرَيـرَةَ إِنَّ الـرَّكْبَ مُـرْتَحِـلُ وَهَـلْ تُـطِيقُ وَدَاعًـا أَيُّـهَـا الـرَّجُـلُ

وَحِينَ قَـالَ:

أَلَـمْ تَـغْتَمِضْ عَينَـاكَ لَيلَـةَ أَرْمَـدَا وَعَـادَكَ مَـا عَـادَ السَّلِيـمَ المسَهَّـدَا

وَحِينَ قَـالَ:

أَشجَـاكَ رَبْـعُ مَـنَـازِلٍ وَرُسُـومِ بِـالْـجِـزْعِ بَينَ حُـفَيْـرَةٍ، فَـمُنِيمِ؟[49]

لَـمْ يكن مخاطبًا غَيْرَ ذَاتِـهِ، وَلَا مُناجِيًا غَيْرَ نَفْسِهِ، وَقُـلْ مِثْـلَ ذَلِكَ فِي قَولِ **المتنَـبِّي**:

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَـرَى الموْتَ شَافِيَا وَحَسْـبُ المَنَـايَـا أَنْ يكُـنّ أَمـانِيَـا

تَـمَنّيْتَهَـا لَـمّـا تَـمَـنّـيْـتَ أَنْ تَـــرَى صَـدِيقًـا فَـأَعْيَـا أَوْ عَـدُوًّا مُـداجِـيَـا

وَزِدْ إِلَى مَا تَقَدَّمَ (**الالْتِفَاتَ**) فِي الشطرِ الثانِي؛ حَيثُ تَـحوَّلَ **أَبُو نُواسٍ** فِيهِ مِن ضَميرِ المخَاطَبِ (دَعْ) فِي الشطرِ الأولِ، إِلَى ضَميرِ المتكلمِ (سَبَتْنِي) فِي الشطرِ الثانِي، وفِي ذَلكَ الالتفاتِ مَا يُـرجِّـحُ – إِنْ لَـمْ يُـؤَكِّـدْ – أَنَّ **أَبَا نُـواسٍ** يُـحَدِّثُ نفسَهُ، وَلَا يخاطِبُ شَخصًا متخَيلًا، وَمُـؤَدَّى ذَلكَ أَنَّ القصيدَةَ قَـدْ بَـدَأَتْ بِـإِحْدَى تِـقنيَّاتِ السَّـرْدِ المعروفَـةِ الآنَ بِـالمونولُوجِ أَوِ الحوارِ الداخلـيِّ، وَهِـيَ إِحْدَى تِـقْنِيَّاتِ مَا يُـسمَّى تَـيَّـارَ الوَعْـيِ فِي الـرِّوَايَـةِ.

هَذَا، وَقَدْ كُنتُ أَحسبُني تَفَرَّدْتُ حِينَمَا أَوَّلْتُ فِعْلَ الأَمْرِ (دَعْ) بِأَنَّهُ مُناجَاةٌ أو حِوَارٌ دَاخِلِيٌّ، حَتَّى دَلَّنِي أُستاذٌ كَرِيمٌ إِلَى تَقْسِيمِ البلَاغِيينَ التجْرِيدَ إِلَى: مَحْضٍ، وَغَيْرِ مَحْضٍ، فَلَمَّا عُدْتُ إِلَى حَدِيثِ **ابنِ الأثيرِ** عَنِ (التجْرِيدِ) أَلفيتُهُ قَدْ سَبقَنِي إِلَى مَا قُلْتُ، بَلْ قَالَ أَفضَلَ مِمَّا قُلْتُ، بَيدَ أَنَّهُ لَمْ يَذكُرْ مُصطلَحَ المنَاجَاةِ أَوِ الحِوَارِ الداخلِيِّ أَوْ تَيَّارِ الوَعْيِ، أَيْ أَنَّهُ اهتَدَى إِلَى الفكرةِ، وَلَمْ يَذكُرِ المصطلَحَ أو المفهُومَ، وَلَيسَ يَضيرُهُ ذَلِكَ فَلكُلِّ عَصْرٍ مُصطلحَاتُهُ وَمَفَاهِيمُهُ، وَقَدْ ذَكَرَ ابنُ الأَثيرِ كَلَامًا كَثِيرًا عَنِ (التجْرِيدِ)، وَيُهِمُّنَا مِنهُ مَا ذَكَرَهُ عَنِ التجْرِيدِ المَحْضِ؛ فَإِذَا كَانَ ابنُ الأثيرِ قَدْ عَرَّفَ التجْرِيدَ بِأَنهُ: «إِخْلَاصُ الخِطَابِ لغيرِكَ. وَأَنْتَ تُرِيدُ بِهِ نَفْسَكَ لَا المُخَاطَبَ نَفْسَهُ»[50]؛ فَإِنَّهُ قَدْ قَسَّمَ التجْرِيدَ قِسمَيْنِ: أَحَدُهمَا: تَجرِيدٌ مَحضٌ، والآخَرُ: تَجْرِيدٌ غيرُ مَحضٍ. فَالأَوَّلُ: وَهوَ المَحْضُ أَنْ تَأتِيَ بِكلَامٍ هوَ خِطَابٌ لِغَيرِكَ وَأَنْتَ تُرِيدُ بِهِ نَفْسَكَ[51]، وَاستَدَلَّ **ابْنُ الأَثِيرِ** لِلتجْرِيدِ المَحْضِ بِأَكثَرَ مِنْ نَموذَجٍ، وَأَقْرَبُهَا إِلَى مَا رَأيتُهُ فِي نَصِّ أَبِي نُوَاسٍ قَولُه: «وَأَمَّا مَا قُصِدَ بِهِ التوسُّعُ خَاصةً فَكَقَولِ الصَّمةِ بنِ عبدِ **اللهِ** مِنْ شُعَرَاءِ الحمَاسَةِ:

حَنَنْتَ إِلَى رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ ... مَزَارَكَ مِنْ رَيَّا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا

فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الأَمْرَ طَائِعًا ... وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِي الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا

وَقَدْ وَرَدَ بعدَ هَذيْنِ البيتينِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ المُرَادَ بِالتجْرِيدِ فِيهِمَا التوسُّعُ، لأَنَّهُ قَالَ:

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْثَنِي ... عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشيَةِ أَنْ تَصَدَّعَا

بِنَفْسِي تِلْكَ الأَرْضُ مَا أَطْيَبَ الرُّبَا ... وَمَا أَحْسَنَ المُصْطَافَ وَالْمتَرَبَّعَا

فَانتقَلَ مِنَ الخِطَابِ التجْرِيدِيِّ إِلَى خِطَابِ النفْسِ، وَلَو استَمرَّ عَلَى الحَالَةِ الأُولَى لَمَا قُضِيَ عَلَيهِ بِالتوَسُّعِ، وَإِنَّمَا كَانَ يُقضَى عَلَيهِ بِالتجرِيدِ البلِيغِ الذِي هوَ الطَّرفُ الآخَرُ، وَيُتَأَوَّلُ لَهُ بِأَنَّ غَرضَهُ مِنْ خِطَابِ غَيرِهِ أَنْ يَنفِيَ عَنْ نَفْسِهِ سُمعَةَ الهَوَى

وَمَعَرَّةَ العِشْقِ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الشهرَةِ والغَضَاضَةِ، لَكِنْ قَدْ زَالَ هَذَا التأْوِيلُ بِانتقَالِهِ عَنِ التجْرِيدِ أَوَّلاً إِلَى خِطَابِ النفْسِ»[52].

وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ، فَلَقَدْ أَحسنَ أَبو نُواسٍ تَوظيفَ تِقنيةِ المونُولُوجِ عَلَى صُعوبَتِهَا، وَتَحَامَى مَزَالِقَها، حَتَّى لَيُخيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّ مَا يَقولُهُ ديفيد لُودج عَنْ روايَةِ (عُوليسَ) لجيمس جُويس –: «**وَالمونُولُوجُ الدَّاخلِيُّ هوَ بِالفعلِ فَنٌّ يَصعُبُ جِدًّا استخْدامُهُ بِصُورةٍ نَاجِحَةٍ، إِذْ هُوَ يَنْحُو إِلَى فَرْضِ إِيقاعٍ بَطيءٍ عَلَى السَّرْدِ، وَإِضْجَارِ القَارِئِ بِالكثيرِ مِنَ التفاصيلِ التافِهَةِ، وَيَتفادَى جويسُ تلكَ المزَالِقَ جُزْئِيًّا بِوَاسطَةِ عَبقريتِهِ في مُعالَجَةِ الكَلِمَاتِ، ممَّا يَخْلَعُ عَلَى أَشَدِّ المواضِيعِ تَفَاهَةً جَاذبيةً تَجعلُنَا نَرَاهَا كَما لَو أَنَّنَا نُصادِفُها لأَولِ مَرَّةٍ، وَكذلكَ يَعمَلُ جُويسُ عَلَى تَنويعِ التركيبِ النحْوِيِّ لخطَابِهِ، مَازِجًا بَينَ المونُولُوجِ الداخلِيِّ وَالأُسلُوبِ الحُرِّ غَيرِ المباشِرِ وَالوَصْفِ السردِيِّ التقْليدِيِّ**»[53] – يَصدُقُ عَلى أَبِي نُواسٍ، فَما كَانَ المونُولوجُ عِندَهُ مَدرَجَةً إِلَى فَرضِ إِيقاعٍ بَطيءٍ عَلَى السرْدِ، وَمَا أَضجَرَ الحسَنُ قَارِئَهُ بِتفَاصِيلَ تَافِهَةٍ، فَمَا ثَمَّ إِلَّا بَيتانِ يَصفُ فِيهِمَا مَعشوقَتَهُ الْحَقَّةَ (الخمرَ)، فَضْلًا عَنْ مَجيءِ الوَصْفِ عَفويًّا طَبيعيًّا بَريئًا مِنَ التفاصيلِ التي لَا تَخدمُ السيَاقَ السَّرْدِيَّ، أَوْ تَنَالُ مِنْ حَبكَتِه، ذَلِكَ أَنَّ الشاعِرَ جَعلَ وصفَ الخمرِ اسْتدراكًا عَلَى مَا هوَ شَائِعٌ عِندَ الناسِ، أَوِ استدْراكًا عَلَى مَا تُحدِّثُهُ بِهِ نَفسُهُ مِنَ الغَرَامِ بِالمرْأَةِ (زَينَب – كَعُوب).

يَستَدْرِكُ الشاعِرُ فِي البيتِ التالِي مُتحدِّثًا عَنْ مَعشوقتِهِ الخليقَةِ بِالعنايةِ وَالاهتمامِ فيقولُ:

وَلَـكِـنْ سَبَتْنِي البَابِلِيَّـةُ إِنَّـهَـا لِمِثْلِيَ فِـي طُـولِ الـزمَـانِ سَلُـوبُ

فَيَأْتِي هَذَا الاستدرَاكُ طَبيعيًّا بَعدَمَا نَفَى غَرَامَهُ بِالْمَرأَةِ (وَمَا إِنْ سَبَتْنِي زَينَبٌ وَكَعُوبُ)، وَصِفَةُ (**البَابِلِيَّةُ**) تُصَوِّرُ الخمْرَ أُنْثَى تُنَافِسُ (**زَيْنَبًا وَكَعُوبًا**)؛ فَالشَّاعِرُ يَصفُ الخمرَ بِما يَجعَلُها معشُوقَةً خَاصَّةً تَقتضِي عَاشقًا خَاصًا كَشَاعِرِنَا أو مَنْ

كَانَ عَلى شَاكلتِه (**إنَّـهَـا لـمِثْـلِيَ فِي طُولِ الزمَانِ سَلُوبُ**)، وَكَأَنَّـهُ يُعلِّلُ فتنتَـهُ بِالخمرِ بِأَنَّها السُّنَّـةُ أو العادَةُ قَدْ جرَتْ بِفتنَـةِ مَنَ كانَ عَلَى شاكلَتِه بالخمرِ، فَيبدُو مَعذُورًا أَمَامَ قَارئِه أَوْ لَائميه، فَليسَ بِدْعًا مِنْ أَمثالِه وَنُظَرَائِـه، وَذَلِكَ ممَّـا يَـزِيدُ الوَصْفَ عَفويَّـةً، وَيَجعلُـهُ مِهَادًا مُلائمًا لِقصيدَةٍ تُصوِّرُ رِحْلَـةً إِلَى بَيتِ خَمَّارٍ.

فَإِذَا مَا انتَـهَى مِنْ بَيانِ أَثرِهَا فِي نفوسِ شارِبيهَا، أَخذَ يُصوِّرُ شدةَ صَفائِهَا، حتَّى إنهَا لتأْبَى أَنْ تُمزَجَ بِالماءِ عَلَى صَفائِـه، لَكنهُ إِذَا مَا قُورِنَ بِها ظهَرَ البونُ بينَ صفاءِ الماءِ وصَفائِها، فلقَدْ أَصبحَتِ الخمرُ (خَيالًا) يَسرِي إِلَى النفُوسِ خَفيًّا لَا يُـحَسُّ كَأَنهُ دَبيبٌ، ثُمَّ يُقدِّمُ دَليلًا عَلَى تَأثيرِهَا النافِذِ الخفيِّ فِي نفوسِ شَارِبِيها، فيقولُ:

إِذَا ذَاقَـهَـا مَـنْ ذَاقَـهَـا حَلَّقَتْ بِـهِ فَلَيْسَ لَـــهُ عَـقْـــلٌ يُـعَـدُّ أَرِيـــبُ

مُـجردُ الذوقِ لَا الشُّرْبِ أو العَبِّ، تِلكَ هِيَ المقدمةُ مَسبوقةً بِأداةِ الشرطِ (إِذَا) وَهِيَ غَالبًا مَا تُـوظَّفُ فِي سياقَاتِ التأكيدِ والاطرَادِ، بِخلافِ (إِنْ الشرطيَّـة)، وَيكأَنَّـهَا تقدمُ قانونًا نَتيجَتُهُ حَتميةٌ إِذَا تَحققَتْ المقدمةُ، فإِذَا كانَ الذوقُ وهوَ المقدمةُ كانتِ النتيجةُ: (**حَلَّـقَتْ بِـه**) فَـيَرَى نفسَهُ كأَنهُ طائرٌ مُرتفِعٌ مُـحلِّق، تُـرِيه الخمرُ ذَلِكَ مِنْ تأثيرِهَا، والفعلُ (**حَلَّقَتْ**) يُصوِّرُ غيابَ شَارِبِ الخمْرِ فِي عَالَـمِ أَثيرِيٍّ مُفارِقٍ لِعَالَـمِه الأرضيِّ، فتكونُ النتيجةُ الثانيةُ (**فَـلَيْسَ لَـهُ عَقْلٌ يُـعَدُّ أَرِيبُ**)، بِهذَا التنكيرِ (عَقلٌ) بعدَ النفْيِ (لَيسَ) الموحِي بِالشمولِ والعمومِ، وهوَ تَعبيرٌ دَالٌّ عَلى غيابِ العقلِ تمامًا فِي كُلِّ مَا يَأتِيه شَارِبُ تِلكَ الخمرِ بَل ذَائِـقُها، مِنْ أَفعالٍ أَوْ أَقوالٍ، وَإِذَا غَابَ العَقْلُ غَابَتْ أَهَمُّ خَصَائِـصِه، وَصِفَاتِـه: (**يُـعَدُّ أَرِيبُ**)، فَهذِهِ الجملَـةُ التِي تَصِفُ كَلِمَةَ (**عَقْلٌ**)، فِي حُكْمِ المعدُومِ، لأَنَّـهَا تَصِفُ شَيئًا مَفْقُودًا، وَلَا ريبَ أَنَّ هذَا الشرْحَ الذِي أَقَدِّمُـهُ لأبيات **أَبِي نُـواسٍ** قَد ذهبَ بِرونَـقِ الشعرِ، وَأَتَى عَلَى إِيجازِه ولغتِه المكتنزَةِ المقطَّرَةِ الموحِيَـة، وَلَا رَيْبَ كذلكَ أَنَّ نَاثرًا لَـوْ أَرادَ أَنْ يَقولَ مَا قَالَهُ **أَبُو نواسٍ** لَأعيَاهُ ذَلِكَ الإِيجَازُ وَتِلْكَ الصوَرُ الموحِيةُ، رُغْمَ مَا يُـقيدُهُ بِهِ الوزْنُ والقافيةُ.

أوَلَا يُذكِّرُنا هذَا البيتُ بأبياتٍ **لعَمْرو بنِ كُلثوم** صَوَّرَ فيهَا أَثَرَ الخمرِ كَذلكَ، وَقَد استخْدَمَ هوَ الآخَرُ (إذَا الشرطيةَ) الدالـةَ عَلَى اطرادِ نَتيجتِهَا مَتَى تَحقّقتْ مُقدمتُهَا، واستخدمَ كذلك كَلمَةَ (**أَريبًا**) صِفَةً لِمَوصُوفٍ مَحذُوفٍ، وَهُوَ الشَّارِبُ أَيُّ شَارِبٍ، فَالكَلمَةُ نَكِرةٌ مُوحِيَةٌ بِالعُمُومِ كَذَلكَ، ثُمَّ يُقَابِلُهَا بِكَلِمَةِ جُنونٍ، فَيَنْفِيهَا كَمَا نَفَاهَا أَبُو نُوَاسٍ، وَبِذَلِكَ يُؤَكِّدُ الشَّاعِرَانِ أَثَرَ الْخَمْرِ فِي شَارِبِيهَا، وَإِنْ كَانَ **عَمرٌو** أكثَرَ مُبالغَةً مِنْ **أَبِي نُواسٍ**؛ حيثُ جعلَ مُجردَ إمْرَارِ الخمْرِ أَمَامَ شَارِبِهَا كَافيًا لِيفَارِقَ طَبعَهُ، فَيغْدُو سَخيًا مُبدِّدًا لِلمالِ، بَعدَ أن كَانَ بَاخلًا، يقولُ **عَمرُو بنُ كلثوم**:

وَكَـأْسٍ قَـدْ شَـرِبْـتُ بِبَـعْلَبـكٍّ ... وَأُخْـرَى فِـي دِمشْـقَ وَقَـاصِـرِينَا

إِذَا صَمَـدَتْ حُمَيَّـاهَـا أَرِيبًـا ... مِـنَ الفِتْـيَـانِ خِـلْتَ بِـهِ جُـنُونًا

تَـرَى اللَّحِـزَ الشَّحِيـحَ إِذَا أُمِـرَّتْ ... عَـلَـيْـهِ لِمَـالِـهِ فِيهَـا مُهِينَـا

وبتلْكَ الأَبياتِ الأربعةِ يَكونُ أَبُو نُواسٍ قَدْ مَهدَ لروايةِ الحدثِ، وَهَيأَ لَهُ قارئَهُ، ليفرُغَ لِسَرْدِ مشهدِ الشَّرابِ، والرحلةِ إليهِ، فَيبدَأُ أولَ مَا يبدأُ بتحديدِ الزمانِ والمكانِ فِي بَيتينِ مُتتاليينِ:

وَلَيلَـةِ دَجْـنٍ قَـدْ سَرَيْتُ بِفِتْيَـةٍ ... تُنَـازِعُـهَـا نَـحْـوَ المـدَامِ قُلُـوبُ

إِلَـى بَـيْـتِ خَمَّـارٍ وَدُونَ مَحلِّـهِ ... قُصُـورٌ مُـنِيفَـاتٌ لَـنَـا وَدُرُوبُ

إِنَّ أَبَـا نـواسٍ يَـبـدَأُ سَـرْدَ الرحلَـةِ إِلَـى بيتِ الخمَّارِ بلقطـةٍ استرجـاعيـةٍ (flash back)[54]، مُتكئًـا عَلَـى صيغَـةٍ أثيرةٍ لَـدَى الشاعرِ العربـيِّ القديـمِ كُلَّمـا أرادَ أَنْ يَسترجِـعَ أوْ يَستذكِـرَ، أَعْنـى صيغـةَ (وَاو رُبَّ الداخلـةِ عَلـى اسـمٍ مجـرورٍ بِـرُبَّ المحذوفةِ)[55]: **وليلةِ دَجْنٍ**، وَفي هذهِ الصيغةِ يَتحَدَّدُ زَمَنُ الحدَثِ (الليلُ)، وقدْ كانَ في تلكَ الكلمةِ كفايةٌ، لكنَّ الشاعرَ ابتغَى تَحديدًا أكثرَ دقَّةً فأضافَها إلى كلمةِ دَجْنٍ، فَدَلَّ عَلى أنَّهَا لَمْ تَكُنْ أيةَ ليلةٍ، بَلْ كَانَتْ لَيلةً خاصةً، اختارَهَا أَبُو نُواسٍ ورِفَاقُهُ كَيْ

تَكونَ سَاترةً لَهم في سُرَاهُم إلى بَيتِ الخَمَّارِ، إنَّهَا **ليلةُ دَجْنٍ**: حالكةٌ شديدةُ الظلام لكثرة غَيْمِهَا، **والدجنُ**: إطباقُ الغَيم والندَى، وأخذُه بأقطارِ السماءِ والأرضِ، وَمثلُ تلكَ الليلةِ مناسبةٌ لحدَثِ اللهوِ والمجونِ، ومُلائمةٌ لمشهدِ الشرابِ الذي يَحكيه أو يَسردُهُ الشاعرُ، ثُمّ يبدأُ الحدثُ (**قدْ سَريتُ بفتيةٍ**)، وَرُغْمَ أنَّ فَاعلَ السُّرَى مُتعدِّدٌ: الشاعرُ والفتيَةُ، فإنَّ الشاعرَ أسندَ الفعلَ إليه خَاصةً (تَاء المتكلِّم)، وَجَعَلَ بقيةَ الفاعلينَ (بفتيةٍ) تَبعًا لَهُ في السُّرى عَنْ طَريقِ حرفِ الجرِّ الدالِّ عَلَى الأداةِ والتبعيةِ، فاختارَ لنفسه بهذَا الإسنادِ موقعَ الرَّائدِ، كَمَا غَدَا بذَلكَ الإسنادِ الشخصيةَ المحوريةَ في بناءِ الحدَثِ، وصارَ الفتْيةُ أشخَاصًا ثَانويينَ يَكتملُ بهم الحدَثُ/ المشهَدُ لَيسَ إلَّا. وَممَّا يؤكدُ تلكَ الدلالةَ، أنَّ الشاعرَ تَحدَّثَ عَنْ نَفْسِه بضميرِ المتكلمِ، والضميرُ أَعْرَفُ المعارفِ كَمَا يَقُولُ النحاةُ، وَتَحدَّثَ عَنْ رِفَاقِه بصيغَةِ التنكيرِ (بفتيةٍ) دُونَما تحديدٍ لأسمائهمْ أوْ عددِهم أوْ مَكانتِهم الاجتماعيةِ، وَلَا تَحديدَ لَهم غيرَ أنَّهم يُشاركُونَهُ الغَرَامَ بالْخَمْرِ (**تُنازِعُهَا نَحْو المدامِ قُلوبُ**)، ومن سَارَ بفتيةٍ أو رادَهم فلا جَرَمَ أَنْ يَكُونَ فَتًى مِثلَهم.

حَتَّى إذَا فَرَغَ الشاعرُ مِنْ تَحديدِ زمانِ القصةِ وأبطالِهَا، عَمَدَ إلى تَحديدِ الوجهَةِ أو الغَايةِ/ مَكَانِ القصةِ (**إلَى بيتِ خمارٍ**) أيْ خَمَّارةٍ، لكنَّ المكانَ يَتحدَّدُ بالإضافةِ إلى صاحبِه أَوِ القَيِّمِ عليه مَذكورًا بصفتِه دونَ اسمِه (خَمَّارٍ) لَا يهمُّ الآنَ تَحديدُ اسمِه بقَدْرِ مَا يُهمُّ تحديدُ صفتِه أو مِهنتِه (خمَّار)؛ فهيَ المبتغَى والغَاية، ولنلاحظْ أنَّ الشاعرَ ذَاهلٌ عنْ كلِّ مَا يعطلُ سيرَ الحدَثِ أو يُبَطِّئُهُ، فَلا يُسهبُ في وصفِ الزمانِ، بَلْ يَكتَفِي بِصفَةٍ واحدةٍ تَقولُ مُرادَهُ (دَجْنٍ)، وَلَا يَقفُ كذلكَ ليسردَ أسماءَ رِفَاقِه المشاركينَ لهُ في ذَلكَ الحدثِ/ الرحلةِ، أوْ يَصِفَهم إلَّا بِمَا يَشركُهم فيه وهوَ حبُّ الخمرِ والكَلَفُ بِهَا، وَلَا يُسَمِّي الخَمَّارَ وَلَا يَصِفُهُ إلَّا بِمَا يَخْدُمُ بِناءَ الحدثِ، وَرُبَّما كَانَ أَهمُّ مِنْ تَحديدِ اسْمِ الخمَّارِ ذِكْرَ مَتاعِبِ الرِّحلةِ وَمَشَاقِّهَا: (**وَدُونَ مَحلِّه قُصُورٌ مُنيفَاتٌ لَنَا وَدُرُوبُ**)، ذَلكَ أنهَا جُزْءٌ مِنَ الحدَثِ تُنمِّيه، ولا تُثقلُهُ، إنَّ أولَ الصعوباتِ أمامَ الرحلةِ إلَى بيتِ الخمارِ أو مَحلِه كَانَتْ تلكَ القصورَ المشرفاتِ عَليهِم كَأَنَّها

تَرْقُبهمْ، وَقَد قَالَ الشاعرُ (**قُصورٌ**) هَكذَا بصيغة التنكير والجمع الموحيان بكثرتها وارتفَاعها المكتسَب منَ الوصف التالي (**مُنيفاتٌ لَـنَا**) أيْ أَنَّـهُ يَـخْشى – وَرِفاقُـهُ بالطبع – منْ تلكَ القصور رَقيبًا أوْ مُطلعًا يَرَاهُم فيفتضِحُ أمرُهُم، مِمَّا يُشعرُ بأَنَّ الجارَّ والمجرورَ (**لَـنَا**) قَدْ فارقَ معنَى المصاحبة أو الملكية، وَأُشربَ مَعْنَى الفَوقية، حَتَّى لَنحسَبُ أنَّ الشاعرَ هَمَّ بأَنْ يقولَ (عَلَينَا) فَقَعَدَ به الوزنُ، ثُمَّ تَأتي العقبةُ الثانيةُ مَعطوفةً عَلَى الأُولَى (**ودُروبُ**) مُنكَّرةً مجموعةً كسالفَتِهَا، وإنْ أنتجَ التنكيرُ والجمعُ هُنَا دِلالَـةَ الكثرَة، فإنَّ دلالةَ الطول والامتداد المناسبيْن لكلمة (دُروبٌ) مفهومَان من السياق، وَلَئنْ كَانَت المشاكَلةُ تَقتضي وصفَ المعطوف (**دروبٌ**) بِمَا يلائمُهُ (ممتَدَّات أَوْ نَحوهَا)، كَما وُصفَ المعطوفُ عليه (قُصورٌ منيفاتٌ)، فَلعلَّ الشاعرَ قد تَرَكَ تلكَ الفجوةَ خُضوعًا لسَطْوة القَافية، واطْمئْنانًا إِلَى فِطنَة قَارئٍ لنَ يَترُكَ فَراغَاتِه الدِّلاليةَ دُونَ مَلئِها (وَحَذفُ مَا يُفهَمُ جَائزٌ).

وخُلاصةُ مَا يَوَدُّ الشاعرُ أنْ يُلقيهُ في رُوع قَارئِه أنَّ الرحلةَ إِلَى الخمارَة قَدْ طَالتْ لكثرة الطرق المؤدية إليهَا وطولِهَا، وَأَنَّ مَا تَكبَّدَهُ هُوَ وَرِفَاقُهُ مِنْ مَشَاقِّ الطُّرُقِ وَالرُّقَبَاءِ تَهُونُ مِنْ أَجْلِ الظَّفَرِ بِمَحبُوبَةٍ سَبَتْهُ (**البَابِليَّة**).

وَبِهَذَا البيت يَكونُ الشاعرُ قَد انتهَى مِنْ تَحْديد المكانِ وَالزمَانِ، وَأَهَمِّ الشَّخصيَّات في قصته (الشَّاعرُ – الفتيةُ – الخمَّارُ) ليخطوَ خُطوةً أخرَى في السَّرْدِ وَبِنَاءِ الحدَث؛ فيصورُ لقطةً أخرَى من اللقطَات التي سَبقتْ مشهدَ الشراب ومهَّدتْ لَـهُ، عنيتُ لحظةَ (**المفاجَأة**) المتمثلة في رَدِّ فِعْلِ الخمَّار إزاءَ تلكَ الزيارَة في ذَلكَ الوقت المتأخِّر منَ الليل (**فَفُزِّعَ**)، وَلَاحظْ أَنَّ الشاعرَ صَدَّرَ الفعلَ بِالفَاءِ العاطفة؛ تسريعًا للحدَث وإسقاطًا لِمَا يعوقُ تدفُّقَهُ، ذَلكَ أَنَّ الفزعَ لَا يترتبُ علَى مجرد السُّرَى بفتية إِلَى بيتِ خَمار، ممَّا يَعني وُجودَ أفعالٍ/أَحداثٍ سَابقَة تَقتضي هذَا الفزَعَ وتَقعُ منهُ موقعَ السبَب من المسبَّب (مِنْ نَحْو طَرَقْنَا بَابَـه..أو غَيرهَا). وَلَا يَخفاكَ أَنَّ مثلَ هذَا الصَّنيعِ يَقتضينَا الإقرَارَ بأَنَّ قدرةَ أَبِي نُواسٍ سَاردًا لَا تَقِلُّ عَنْ قُدرتِه شَاعرًا، فأنتَ

تَـراهُ هُنا يَتْـرُكُ التفاصيلَ ويسكُتُ عنهَا؛ وذَلكَ إِذْ يَنتقلُ مِنْ تَحديدِ مَكانِ الحدَثِ إِلَى عُنصُرِ **المفاجَأَة (surprise)**[56] الذي تَـتَعقَّدُ بـهِ الأحداثُ وتَتأَزَّمُ (**فَـفُـزِّعَ**)، فَيترُكُ بذلكَ فَجوَاتٍ سَرْديَّة، تَسريعًا للحَدثِ، وَطَلبًا للإيجَازِ، واطمئنَانًا إلى ذَكَاءِ القارئِ وقُدرتِه علَى مَلْءِ تلكَ الفجوَاتِ السرديةِ، فَلا يُحدِّثُـهُ عَنِ استئذانٍ أو استئْناسٍ أو طَرْقِ بَابٍ، أَوْ تَـحيةٍ أو تَسليمٍ، فَـرَدُّ فِعْلِ الخمَّارِ المصَدَّرُ بالفَاءِ المفيدَةِ للترتيبِ والتعقيبِ (**فَـفُـزِّعَ**) مُوحٍ بِذَلكَ كلِّه، دالٌّ عليهِ دونمَا رَيبٍ، عَلَى أَنَّ **أبا نُواس** قَدْ تَـطَرَّقَ إِلَى بعضِ هَاتيكَ التفاصِيلِ فِي خَـمريَّاتٍ أُخْرَى حِينَـمَا اقتضَى السياقُ ذَلكَ.

وَثَمةَ أَمْرٌ آخَـرُ تَـحسُنُ الإِشَارةُ إليهِ؛ حَيثُ تمثلُ المفاجأةُ مَفْصلًا سَرديًّا – إِنْ صَحَّ المفهومُ – يخلخلُ بِنَاءَ الحدَثِ، وَيُـحوِّلُ مَسَارَهُ؛ فَبينَما الحدَثُ يَسيرُ متدفقًا تَـجيءُ المفاجَأَةُ فتُوقِفُه أَوْ تَـقْطَعُـهُ – وَلَـوْ بُـرْهَـةً –، وَتَـكُونُ المفَـاجَأَةُ فِي السَّرْدِ أَزْمَـةً مِثْلَما تَكُونُ حَلًّا ومَـخرجًا، وَفِي هَذِي الْـخَمريَّـةِ كانتِ المفاجَأَةُ بذلكَ التوقفِ أو القَطْعِ غيرِ الملحوظِ أَزمَـةً، فقدْ كَانتْ مفاجأةُ أَبِي نُواس وَرِفَاقِه الخمارَ بتلْكَ الزيارَةِ غيرِ المتوقعَةِ سَببَ خَوفِ الخمارِ وذُعْـرِه (**فَفُزِّعَ مِنْ إِدْلَاجِنَا بَعْدَ هَجْعَةٍ**)، والمفاجأةُ هُنَا غَيرُ مَلحوظةٍ، فَلَمْ يَذكُرْهَا الشاعرُ صَرَاحةً، لَكنَّهَا مفهومَةٌ مِنَ السيَاقِ الشعْريِّ والسَّرْدِيِّ، وَلَـوْ أَنَّ سَارِدًا نَاثِـرًا أَرادَ أَنْ يُصوِّرَ فَـزَعَ الخمارِ، لَاتَّسَعَ النثْرُ لِذِكْرِ المقدمَاتِ والتصْريحِ بِـهَا، وَلَـربَّـمَا أَغْـرَاهُ بـأَنْ يَقولَ: لَقَدْ فُوجِئَ الخمَّارُ بِإدلاجِنَا بعدَ هَـجْعَةٍ فَفُزِّعَ منَّا. لكنَّ الشاعرَ لَـيْسَ في سَعَةٍ مِنْ أَمْـرِه كَالـنَّاثِرِ، فَالبِنَاءُ الشعْرِيُّ يَـحكُمُهُ وَلَا يُمهِلُـهُ حَتَّى يَذكُرَ الأسبابَ أَوِ المقدمَاتِ، كَما أَنَّ حِرْصَ الشَّاعرِ عَلَى تَكثيفِ البِنيَـةِ السَّرْديَّـةِ/ الشِّعريَّـةِ – وَإِنْ جاءَ عَفْوًا – يَـحْمِلُـهُ علَى تَـرْكِ الأسبَابِ أو المقدمَاتِ إِلَى ذَكَاءِ المتلَـقِّي وَفِطنَـتِه عَلَى نَحوِ مَا أَشَرْنَا آنِـفًا، لِيخْلُـصَ إِلَى ذِكْرِ النتَائِجِ أَوِ المسبِبَاتِ (**فَفُزِّعَ مِنْ إِدْلَاجِنَا بَعْدَ هَجْعَةٍ**).

وَقَد تَكونُ **المفاجأةُ انفِرَاجًا أَوْ حَـلا** لأَزْمَـةٍ سَـرديَّـةٍ، ولعلَّ أوضحَ مِثَالٍ عَلَى ذَلكَ المفاجَأَةُ فِي مِيميّةِ **الْـحُطيْئَةِ** الذائعَةِ، فَبينَما الـرَّجُلُ وَولَـدُه حَائِـرَانِ مُـتردِّدَانِ

فيمَا يُقدِّمَانِ لِضَيْفٍ أَلَمَّ بِهِمَا وَلَيسَ عِندَهُما مَا يُضَيِّفَانِهِ بِهِ يَظْهَرُ قَطِيعُ الأُتُنِ فَجأَةً، فَتكُونُ تِلْكَ المفَاجَأَةُ حَلًا وَمَخْرَجًا لرجُلٍ كَادَ يَذبَحُ وَلدَهُ طُعمًا لِضيفِه، أَوْ يَكونُ الْحَلُّ مُفاجَأَةً لَمْ يتوقَّعْهَا الرجُلُ وَابْنُهُ، يَقولُ الحطيئَةُ مُصوِّرًا تِلْكَ المفاجَأَة:

فَبَيْنَا هُمَا عَنَّتْ عَلَى البُعْدِ عَانَةٌ قَدِ انْتَظَمَتْ مِنْ خَلْفِ مِسْحَلِهَا نَظْمًا[57]

وَقَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ مَا حَدَثَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَوَلَدِهِ إِسمعيلَ عَليهما السلَامُ، فَبينَما الأَبُ مَاضٍ فِي تَنفيذِ أَمْرِ الله –تعَالَى– بِذَبحِ وَلدِهِ يُفاجئُهُ النداءُ بالفِدَاءِ، فَتنفَرِجُ الأزمَةُ بِذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾ (الصافات : 103– 107).

وَأَمَّا أَزْمَةُ الحدَثِ أَوْ عُقدتُهُ (فَفُزِّعَ) فَلَعَلَّكَ لَاحظْتَ أَنَّ الشاعرَ قَدْ بَدَأَها بَاكِرًا عَقِيبَ تَحديدِه الزمَانَ والمكانَ مُباشرَةً، وَأَنْهاهَا سَريعًا، فَلَمْ تَستغرِقْ سِوَى بَيتيْنِ فَحسْبُ، جَاءتْ الانفرَاجَةُ بعدَهمَا، وَتِلْكَ أَمَارةٌ أُخرَى عَلَى القدْرَةِ السَّرديةِ لدَى الشاعِرِ، وعِلمِه بِما يَقتضِيه بِنَاءُ الحدَثِ السَّرديِّ، أَوِ المشهَدِ الذي كَتبَ قَصيدتَهُ ابتغَاءَ تَصويرِه، عَنَيْتُ مَشهَدَ اللهوِ والشَّرَابِ، إِنَّ مِثْلَ هَذَا المشهَدِ لَا يَحتمِلُ تَأْزيمًا أَوْ تَنغيصًا، وَإِلَّا فَقَدَ المتعةَ المنشُودةَ فيه، وَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يَسيرَ رُخَاءً، وَمِنْ ثَمَّ فَلَا غَرْوَ أَنْ تَحدُثَ الأزمَةُ وَتَنتَهِيَ قَبلَ أَنْ يَشْرَعَ السارِدُ / الشَّاعِرُ في سَردِ مشهَدِ الشرابِ وتصويرِه؛ وَلَيسَ في بِناءِ عُقدَةِ القِصةِ تَفصيلٌ غَيرُ الإشارَةِ إِلَى سَببِهَا (مِنْ إِدْلَاجِنَا)، وحَتَّى تِلْكَ الإِشَارَةُ كَانَتْ مُوجزَةً إِيجازًا عَجِيبًا يُغْبَطُ الشاعِرُ عَلَى دِقَّةِ الاختيَارِ فِيهِ؛ فَالشاعِرُ آثَرَ مَادةَ (أَدْلَجَ) دُونَ غَيرِهَا، ولَوْ فَعلَ واختارَ مَادةً أُخرَى كالمجيءِ أَوِ السيْرِ أو الطَّرْقِ وَنَحوِهَا لاضْطُرَّ إِلَى تَحديدِ الزمَانِ، وهوَ مَا أَعْفَتْهُ منهُ مادةُ (أَدْلَجَ)؛ إِذِ المادةُ بِذَاتِهَا مُتضمنةٌ مَعنَى السيرِ في زَمَنٍ مَخصوصٍ، يُلائِمُ الحدثَ أو المشهَدَ الذِي يُصورُهُ الشاعِرُ؛ فَفِي لسانِ العربِ: الإِدلَاجُ: السيرُ مِنْ أولِ الليلِ، وقِيلَ: سَيْرُ الليلِ

كلَّه، من أَوَّله إِلَى آخره، وَإِذَا كَانت الكلمةُ تَحتملُ سَيرَ الليل كُله، فقَدْ ضَيَّقَ الشاعرُ دلالَتها حينَ زَرعَها في سياقٍ خاصٍ تَترجَّحُ فيه دلالَةُ السير آخرَ الليل دونَ غَيرِهَا، أَوَلَا تَرَاهُ أَتْبَعَهَا بقوله: (**بَعدَ هَجْعَة**)؟ أَيْ نَوم وَرُقَاد، وَلا يَكونُ ذَلكَ – عَادَةً – إِلَّا آخرَ الليل، بَلْ أَتْبَعَ ذَلكَ كُلَّهُ بما يؤكِّدُ دلالةَ السير آخرَ الليل، فقالَ: (**وَلَيسَ سوَى ذي الكبريَاء رَقيبُ**)، فالعيونُ قدْ أَخْلدَتْ إِلَى النوم، والناسُ يَغطّونَ في سُبات عَميقٍ وَلَا رقيبَ سوَى **الله** –تعَالَى– الذي يَذْكُرُهُ الشَّاعرُ بصفَته (**ذي الكبْرِيَاء**) دُونَ اسْمه، وَهِيَ صفَةٌ دَالَّةٌ عَلَى عُلُوٍّ وَعَظَمَة تُنَاسبُ صيغةَ المبالغة (**رَقيبُ**)، فَتَبْدُو كَلمَاتُ النصِّ مُنسَجمَةً غَيْرَ مُتنَافرَةٍ أَوْ مُتَدَابرَةٍ، وَتَشْعُرُ في تَجَاوُرهَا بعَفْويَّة تُبَرِّئُهَا منَ التكَلُّف أَوْ الاعْتسَاف.

إِنَّ لحظةَ المفاجَأَة منْ تلكَ الزيارَة قَد استتبعتْ مجموعةَ أفعَال منَ الخمار، وَإِذَا كانتْ قَدْ بَدأتْ بالفزَع فَقَدْ أَردَفَهَا الشاعرُ بأفعالٍ أخرَى كَانَتْ رَدَّ فعلٍ لهذَا الفزَع، فذلكَ الخمَّارُ قَدْ (**تَنَاوَمَ**): تَكلُّفًا وادعَاءً لا حَقيقةً، والبنيةُ الصرفيةُ للكلمَة نَاطقَةٌ بتلْكَ الدلالَة، فَمنْ معَاني (المفاعَلَة) التكلفُ والتصنُّعُ، واختيارُ تلكَ البنية الصرفية أمارَةٌ علَى قدرَة الشاعر التصويرية؛ إِذْ يَتدسَّسُ إِلَى أَغْوَار الخمَّار فيُصورُ رُدودَ فعله النفسيةَ غَيرَ البادية في الظاهر، ثُمَّ يُتبعُ تلكَ الصورةَ بصورة نفسية أخرَى تُؤكِّدُ ذلكَ الفزَعَ، وقَدْ تَجلَّى في اضْطرَاب الخمار (**وَعَاودَهُ بَعدَ الرقاد وَجيبُ**)، وَتَصديرُ هذه الصورَة بهَذَا الفعل (**عَاودَهُ**) مُوحٍ كذلكَ بقدرَة الشاعر عَلَى اختيار كلماته، فمعْنَى **عَاوَدَهُ**: رَجعَ إليه مَرَّةً بعدَ مَرة، أَيْ أَنَّ بنيةَ الكلمة تُوحي بالتكرَار، **فالمعاودَةُ**: المواظبَةُ، والمداومَةُ، **والمعاوَدَةُ** كذلكَ: الرجوعُ إِلَى أَوَّل الأَمر، ومؤدَّى ذلكَ أَنَّ عودةَ الوجيب اطَّردَتْ مَعَ محاولة النوْم أو التناوُم، وَأَنَّ الخمَّارَ كُلمَا تكلَّفَ النوْمَ والرقادَ، أَبَى عَليه خَفقَانُ قَلبه واضطرابُهُ جَرَّاءَ الفَزَع الذي أصابَهُ منْ تلكَ الزيارَة المريبَة، وتلكَ صورةٌ ترسمُ خَلجَاتِ النفْس، وَلَا يَستَطيعُها غيرُ شاعرٍ قَديرٍ.

وَمَهمَا يَكنْ مِنْ أمرٍ فقدْ شاءَ الشاعرُ ألَّا تَطولَ الأزمَةُ أو العُقدةُ حَتَّى لَا تُنغِّصَ مَشهدَ اللهو والشراب؛ لِذَا نَرَاهُ يُنهيهَا بمنادَاة الخمَّار باسمه ليطمئنَهُ (**وَلَمَّا دَعَوْنَا بِاسْمِه طَارَ ذُعْرُهُ**)، وَلَقدْ كانَ أَبُو نُواس مُوفَّقًا إِلَى حَدٍّ بعيدٍ حينَ بدأَ انفرَاجَ الأَزْمَة بكلمَة (لَمَّا الحينيَّة)، فَفِي هَذِه الكلمَة طَاقَةٌ سَرديَّةٌ هَائلَةٌ، وَلَئِنْ صَحَّ أَنَّ ثمةَ كَلمات شعريَّةً، فَإِنَّ كَلمَةَ (لَمَّا) كَلمَةٌ سَرديَّةٌ لَحْمًا وَدَمًا، وَمَا أَحْسَبُ أَنَّ سَارِدًا يَستطيعُ أَنْ يَستغنيَ عَنْ (لَمَّا) أَوْ إِحْدَى أُختيْهَا (إِذْ – حِينَ)؛ فَفِي (لَمَّا) حُمولَةٌ زَمَنيَّةٌ ذَاتيَّةٌ، وَالزمَانُ والسَّرْدُ تَوأَمَان، وَفِيهَا إِلَى جانبِ تلكَ الحمولة الزمَنية دِلالَةُ التغير والتحَوُّل في بِنَاءِ الحدَثِ السرديِّ[58]، وَمِنْ ثَمَّ يَحْسُنُ تَوظيفُها في المفَاصِلِ السرديّة[59]، حِينَ يَتحوَّلُ سَيْرُ الأحداث، وَذَلكَ مَا وُفِّقَ فيه الشاعرُ، فقدْ وَظَّفَها في مَفْصِلٍ سَرْدِيٍّ؛ حيثُ أخذَ فَزَعُ الخمَّارُ يَزولُ، وَلَمَّا الحينيّةُ هذه يُسمِّيهَا النحاةُ كذلكَ (لَمَّا التعليقيةَ) لِمَا فِيهَا مِنْ مَعنَى الشَّرْط؛ حيثُ تُعَلِّقُ فِعْلَينِ أَحدهِمَا بالآخَرِ تَعَلُّقَ النتيجَة بمقدمَتِهَا، أو المسبَّب بِسببه، يَقولُ الأستاذُ **عباسُ حَسَن**: «(لَمَّا) الجازِمَةُ تَختلفُ اختلَافًا وَاسِعًا عَن: (لَمَّا) الظرفيّة التي هِيَ ظَرْفٌ – في المشهُور – بِمعنَى: حينَ، أَوْ إِذْ، وَتُفيدُ وُجودَ شَيءٍ لوجودِ آخَرَ؛ فَالثاني مِنهُما مُترَتِّبٌ عَلَى الأَوَّلِ وَمُسبَّبٌ عَنْهُ، وَلِهَذَا تَدخُلُ عَلَى جُملتينِ ثَانيتُهُما هِيَ المترتبةُ علَى الأولَى. والغَالبُ أَنْ تَكونَا مَاضِيتَينِ. نَحو قَولِه تَعالَى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾»[60].

أَمَّا المقدمَةُ في قَصيدَتِنَا هَذِي فَكانَتْ: دَعَونَا بِاسمِه، فَأعقبتْهَا نتيجتانِ قَلبيتَانِ سَريعتَانِ: أَمَّا الأُولَى، فهي **طَارَ ذُعرُهُ**، والشاعرُ – كَدأبِه – دقيقٌ في اختيارِ كَلماتِه، فَلَمْ يُعبِّرْ عَنِ انتهاءِ الأزمَةِ بأفعالٍ أخرَى مِنْ نَحْو: (ذَهبَ ذُعرُهُ – أو سَكنَ – أو هَدَأَ .. وَمَا إليهَا)، ولكنهُ آثَرَ فِعْلًا مُوحيًا بِسُرْعَةِ التَّلَاشِي التَّامِّ (**طَارَ**)، وأسندَهُ إلى الذعْرِ نفسِه علَى سَبيلِ الاستعَارة، فكَانَ الذعْرُ فاعلًا، وكَأَنَّ حَركةَ الذُّعْرِ أو طَيرانَهُ كانتْ ذاتيةً أو آليةً، فمبجَرد الدعَاءِ باسمِ الخمارِ حدثتْ الاستجابةُ (**طَارَ ذعرُهُ**): طارَ بذاتِه وتلاشَى دونَما فاعلٍ حقيقيٍّ يُطَيِّرُهُ.

وأما النتيجةُ الثانيةُ، فَهيَ ارتقابُ المالِ أو العَطاءِ الوفيرِ وتأميلُـهُ: (وَأَيْقَنَ أَنَّ الـرَّحْلَ مِنْهُ خَصِيبُ)، غيرَ أن الشاعرَ لَمْ يجعلهُ تأميلًا أو ارتقابًا، بلْ جعلهُ يقينًا، وكفَى باليقينِ سببًا لطيرَانِ الذعْرِ، وَزَوالِـهِ، وَلَمْ يكتَفِ الشاعرُ بِمَا تَتضمَّنهُ مَادةُ (أَيقنَ) من تأكيدٍ، فشَفَعَها بمؤكدَاتٍ أخرَى تتناولُ معمُولَ (مفعولَ) الفعلِ أيقنَ، أَوَّلُـها (أَنَّ)، وَثَانيها التعبيرُ بالجملةِ الاسميةِ (الرحْل منه خَصِيبُ)، ذلكَ أَنَّ مَيْلَ التعْبيرِ إِلَى المفرَدَاتِ الاسْميةِ مُوحٍ بثَباتِ الدِّلالَةِ، وَفي الثبَاتِ تأكيدٌ، في حينِ أَنَّ إيثارَ المفردَاتِ الفِعْليةِ موحٍ بحَركيةِ الدلالةِ واحتمالِ تَغيرِهَا أو تَجددِهَا، وَلَا يَكادُ إعجابُنا بقُدرَةِ الشاعرِ علَى الاختيارِ والاصْطِفَاءِ يَنقضِي حتَّى يَتجددَ مَعَ اختيارٍ آخَرَ، إِذْ نَرَاهُ يُخبرُ عَنِ الرحْلِ بأَنَّـهُ (خَصِيبُ)، والخبَرُ وَصْفٌ في المعنَى، وَلَقَدْ وُفِّقَ الشاعرُ كَذلكَ في اختيَارِ كَلمَةِ (خَصِيب) في هذَا السيَاقِ، فَفِي الكلمَةِ ظِلَالُ التجدُّدِ وَالْوَفْرَةِ، فَقَدْ أَيْقَنَ الخمَّارُ أنهُ أَمَامَ عَطاءٍ لَا يَنفَدُ، وَلَو أَنَّ نَاقدًا مَدرَسيًّا وقفَ أَمَامَ تلكَ العِبَارَةِ (وَأَيْقَنَ أَنَّ الـرَّحْلَ مِنْهُ خَصِيبُ)، لَقَالَ: إِنَّـها كِنايةٌ عَن كثرَةِ مَا سَيُصِيبُ الخمّارُ مِنْ خَيرٍ، غَافلًا عَمَّا في مُفرَداتهَا وَصِيَاغتِهَا مِنْ عَطاءٍ لَا يَقِلُّ عَنْ عَطَاءِ مَا تَعِدُ بِـهِ أَوْ تَكْنِي عَنْهُ.

ثُمَّ تَتمخَّضُ تَانِكَ النتيجتَانِ القَلبيَّتانِ (زَوالُ الذعْرِ – اليقِينُ بالخيْرِ) عَنْ أَفْعَالٍ مَاديةٍ حسيَّةٍ تَبْدُو رَدَّ فعلٍ لذَاكَ اليقينِ القلبيِّ يأتيهَا الخمَّارُ تَتْرَى، فَينمُو بِهَا الحدَثُ السردِيُّ خطوةً، بَلْ خُطُوَاتٍ نَحوَ مَشهَدِ الشَّرَابِ:

وَبَـادَرَ نَحْـوَ البَابِ سَعْيًا مُلَبِّيًـا ... لَـــهُ طَـــرَبٌ بِـــالزَّائِـرِينَ عَجِيـبُ
فَأَطْلَـقَ عَنْ نَـابَيْـهِ وَانْـكَبَّ سَاجِدًا ... لَـنَـا وَهْـوَ فِيمَا قَدْ يَـظُنُّ مُصِيبُ
وَقَـالَ: ادْخُلُوا حُيِّيتُـمُ مِـنْ عِصَابَـةٍ ... فَمَنْـزِلُـكُمْ سَهْـلٌ لَـدَيَّ رَحِـيبُ
وَجَـــاءَ بِمِصْـبَـاحٍ لَـــهُ فَـأَنَـارَهُ ... وَكُـلُّ الـذِي يَـبْغِـي لَـدَيْـهِ قَـرِيبُ
فَـقُلْـنَا: أَرِحْـنَا، هَـاتِ إِنْ كُـنْتَ بَائِـعًا ... فَـإِنَّ الدُّجَـى عَـنْ مُـلْكِـهِ سَيَغِيبُ
فَأَبْـدَى لَـنَـا صَهْـبَاءَ تَـمَّ شَبَـابُـهَا ... بِـهَـا مَـرَحٌ فِـي كَأْسِـهَا وَوُثُـوبُ
فَـلَـمَّـا جَـلَاهَـا لِلنَّـدَامَى بَـدَا لَـهَا ... نَسِـيـمُ عَبِـيـرٍ سَـاطِـعٍ وَلَـهِـيبُ

وَيَشعُرُ قَارِئُ تِلْكَ الأَبيات لأَول وَهلَـة أَنَّ دَوْرَ الشاعِر قَدْ تَرَاجَعَ، فَرَضِيَ مِنَ ذلكَ المقطْع/ المشْهَد القَصَصِيِّ بِروَايتِـه أَوْ سَرْدِه، وَأَنَّ دَورَ الخَمَّار قَدْ تَعَاظَمَ فَصارَ بَطَلَ تِلكَ اللقطَة المتفَرِّدَ بِأَحدَاثِهَا، ولكنهُ تَراجُعٌ ظَاهِرِيٌّ أَوْ شَكْلِـيٌّ – فِيمَا إِخَالُ –، وَمَا أَشبهَ الشاعِرَ في تِلْكَ اللقطَة بالمخْرِج السِّينمَائِـيِّ الْمُعاصِر يَقِفُ خَلْفَ الكَامِيرَا، لكنهُ يُحرِّكُ الأَشْخَاصَ والأَحدَاثَ، وَيُعطِي كلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا دَورَهُ وحَجمَهُ، بَلْ يُوجِّـهُ عَواطِفَـهُ وانفعَالَاتِـه بِما يَرَاهُ خَادمًا لِبنَاءِ القِصَّة.

ولننظرْ كيفَ أَخْرَجَ **أَبُو نُواس** ذَلكَ المشهدَ السردِيَّ:

إِنَّ **أَوَّلَ** مَا يَنبغي أَنْ نُلاحظَـهُ هوَ تَتابعُ أحدَاثِ ذَلِكَ المشهَدِ تَتابعًا مُتناميًا مِنْ خِلالِ أفعَالِ الخمَّارِ المتتابعةِ متصدرَةً مَطْلَعَ كُلِّ بيتٍ مِنْ أبياتِ المشهَدِ، كُلٌّ مِنْهَا يَترتَّبُ عَلَى سَابقِه بِأحدِ حَرْفَـي العَطْف (الوَاوِ – الفَاء)، عَلَى هَذَا النحْو: (وَبَادَرَ – فَأَطْلَقَ – وَانْكَبَّ – وَقَالَ: – وَجَاءَ – فَقُلْنَا – فَأَبْدَى – فَلَمَّا جَلَاهَا). وَمَعنَى ذلكَ أَنَّ الشاعِرَ أحكمَ تَصويرَ المشهَدِ وتَنميتَـهَ، وَرَبْـطَ أحداثِـه بعضِهَا ببعْضٍ، نَاهِيكَ بأَنَّ تَتابعَ الأفعَالِ على هذَا النحوِ مُوحٍ بَلْ دالٌّ علَى هَيمنَةِ الصبغةِ السرديةِ عَلَى المقطعِ، وَمُحقِّقٌ – في الآن ذاتِه – لِمَا أَسْماهُ **تُومَاشفسكي** مَفْهُومَيْ: الْمَتْنِ الحِكائِيِّ، وَالمبنَى الحِكَائِـيِّ[61].

وزدْ إلى ذلكَ أَنَّ هذَا الترتيبَ الطبيعِيَّ أو العَاديِّ للأحداثِ أَمارةٌ علَى انسجَامِ النصِّ وتَماسكِه وَفْقَ ما يَرَى **فَان دَايك**، حَيثُ تَرِدُ الأفعالُ مُرتبةً حَسْبَ وُقوعِهَا، دُونَ أَنْ يَعنِيَ ذَلِكَ صرامةَ الترتيبِ إِلَى دَرجةِ استحالةِ تَغييرِه، بَلْ يُحتمَلُ أَنْ يَحدُثَ التغْييرُ، ولكنهُ يَكونُ مَصحُوبًا بنتائجَ تَجعلُ التأْويلَ مُختلفًا مِنْ زَاويَـةٍ تَداوليةٍ. وَمَعنَى ذَلِكَ أَنَّ تَغييرَ الترتيبِ الطبيعِيِّ إِنَّمَا يَحدُثُ لِغَايَاتٍ تَأويليةٍ، وَيَتمُّ اتِّفَاقًا[62].

أَمْرٌ آخَـرُ نُلاحظُـهُ فِـي هَـذَا المشهَدِ، وهـوَ اطِّرَادُ التَّشطيرِ السَّرْدِيِّ – إِنْ صَحَّ التعْبيرُ– معَ التشطيرِ العَروضِيِّ؛ فَكُلُّ بيتٍ مِنْ أبياتِ المشهدِ يَنقسِمُ شَطرَيْنِ بحَسبِ

البناء العَروضيِّ، لكنَّ الشاعِرَ جَعلَ لكلِّ شَطْرٍ وَظيفَةً سَرديَّـةً: أمَّا الشطرُ الأولُ مِنْ كلِّ الأبياتِ فيمكنُ تَسميتُهُ (الحدَثَ السرديَّ)، وَقَدْ أشرتُ آنفًا إلى تَصدُّرِ فِعْلٍ سَرديٍّ مَطلعَ كلِّ بيتٍ مِنْ أبياتِ المشهدِ، وأمَّا الأشطُرُ الثوَانـي في أبياتِ المشهَدِ فَيُمكنُ تَسميتُهَا (مُتمِّمَاتِ السرَّدِ)، وارْجِعْ إلَى الأَبْيَاتِ تَرَ الشَّاعِرَ في كلِّ بيتٍ يُصَدِّرُ شَطرَهُ الأولَ بفعلٍ سَرديٍّ، في حينِ يَعمدُ في الشطرِ الثاني إلَى تَعليلِ ذَلكَ الفِعْلِ أَوْ وَصْفِ مَا يَتعلقُ بِـهِ أَوِ استدرَاكِ مَا قَدْ يُتَوَهَّمُ مِنْهُ.

وَمَا يَجمَعُ بينَ هَذهِ الأفعالِ كُلِّهَا أنهَا رَدُّ فعلٍ أوْ نَتيجَةٌ لحالَةِ اليقينِ أوْ الاطمئْنَانِ القَلْبِيِّ التي استَشْعَرَهَا الخَمَّارُ جَرَّاءَ دُعاءِ الزَّائرينَ بِاسْمِهِ، وَأَوَّلُ تلكَ الأفعَالِ (**وَبَادَرَ نَحْوَ البَابِ**) وَيُفهَمُ مِنَ المبادرَةِ إسرَاعُ الخمارِ نحوَ البابِ يَفتحُهُ طَربًا وفَرَحًا بالزائرينَ، لكنَّ **أَبَا نُواس** لَا يَكتفِي بِمَا في الفِعْلِ مِنْ دِلَالَـةٍ ذَاتيَّـةٍ علَى السُّرْعَةِ، فَيُتبعهُ بحَالينِ مُؤكِّدَيْنِ لتلْكَ السرعَةِ (**سَعْيًا مُلَبِّيًا**)، وَيَبدُو أنَّ تَـأكيدَ الدِّلَالَـةِ بغَيرِ أَدَاةٍ مِنْ سِمَاتِ أَبِي نُـوَاسٍ الأُسْلُوبية، وإذَا كانَ الشطرُ الأولُ قَدْ قَدَّمَ الفِعْلَ السَّرديَّ وأكدَهُ، فإن الشَّطْرَ الثَّانيَ قَدْ شَفعَهُ بِمَا يُسوِّغُهُ أو يُعلِّلُهُ (**لَـهُ طَرَبٌ بِالزَّائِـرِينَ عَجِيبُ**)، فَطَربُ الخمارِ أَوْ فَرَحُهُ وسُرورُهُ بالزائرينَ هوَ مَا حَمَلَه عَلَى تلكَ المبادرَةِ أو تَلبيةِ النداءِ، وَقَدْ يَلفتُ النظرَ وَصْفُ الطَّرَبِ بأنهُ عَجِيبٌ، وَيَبْدُو أنَّ الخمارَ بَالغَ في الترحيبِ بهم حَتَّى أتَى بِمَا أَدْهَشَهم، وَمَا لَنا نَتوقَّعُ أو نَحْدُسُ والبيتُ التالِـي يقولُ ذَلكُ صَرَاحَـةً لَا إيمـاءً:

فَأَطْلَـقَ عَنْ نَابَيْـهِ وَانْـكَبَّ سَاجِـدًا لَـنَـا وَهْـوَ فِيمَـا قَـدْ يَـظُنُّ مُصِيبُ

وَلَاحِظْ أنَّ الشاعِرَ آثرَ عَطفَ هَذَا البيتِ عَلَى سَالفِهِ بِالفَاءِ دُونَ الوَاوِ؛ مِمَّا يُخرجُهُ مِنْ مُجَرَّدِ التبعيةِ في رَدِّ الفِعْلِ، وَيقَرِّبُـهُ إِلَى أَنْ يَكونَ نتيجةً مترتبةً عَلَى ذَلكَ الطَّرَبِ العَجِيبِ، وَرُبما يُقَوِّي ذَلكَ المبالغةُ التصويريةُ (**فَأَطْلَـقَ عَنْ نَابَيْهِ**): فَليسَ يَكفي أن يُقَالَ إنها كِنايةٌ عَن فَرحِهِ أو تَبسمِهِ، فَفِي

ظَني أنَّ الشاعرَ يَقولُ شَيئًا آخَرَ وَراءَ هَذَا التعبير؛ حَيثُ يُصوِّرُ تَكلُّفَ الخمَّارِ وَتَصَنُّعَهُ في البَسمَةِ حينَ صَوَّرَ نَابيْهِ حَبيسَيْ خَوْفِهِ وتَوجُّسِهِ، فَأطلقَهما مِنْ حَبْسِهما بِطَربِهِ العَجيبِ أَوْ بَسْمَتِهِ المتكلَّفَة، ثُمَّ كَانَ مِنْ تَكلفِهِ وَمُبالغَتِهِ كَذَلِكَ أَنِ: (**انْكَبَّ سَاجِدًا**)، وَلَا يَنْسَى الشاعرُ أَنْ يُعلِّلَ تلكَ المبالغَاتِ أَوْ يُسوِّغَهَا في الشطرِ الثانـي: (**وَهْوَ فِيمَا قَدْ يَظُنُّ مُصيبُ**)، كأَنَّ سذاجَةَ الخمارِ أو جَهْلَـهُ بِتَصَرفَاتِهِ هوَ مَا أَوقَعَهُ في تِلْكَ المبالغَاتِ.

ثُمَّ تَبدأُ اللقطةُ الْـحِوَاريَّـةُ الوَحِيدَةُ في النصِّ كُلِّه، وَهِيَ لَقطةٌ موجزةٌ بسيطةٌ، كَما أَنَّـهَا إِلَى ذَلِكَ عفويةٌ طبيعيةٌ لَا تَقطَعُ تَدَفُّقَ الحدَثِ السرْدِيِّ وَلَا تَنَالُ مِنْ تَرابُطِه؛ فَـأَمَّا بَسَاطَتُها فَمَرَدُّهَا إِلَى بِنائِهَا التراثـيِّ النمَطِيِّ: (وَقَالَ – فَقُلْنا)[63]، وَأَمَّا عَفْويتُها فَـتَتَجَلَّى في أَنْ كَانَ الخمارُ هوَ البادئَ بِالحوَارِ، وَمُؤَدَّى ذَلِكَ أَنَّ حِوارَه كَانَ فِعلًا مِنْ أَفعَالِه المهيمنةِ عَلَى هَذَا المقطَعِ الشعْرِيِّ/السردِيِّ، ممَّا يُشعِرُ بعفْوِيةِ الحِوَارِ وأنهُ لَيسَ مَقصودًا لذاتِـه بقدرِ مَا هو فِعْلٌ طَبيعيٌّ مِنْ أفعَالِ الخمَّارِ في الترحيبِ بالزائِـرينَ:

وَقَـالَ: ادْخُلُوا حُيِّيتُمُ مِـنْ عِصَابَةٍ	فَمَنْـزِلُكُمْ سَـهْـلٌ لَـدَيَّ رَحِـيـبُ
وَجَـــاءَ بِـمِصْـبَاحٍ لَـهُ فَـأَنَـــارَهُ	وَكُـــلُّ الـــذِي يَـبْغِي لَـدَيْـهِ قَـرِيبُ
فَـقُـلْـنَا أَرِحْنَا، هَاتِ إِنْ كُنْتَ بَائِعًا	فَـإِنَّ الدُّجَى عَـــنْ مُلْكِـهِ سَيَغِيـبُ

وَزِدْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ الترحيبَ ليسَ حِوَارًا بِالمفهومِ الدرَاميِّ الدَّقيقِ؛ وَمِنْ ثَـمَّ لَـمْ يَـزِدْ عَلَى التصْرِيحِ بفِعْلَي القولِ (وَقَالَ – فَـقُلْنا) وَمَقُولِهمَا، ولعلَّ مما يَزيدُ عَفويةَ ذلكَ الحوارِ أَنَّ الخمارَ قَطعَهُ ببيتٍ يُصوِّرُ فِعلًا مِنْ أفعالِه (مجيئِه بالمصبَاحِ)، وَكَأَنَّـهُ أَلْـقَى عِبَارَةَ الترحيبِ أَوِ التحيّةِ وهوَ مُستغرقٌ في تَيسيرِ مُقتضيَاتِ مجلسِ الشَّرَابِ غَيْرَ عَابِـئٍ أو مُكترثٍ بِـرَدِّ التحيَّة. بَلْ إِنَّ الجوابَ لَـمْ يَكُنْ رَدًّا للتحيّةِ بمثلِها أَوْ حَتَّى بِأَقَـلَّ منْهَا، لَقَدْ كَانَ الجوابُ خُطوةً أُخْرَى في خُطُواتِ البنَاءِ السردِيِّ، وتَـكوينِ المشهدِ/ الغَايَـةِ: مَشْهَدِ الشـرَابِ:

فَقُلْنَا أَرِحْنَا: بهذَا الإجْمالِ[64]، فَلَا وقتَ للتفْصيلِ، وحَذْفُ مَا يُعلَمُ جَائِزٌ، بَلْ واجبٌ وضَرورَةٌ في هَذَا السيَاقِ: سِيَاقِ الشعرِ، وهوَ لغةٌ مُقطَّرَةٌ تَستغني عَنِ الفضُولِ، وَسِيَاقِ السردِ، واكتنازُ السَّرْدِ في مِثلِ هَذهِ القصةِ القَصيرةِ يَقتضِي التَّخلُّصَ مِنْ كُلِّ ما يؤوده أو يُبطئُهُ[65]، ثُمَّ سِيَاقِ اللهوِ والمتعَةِ وهوَ سياقٌ يَقتضِي العَجَلةَ واغتنَامَ الفُرَصِ، وَلَا يُنْبِيكَ بِذَلكَ مِثلُ الشطْرِ الثاني في هَذَا البَيتِ: (فَإِنَّ الدُّجَى عَنْ مُلْكِهِ سَيَغِيبُ)، وهوَ شَطْرٌ يُؤكدُ مَا ألمحْنَا إليهِ سَابقًا، مِنَ أَنَّ الأشطارَ الثوانِيَ في هَذَا المقطعِ غَالبًا مَا تَأْتِي تَعليلًا لِلْفِعْلِ السردِيِّ في الأشطارِ الأوَائِلِ.

وَمِمَّا يؤكدُ اجتنابَ الشاعرِ / السارِدِ التفاصيلَ حَتى لَا يُثْقِلَ السيَاقَ بِمَا هوَ مَعلومٌ أَنَّ الإجمالَ لَمْ يَقْتصرْ عَلى هَذَا الفِعْلِ (أَرِحْنَا) وَحْدَهُ، بَلْ شَمِلَ الصيغَ الفعليةَ في الشطرِ كُلِه أَوْ مَا أَشْبَهَهَا: (أَرِحْنَا – هَاتِ – بَائِعًا)، فَالمعمولَاتُ المحذُوفَةُ هُنَا هِيَ (الْخَمْرُ) أَوْ مَا يَتعلقُ بِهَا وَلَا حَاجَةَ بِالشاعرِ إِلَى ذِكْرِهَا.

وَيُؤَكِّدُهُ كَذَلكَ التركيزُ عَلَى الإجابَةِ الفعليةِ دُونَ القوليَّةِ مَعطوفَةً بِالفَاءِ الدالَّةِ عَلَى السُّرْعَةِ: (فَأَبْدَى لَنَا)، ثُمَّ الاستغنَاءِ بالنعتِ (صَهْبَاءَ) عَنْ ذِكْرِ المنعُوتِ (خَمرًا)، وَلَا ريبَ أَنَّ إيثارَ التعبيرِ بِهَذَا المنعوتِ قَدْ أَغْنَى الشاعرَ كَذلكَ عَن سَردِ مَعناهُ، فَكلمَةُ (صَهْبَاءَ) أَغْنتْهُ عَنْ أَنْ يَقولَ: فَأَبْدَى لَنا خَمرًا حَمْرَاءَ أو شَقْرَاءَ حَسنةَ اللونِ عُصرَتْ مِنْ عِنَبٍ أَبيضَ أَوْ مِنْ غَيرِه، فَهذه المعاني قَاطِبَةً تَخْتزِلُها كَلمةُ (صَهْبَاءَ)[66]، وَلَوْ أَنَّ نَاثرًا كَتبَ هَذَا المعنَى لَمَا أَكْرَثَهُ أَنْ يُطِيلَ الوَصْفَ بعضَ الشيءِ، لكنَّهَا لُغَةُ الشعرِ المقطَّرَةُ المكَثَّفَةُ كَما قُلْنا آنِفًا، وَلَكنّها قُدرةُ الشاعرِ الفذِّ البصيرِ بِأدوَاتِ إبْدَاعِه، المدْرِكِ أَنَّ صِفَاتٍ أُخْرَى في الْخَمْرِ تَحتاجُ إِلَى تَجليةٍ في هذَا السياقِ دُونَما هَلهلَةٍ لِلنسيجِ الشِّعْرِيِّ؛ وَمِنْ ثَمَّ تَراهُ يُقدِّمُ صِفَاتٍ أُخرَى لِلخمرِ لَا تَتجَاوزُ بَقيةَ البيْتِ: (تَمَّ شَبَابُهَا – بِهَا مَرَحٌ فِي كَأْسِهَا وَوُثُوبُ). إِنَّهُ الشاعِرُ/ السارِدُ المشغُولُ بِالحدَثِ عَنْ الاستطرَادِ في وَصْفٍ يُهلهِلُ البنَاءَ أَوْ يُخلخِلُهُ.

فَلْيَقطَعِ الوصْفَ بُرْهةً، أو رَيثَما يَخطُو بالحدَثِ خُطْوةً أُخرَى (**فَلَمَّا جَلَاهَا للنَّدَامَى**)، لِيعودَ إلَى إتمامِ وَصفِ الخمرِ وتصويرِهَا بِمَا يُحسِّنُها لِلشاربينَ أَو النَّدَامَى كَما سَمَّاهُمُ الشاعرُ (**بَدَا لَهَا نَسيمُ عَبيرٍ سَاطِعٍ وَلَهيبُ**). فَلَا الوَصْفُ يَطولُ فَيُمِلُّ – وَلَا سِيَّما أَنَّ أَوصَافَ الخمْرِ مَعلومَةٌ لِمَنْ كَانَ كَأَبِي نُواسٍ وَمَنْ عَلَى شَاكلتِهِ – وَلَا السَّرْدُ يَنْقطِعُ فَيُبلْبَلُ المتلقي.

فَأَبْدَى لَنَا صَهْبَاءَ تَمَّ شَبَابُهَا بِهَا مَرَحٌ فِي كَأْسِهَا وَوُثُوبُ

فَلَمَّا جَلَاهَا لِلنَّدَامَى بَدَا لَهَا نَسِيمُ عَبِيرٍ سَاطِعٍ وَلَهِيبُ

وَرُبَّمَا لَا يُقدِّمُ **أَبُو نُواسٍ** جَديدًا حينَ يُسَمِّي الْخمْرَ (**صَهْبَاءَ**) أَوْ يَصِفُهَا بِتِلْكَ الصفَةِ، لَكِنَّ الصفَاتِ التاليَاتِ للخَمْرِ تُجَدِّدُ مَا تَعاوَرَهُ الشعَرَاءُ، وَتَبُثُّ فيهِ الحيَاةَ وَالحرَكَةَ، وَتَبْدُو تِلْكَ الْخَمْرُ أُنْثَى شَابَّةً تَمْرَحُ وَتَتَوَثَّبُ، وَتُقْبِلُ عَلَى الحيَاةِ، فَتتَجَلَّى تِلْكَ الصهْبَاءُ في صُورَةٍ جَديدَةٍ قَشيبَةٍ تَنْفِي عَنْهَا الابتذَالَ، وَمَا يَزَالُ الشَّاعِرُ يُغَذِّي صُورَةَ العَرُوسِ حَتَّى يُشْعِرَ قَارِئَهُ أَنَّهُ تَنَاسَى الخمْرَ وَأَخَذَ يَتكَلَّمُ عَنْ عَرُوسٍ يُجَلِّيهَا الْخَمَّارُ لِلندَامَى، ثُمَّ يَصِفُ مَا يُشَمُّ مِنْهَا بِالسطُوعِ وَالإِشْرَاقِ، فَتتَرَاسَلُ الحوَاسُّ، بَلْ تَتنَافَسُ في تَمتُّعِهَا بِتِلْكَ الخمْرِ / العَرُوسِ (لَوْنِهَا وَحَرَكَتِهَا وَرَائِحَتِهَا وَسُطُوعِهَا)، وَتَتَجَدَّدُ بِذَلِكَ صُورَةُ الخمرِ، وَإِنْ بَدَتْ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ نَمَطِيَّةً مُبتَذَلَةً.

وَإِذَا كانَ السردُ قدْ هَيمَنَ عَلَى هذَا المقطَعِ، وَقَلَّ الوَصْفُ ابتغَاءَ تَنمِيَةِ الحدَثِ؛ فَإِنَّ المقطَعَ التالِيَ، وهوَ المقطعُ الذي يُصوِّرُ فيهِ **أَبُو نُواسٍ** تَقْديمَ الخمْرِ لِلنَّدَامَى قَدْ قَلَّتْ فيهِ أفعالُ السَّرْدِ، وغَلَبَ الوصفُ عَليهِ. وَرُبَّما يَرْجِعُ ذَلكَ إِلَى أَنَّ الإطنَابَ في وَصْفِ الخمْرِ – نَاهِيكَ بِكَونِهِ عِبْئًا عَلَى الحَدَثِ السَّرْدِيِّ – لَا يُقَدِّمُ شَيئًا ذَا بَالٍ لِنَدَامَى خَبِيرِينَ بِالخمْرِ وَمَا اتَّصَلَ بِهَا، وَمِنْ ثَمَّ يَكونُ الوصفُ – عَلَى قِلَّتِهِ – إِرْضَاءً لِنُزُوعٍ ذَاتِيٍّ، تُحاوِلُ فيهِ الذَّاتُ الشاعِرَةُ إِثْبَاتَ مَعْرِفَتِهَا بِمَا تُحِبُّ،

وَخِبْرتِها بِمَا تَـهْوَى. أَمَّا هُنَا فَالوصفُ مُتعلقٌ بِالمغنيَـةِ أو القَينةِ والغُلام، وَالتغنِّي بجَمالِهمَا في هَذَا المقَام، والإطنابُ في وَصْفِهمَا – وَإِنْ كَانَ تَقليديًّا – ممَّا تَكتَملُ بِهِ المتعةُ في مِثلِ هذَا المشهَدِ/ مَجلسِ الشَّرَابِ، يَقولُ أَبُو نُواس:

وَجَـاءَ بِـهَـا تَـحدُو بِـهَا ذَاتُ مِـزْهَـرٍ ... يَـتُـوقُ إِلَيْـهَـا النـاظِـرُونَ رَبِـيبُ
كَـثِيبٌ عَـلَاهُ غُصْنُ بَـانٍ إِذَا مَشَـى ... تَـكَـادُ لَـهُ صُـمُّ الجِـبَـالِ تُـنِيبُ
وَأَقْبَـلَ مَـحمُودُ الْـجَـمَالِ مُـقَرْطَـقٌ ... إِلَـى كَأْسِهَا لَا عَـيْبَ فِـيـهِ أَرِيـبُ
يَـشُمُّ النَّـدَامَى الـوَرْدَ مِـنْ وَجَـنَاتِـهِ ... فَلَـيْسَ بِـهِ غَيـرَ الـمَلَاحَـةِ طِيبُ

يَنبغِي – قَبْلَ أَنْ نَأخذَ في قِرَاءَةِ تِلْكَ اللقْطَـةِ السَّرديَّـةِ – أَنْ نُشِيرَ إِلَى مَلْحَظٍ مُهِم، حَيثُ تَرْتبِطُ أَبيَاتُ القَصيدَةِ بَدْءًا مِنَ البيْتِ التَّاسع[67] حَتَّى آخِرِ بَيتٍ في القَصيدَةِ – بِـأَحَدِ حَرْفَـيْ الْعَطْفِ (الوَاوِ أَو الفَاء)، لَا يَـنِدُّ عَنْ ذَلِكَ سِوَى بَيتَينِ[68]، وَلَا رَيبَ أَنَّ هذَا العطفَ شِبهَ المطَّرِدِ بَينَ الأَبيات، قَدْ أَكْسبَ القَصيدةَ أكثَرَ مِنْ فَائدَةٍ، فَهوَ مِنْ جَانبٍ دَليلٌ عَلَى وحدَةِ أبيَاتِهَا وَقِرَانِـهَا، وَبذلكَ يَقولُ أَبُو نُواسٍ البيتَ وَأَخَاهُ[69]، وَمِنْ جَانبٍ آخَرَ فَإِنَّ هذَا العَطْفَ أَوْرَثَ القَصيدَةَ التحَامًا وَتَماسُكًا، وَالتحَامُ النصِّ أَوْ (حَبكُهُ) هوَ أَحَدُ الـمَعَاييرِ التِي اشْتَرطَها النصِّيُّونَ المعاصِرونَ لِتَحقُّقِ النَّصيَّـةِ[70].

أَمَّا هَذَا المقطَعُ الخاصُّ بِالقَيْنَـةِ والغُلَام فَهو مَقطعٌ وَصْفيٌّ، وَحَـقًّا أَنَّ أَبيَاتَـهُ بِـهَا أفعَالٌ كثيرةٌ، لكنَّها أفعَالٌ تُوصَفُ بِـهَا المغنيَةُ أو السَّاقِي، أمّا أفعالُ السَّردِ فَـلا تَـكَاد تَتجاوَزُ ثَـلاثَـةَ أفعَالٍ: (جَاءَ بِهَا – تَحدُو بِهَا – وَأَقْبَلَ)، وَإِذَا كَانَ الفعلُ الأولُ (وَجَاءَ بِهَا) مِنْهَا مُتصِلًا بِالمقطَعِ السَّابقِ أَكثرَ مِنَ اتصَالِه بِهَذا المقطعِ، فهوَ مَعطوفٌ عَلَى أفعالِ المقطَعِ السَّالفِ بوَاوِ العطف، كَما أنهُ فعلٌ مِنْ أفعالِ الشخْصيةِ المحوريةِ في المقطَعِ السَّالفِ (الْـخَـمَّار) – فَقَدْ تَقَلَّصَ عَددُ الأفعَالِ السَّرديَّـةِ في هَذَا المقطَعِ إِلَى فِعلينِ فَحسْبُ؛ مِـمَّا يَعنِي أَنَّـهُ مَقْطَعٌ وَصْفِـيٌّ لُـحمَةً وَسَدًى.

وَبذلكَ يَبدأُ هذَا المقطَعُ فِعْليًّا بِالفعلِ الثاني (تَحدُو بِهَا)، وَهُوَ فعلٌ مَقطوعٌ عنِ الفعلِ السابقِ لَهُ، وَلَا رَيبَ أَنَّ هَذهِ النقلَةَ السَّرْديةَ مِنْ شَخصيةٍ إِلَى أُخْرَى قَدْ أَوْقَعتِ الشاعرَ في التكلفِ وَولَّدَتْ فَجْوَةً سَرْديَّةً، فَبدَتِ النقْلَةُ مُفَاجِئَةً، وَلَمْ يَترتَّبِ الحدَثُ الثانِي (تَحدُو بِهَا) عَلَى سَابقِهِ (وَجَاءَ بِهَا) تَرَتُّبًا طَبيعيًّا مِثْلمَا لَاحَظْنَا في أَفعَالِ المقطعِ السالفِ[71]، وَلَمْ يَجِدِ الشاعرُ مَا يَربطُ بِهِ بينَ الحدَثَينِ غَيرَ تَكرَارِ الجارِّ والمجرورِ (بِهَا)، وهوَ تَكرَارٌ مَعيبٌ، وَقَدْ يُعتذَرُ عَنِ الشاعرِ بأنهُ مُضطَرٌّ إِلَى مِثلِ هَذهِ النقلَةِ بِانْبِتَاتِ الصلَةِ بينَ الحدَثَينِ (جَاءَ بِهَا – تَحدُو بِهَا)؛ لاختلافِ فَاعلِهما (الْخمَّار – وَالمغنِّيَة) أَولًا، وَاختلافِ بِنيتِهِمَا الصَّرفيةِ (الْمُضِيِّ – والمضَارَعَة) ثانيًا. لَكِنَّ الشاعرَ القَديرَ لَا يُضْطَرُّ.

وَمَهمَا يَكنْ مِنْ أَمْرٍ فَقد كانَ الفعلُ الثاني (تَحدُو بِهَا) مِهَادًا إِلَى وَصفِ فَاعلِهِ (الساقيَةِ أَو المغنِّيَة)، وَلْنلاحِظْ أَنَّ الشاعرَ هُنا لَمْ يُسمِّهَا بِاسْمِهَا، وَمَا يُغْنِي اسْمُهَا فِي هَذَا المقَامِ؟!، وَلَكنّهُ قَدَّمَهَا بِأوصَافِهَا فَكانَ أَوَّلُهَا وأَهمُّهَا: (ذَاتُ مِزْهَرٍ)، وهيَ الصفةُ التي قَامَتْ مَقَامَ الاسْمِ والوظيفَةِ، فشغَلتْ مَوقِعَ الفاعليَّةِ، والحقُّ أَنَّ هذهِ الصفةَ تَخدمُ الحدَثَ أكثرَ مِمَّا تَخدُمُ المغنيةَ؛ لأَنَّها جَلَّتْ الصُّورةَ التي تُقدَّمُ بِهَا الخمْرُ: إِنَّها عَرُوسٌ تُزَفُّ إِلى زَوجِهَا عَلى أَنغامِ المزهَرِ[72]، فَتجتمِعُ لَذةُ التخْييلِ إِلَى لَذَّتَي السَّماعِ وَالشَّرَابِ، وأَمَّا بَقيةُ الصِّفَاتِ فَأَشبَهُ بحاشيةٍ تَكتَمِلُ بِهَا صُورَةُ المغنيةِ أَو الساقيةِ، نَاهيكَ بتقْليديتِهَا؛ إِذْ إِنَّها صُوَرٌ تَعَاورَها الشعرَاءُ كَثيرًا في وَصْفِ المرْأَةِ بِوجهٍ عَامٍ، فَوصْفُ المرأةِ بِأنها محفوظةٌ مَصُونَةٌ (رَبيبُ)، وَكَذلكَ تَشبيهُ عَجيزتِهَا وهوَ الكَثيبُ بالرمْلِ الناعمِ، وَتَشبيهُ قَدِّهَا بِغُصْنِ البَانِ الميَّادِ، وَتَأثيرِ مشْيَتِهَا وَتَثَنِّيهَا فِي القُلوبِ مِمَّا وَقعَ عَليهِ الشعرَاءُ كَثيرًا، وَلَا يَتَفَرَّدُ أَبُو نُواسٍ فِي ذَلكَ، ولعلَّ ذلكَ سرُّ تَقليديةِ الصورَةِ هُنَا؛ فَقدْ أَكثَرَ شُعَرَاءُ الخمْرِ فِي وَصفِ السَّاقِي والسَّاقيَةِ أَو المغنيَةِ حَتَّى لَيمكِنُ القَولُ: مَا تَرَكَ الأَوَّلُ لِلآخِرِ شَيئًا.

وَأَمَّا الفِعْلُ السردِيُّ الثالِثُ فِي هَذَا المقطَعِ فهوَ: «وَأَقْبَلَ مَحمُودُ الجمَالِ مُقَرْطَقٌ»،

وَيُمثِّلُ هذَا الفعلُ نَقلَةً سَرديةً أُخرَى، وَإنْ بَدَا في الظَّاهرِ مُترَتِّبًا عَلَى حَدَثٍ سابقٍ، فَالواوُ – فيمَا أَحسَبُ – اسْتئنَافيةٌ لَا عَاطفَةٌ؛ ذَلكَ أَنَّ هَذَا البيتَ يُقدِّمُ لَقطةً أُخرَى مِنْ لَقطَاتِ المشهَدِ تَتَّصلُ بالغُلامِ المغنِّي/ السَّاقِي، وَقَدْ تَكونُ تلْكَ اللقطَةُ تَابعَةً لسَالفَتهَا أَوْ مُتزامنَةً مَعَهَا عَلَى مُستَوَى الوَاقعِ أوِ الحدَثِ، لكنَّهَا عَلَى مُستوَى النصِّ أوِ السَّرْدِ نَقلَةٌ أُخرَى مُستقلَّةٌ عَنْ سَابقَتهَا، فَالشخصيةُ التي يُصوِّرُهَا الشَّاعرُ هُنَا (السَّاقِي) قَدِ اختلفَتْ عَنِ الشخصيةِ السابقَةِ (المغنيَةِ)، وَإنْ تَشابَهَ دَورُهُمَا السَّرديُّ، وَهوَ تَقديمُ الخمرِ للشاربينَ، وَإنْ تَشابَهَ كَذلكَ تَقديمُ الشاعرِ لَهما؛ حَيْثُ تُصَوَّرُ شَخصيَّةُ الساقِي بمثلِ مَا صُوِّرَتْ شَخصيَّةُ الساقيَةِ أَو المغنيَةِ، فَتُقَدَّمُ بِصفاتِهَا وَدَوْرِهَا الملائمَيْنِ لِمَشهدِ المجُونِ أَوِ الشرَابِ:

فَأَمَّا **صِفاتُها**، فَالشاعرُ يُحدِّثُنَا عَنْ سَاقٍ قَدِ اكتمَلَ فيهِ الجمالُ الحسيُّ (مَحمُودُ الجمَالِ / مُقَرْطَقٌ/ لَا عَيْبَ فيهِ)، **والجمالُ المعنويُّ** (أَريبُ)، وَلَا يَقنَعُ الشاعرُ بهذَا الإجمَالِ (مَحمُودُ الجمَالِ) حَتَّى يُفَصِّلَهُ في البَيتِ التالي:

يَشُمُّ النَّدَامَى الْوَرْدَ مِنْ وَجَنَاتِهِ فَلَيْسَ بِهِ غَيرَ المَلَاحَةِ طِيبُ

وَجَلِيٌّ أَنَّ الشاعرَ أَطنبَ في وَصفِ جَمالِ السَّاقِي الحسيِّ، فَقَدَّمهُ مُجملًا ومُفصَّلًا، في حينَ اقتصَدَ في تَصويرِ جَمالِهِ المعنويِّ، فَلَمْ يَذكُرْ منهُ غيرَ صِفةٍ وَاحِدَةٍ (أَريبُ)، لَكِنَّهَا أَهمُّ صِفَاتِ السَّاقِي، وأكثَرُهَا مُلاءمَةً للمقَامِ، فَليسَ يَضيرُ النَّدَامَى – إِذَا كَانَ سَاقِيهم أَريبًا عَاقلًا لَبيبًا عَليمًا بِمتطلباتِ الشَّرابِ ـ أَنْ تَنقُصَهُ صِفَاتٌ أُخْرَى؛ فَفِي أَرَبِهِ وَعَقْلِهِ مَا يُغنيهِ عَنْ صِفَاتٍ أُخَرَ.

وَمِنْ نَافلَةِ القَولِ أَنْ أُحَدِّثَكَ عَنْ لُغةِ الشَّاعرِ التخْييليةِ[73] في هَذَا المشهَدِ؛ ذَلكَ أَنَّ هَيمنَةَ التعبيرِ البيَانيِّ – وَلَا سيَّما الاستعَاريُّ – أَوضَحُ مِنْ أَنْ يُشارَ إِليْهِ، لَكِنَّما يَلفتُني بِنَاءُ الصورَةِ في البيتِ الأَخيرِ مِنْ ذَلكَ المقطَعِ عَلَى نَحوٍ خَاصٍ، عَنيْتُ قولَ أَبِي نُواسٍ السالِفَ:

يَشُمُّ النَّـدَامَى الْـوَرْدَ مِنْ وَجَـنَاتِـهِ فَلَـيْسَ بِـهِ غَيـرَ الـمَلاَحَـةِ طِيبُ

وَأَوَّلُ مَا يَلفتُنَا فِي هَذَا البيتِ أَنَّ السَّاقِيَ وهوَ مُذكَّرٌ، يُوصَفُ بِمَا تُوصَفُ بِهِ الأنثَى، فَتُشبَّهُ خُدُودُهُ بِالوردِ فِي حُمْرَتِهِ أَوْ بياضِهِ، وَطِيبِ رَائحتِهِ، وَفِي ذَلكَ مَا قَدْ يُؤكِّدُ رَأْيَ د. **عز الدِّين إسماعيل**؛ حَيثُ يَرَى أَنَّ ظَاهِرَةَ الغَزلِ بِالمذكَّرِ فِي الشعْرِ العباسِيِّ لَيستْ أَمْرًا جَديدًا، وَمَا هِيَ إِلَّا تَقليدٌ لِلغزَلِ بِالمرْأَةِ، يَقولُ د. **عزُّ الدين**: «وَهَكَذَا يَتحرَّكُ مُعظمُ شِعرِ الغزَلِ بِالمذكَّرِ فِي إِطارِ الغزَلِ بِالمرأَةِ، سَواءٌ مِنْ حَيثُ الأوصَافُ الحسيةُ والعلاَقَاتُ المعنويَّـةُ. أَمَّا التعهُّرُ فِي هَذَا الغزَلِ فَلَمْ يَكُنْ أكثرَ مِنَ التعهرِ فِي الغزَلِ بِالمرأَةِ»[74]، وَمَعنَى ذَلكَ أَنَّ الصورَةَ فِي البيتِ تَقليديَّـةٌ.

ثُمَّ يَلفتُنَا **ثَانيًا** – أَنَّ الصورَةَ فِي هَذَا البيتِ، وَإِنْ كَانتْ تَقليديةً، فَإِنَّ التَّرَاسُلَ الحسيَّ فيهَا قَدْ أَكسبَهَا جِدَّةً تَتضَاءَلُ بِجوارِهَا التقليديةُ والمحاكَاةُ إِنْ لَمْ تَتَلاشَ، وَلَقدْ سَبقَ **أَبُو نُواس** وغيرُهُ مِنْ شُعراءِ العربيةِ الرَّمزيينَ إِلَى التراسُلِ الحسيِّ، لَكنَّنَا مَفتُونُونَ بِمَا يَفِدُ مِنَ الغَرْبِ ذَاهِلُونَ عَنْ لآلِئِ تُراثِنَا، وَيْكأَنَّ **بُودلير** قَدْ هَدَى شُعرَاءَنَا المحدثينَ إِلَى أداةٍ سحريَّـةٍ فِي تَشكيلِ الصورَةِ، حِينَ قَالَ مَثلًا فِي قَصيدتِهِ (تَرَاسُل): «الطبيعَةُ مَعبدٌ ذُو دَعَائِمَ حَيَّـة، وَأَحيانًا تَنطقُ هَذِهِ الأعمدَةُ وَلَكنَّها لَا تُفصِحُ، وَيَجُوسُ المرءُ مِنَها فِي غَابَاتٍ مِنْ رُموزٍ تَلحظُهُ بِنَظرَاتٍ أَليفَة. **وَتَتجَاوَبُ الـرَّوَائِحُ وَالأَلْوَانُ والأَصوَاتُ، كَأَنَّها أَصْدَاءٌ طَويلةٌ مختلطَةٌ آتيةٌ مِنَ البَعيد، لتؤلِّفَ وحْدَةً عَميقةَ المعنَى مُظلمَةَ الأرجَاء، رَحيبةً كَالليلِ أَوْ كَالضَّوْء**»[75]، فَلَقَدْ أَلْـهَتْ تِلْكَ الْـقَوْلَـةُ – وَسِوَاهَا مِنْ أَقْـوَالِ الرمْـزِيِّينَ – كَثيـرًا مِنْ شُعرائِـنَا وَنُقَّادِنَا المحدثينَ عَنْ تُـرَاثٍ شِعريٍّ تَـرَاسَلتْ فيهِ مُعطياتُ الحَـوَاسِّ وتَجاوبَتْ، وَتَحقَّقتْ فِيهِ قَولَـةُ **بُودلِيـرَ** قَبلَ أَنْ يُولَـدَ **بُودلِيـرُ** ذاتُـهُ[76].

ثُـمَّ يَبدَأُ المقطعُ الأخيرُ فِي هَذِهِ القصيدَةِ/ القِصَّـةِ، وهوَ المقطعُ الذِي يُـصوِّرُ مَـجلسَ الشَّرَابِ بَـدْءًا وَانْـتِهَاءً، يَـقُولُ **أَبُو نُواس**:

فَمَا زَالَ يَسقِينَا بِكَأْسٍ مُجِدَّةٍ تُوَلِّي وَأُخْرَى بَعْدَ ذَاكَ تَئُوبُ

وَغَنَّى لَنَا صَوْتًا بِلَحْنٍ مُرَجَّعٍ: «سَرَى البَرْقُ غَرْبِيًّا فَحَنَّ غَرِيبُ»

فَمَنْ كَانَ مِنَّا عَاشِقًا فَاضَ دَمْعُهُ وَعَاوَدَهُ بَعْدَ السُّرُورِ نَحِيبُ

فَمِنْ بَيْنِ مَسرُورٍ وَبَاكٍ مِنَ الْهَوَى وَقَدْ لَاحَ مِنْ ثَوْبِ الظَّلَامِ غُيُوبُ

وَقَدْ غَابَتِ الشِّعْرَى العَبُورُ وَأَقْبَلَتْ نُجُومُ الثُّرَيَّا بِالصَّبَاحِ تَثُوبُ

وَلَكَ أَنْ تعجبَ لِخَمريَّةٍ كُتِبَتْ لِتَصويرِ مَجلِسِ الشَّرَابِ، ثُمَّ تَجِدُهَا تُعْنَى بِمَا حَفَّ بِهَذَا المجْلِسِ أو اتَّصَلَ بِهِ أكثَرَ مِنْ عِنايتِهَا بِالمجلسِ ذَاتِهِ؛ فَالخمريَّةُ صَوَّرتْ رِحلَةَ أَبِي نُواسٍ وَصَحْبِهِ إِلَى بَيْتِ الخمَّارِ وَمَشَاقَّها، وَصَوَّرَتْ تَحوُّلَ الخَمَّارِ مِنَ الفَزَعِ إِلَى الاطْمِئْنَانِ وَالتَّرحيبِ والجِدِّ في خِدمَةِ الزَّائِرِينَ، كَما صَوَّرتِ السَّاقيةَ / الْمُغنِّيةَ وَجَمالَهَا وَغِنَاءَهَا، وَالسَّاقِيَ وَمَا اتَّصَفَ بِهِ مِنْ جَمالٍ مَادِّيٍّ وَمَعْنَوِيٍّ، أَمَّا حَدَثُ (الشُّرْبِ) ذَاتُهُ فَحَظُّهُ مِنْ تِلْكَ الخمريَّةِ هَذَا البَيْتُ:

فَمَا زَالَ يَسقِينَا بِكَأْسٍ مُجِدَّةٍ تُوَلِّي وَأُخْرَى بَعْدَ ذَاكَ تَئُوبُ

بَيْدَ أَنَّ شَاعِرَنَا قَدِيرٌ، وَقَلَّمَا يَتْرُكُ ثُغْرَةً سَرْدِيَّةً دُونَمَا إِيحاءٍ إِلَى قَارِئِهِ بِما يَسُدُّهَا، فَلَقَدْ صَوَّرَ حَدَثَ (الشُّرْبِ) تَصْوِيرًا مُجْمَلًا فِي هَذَا البَيتِ، لَكِنَّهُ تصويرٌ مُوحٍ بِدَوَامِ ذَلكَ الحدَثِ وَعَدَمِ انقطَاعِهِ مِنْ بَدْءِ المجْلِسِ حَتَّى انتِهَائِهِ، وَدِلَالَةُ الدَّيمومَةِ تُنتِجُهَا غَيرُ وَسِيلةٍ فِي البَيتِ: فَالشاعِرُ صَدَّرَ البيتَ بِفِعلٍ نَاسِخٍ دَالٍّ عَلَى الاستِمرَارِ (فَمَا زَالَ)، وَأَتْبَعَهُ بِفِعْلٍ مُضارِعٍ دَالٍّ علَى تَجدُّدِ الحدَثِ واستِمْرَارِه (يَسْقِينَا)، ثُمَّ وَصَفَ الكَأْسَ بِأَنَّها (مُجِدَّة): أَيْ دَائِبَةُ الغُدُوِّ وَالرَّواحِ، مِمَّا يَعنِي أَنَّ الشَّرَابَ لَمْ يَنقطِعْ، وَمَا أُجْمِلَ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ (مُجِدَّة) فُصِّلَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي؛ حَيثُ تُصَوِّرُ الحرَكَةُ الدائِبَةُ المتتَابِعَةُ لكؤوسِ الخمْرِ غُدوًّا وَرَوَاحًا، مُمَثِّلَةً فِي التقابُلِ بينَ حَرَكَتَي (الذهَابِ) وَ(الإيَابِ) بِصيغَةِ المضَارعَةِ الدالَّةِ عَلَى التَّجَدُّدِ كذلكَ، وَمَا ضَرَّ أَبَا نُواسٍ

بَعْدَ هذهِ القُدْرَةِ عَلَى إنْتَاجِ الدِّلَالَةِ الواحِدَةِ (الدَّيمومَـة) بِأَكْثرَ مِنْ وَسيلةٍ، وَفي مِثْلِ هَذِهِ المسَاحةِ النَّصيةِ المحدُودةِ (بَيتٍ واحدٍ) – أَنْ يُـجمِلَ حَدَثَ الشُّرْبِ وَلَا يُفَصِّلَـهُ.

عَلَى أَنَّ **أَبَا نُواس** قَد استدرَكَ إِجْمالَـهُ فِـعْلَ الشُّرْبِ بتصويرِ مَا حَفَّ بِـهِ مِنْ غِنَاءٍ وَطَرَبٍ، ثُمَّ بِتَصويرِ أَثَرِ الخَمرِ فِي أَفْعَالِ شَارِبِيها؛ فَفِي تَصويرِ الطرَبِ والغِناءِ يَقولُ:

وَغَنَّى لَـنَا صَـوْتًا بِلَحْـنٍ مُـرَجَّعٍ: سَرَى البَـرْقُ غَـرْبِيًّا فَحَـنَّ غَـرِيبُ

وَالغِناءُ هُنَا ضَرْبٌ مِنَ السُّقْيَا كَذلِكَ، أَوْ هُـوَ خَمْرَةٌ أُخْرَى يُـقَدِّمُهَا السَّاقِي إِلَى نُدمَائِـهِ، فَيَرْوِي ظَمأَ أَجسَادِهِم بكؤوس الـخَمْرِ المعنَويَّـةِ، وَيَـروِي ظَمَأَ آذَانِـهِمْ أَوْ أَفئِدَتِهِم بِخمرَةِ الطرَبِ وَالأَلْـحَانِ الْـمُـرَجَّعَـةِ: (**وَغَنَّى لَنَا صَوْتًا بِلَحْنٍ مُرَجَّعٍ**)، وَفِـي الترجِيعِ (وهوَ تَرديدُ الصوتِ وَتَـطريبُـهُ) دَيمُومَـةٌ تُشابِهُ دَيمومَـةَ الشَّرَابِ وَتُشَاكِهُهَا، مِـمَّا يَعنِي أَنَّ السَّاقِـيَ قَـدَ أَنْـهَلَ أُولـئِكَ النَّدَامَى وَعَلَّـهُمْ مِنْ خَـمْرَتَـيْهِ الـرَّوِيَّـتَيْنِ (الماديَّـةِ والمعنَويةِ) حَتَّى نَـقَعَ غُلَّـتَهُمْ، وَبَـلَّ صَدَاهُمْ. وَكَثِيـرًا مَا يُـحِسُّ قَـارِئُ خَـمريَّاتِ **أَبِي نُواس** بِتلْكَ الازْدِوَاجِيَّـةِ فِي مُهمَّةِ السَّاقِـي، يَـجِدُهَا جَامِعَةً بينَ سِحْرِ الطَّرَبِ وَفِعْلِ الـخَمْرِ تَارةً مِثْلَما فِي هَذِهِ الخمْرِيـةِ، أَوْ بينَ سِحْرِ الـحُبِّ وَفِعْلِ الـخَمْرِ تَارةً أُخرَى حَتَّى لَـنَجِدُ **أَبَـا نُواس** يَشْعُرُ بِالسعادَةِ حِينَ أَوْمَـأَ إليه السّاقِي بِإِشَارَةٍ مِنْ عَينَيْهِ مُمَنِّـيًا إِيَّـاهُ بِالوِصَالِ فَكانتْ تِلْكَ الأُمْنِيَـةُ أَلَـذَّ وَأَطْيَبَ مِنَ الْـخَمْرِ:

يَـدُورُ بِـهَـا سَـاقٍ أَغَـنُّ تَـرَى لَـهُ عَلَى مُسْتَدَارِ الأُذْنِ صُدْغًا مُعَقْرَبًا
سَقَاهُـمْ وَمَـنَّانِـي بِعَيْـنَـيْهِ مُـنْـيَـةً فَـكَانَتْ إِلَى قَلْبِـي أَلَـذَّ وَأَطْيَـبَا[77]

وَلِأَبِي نُواسٍ خُصوصيةٌ مِنْ دُونِ النَّدَامَى، إِذْ لَـهُ نَشوتانِ: الخمْرُ والحبُّ، وَلِغَيرِهِ نَشوَةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ نشوةُ الخمْرِ فَإِذَا سَكِرَ النَّدَامَى مَرَّةً سَكِرَ هُوَ مَرَّتَيْنِ:

تَسْقِيكَ مِـنْ عَيْنِهَا خَـمْرًا وَمِنْ يَـدِهَـا خَـمْرًا فَمـا لَكَ مِـنْ سُكْرَيْنِ مِـنْ بُـدِّ
لِـي نَـشْـوتَـانِ وَلِلنَّـدْمَـانِ وَاحِـــدَةٌ شَيْءٌ خُصِصْتُ بِـهِ مِنْ دُونِـهِمْ وَحْدِي[78]

وَرُبَّمَا زادَ أَبُو نُواس علَى ذَلِكَ فأقامَ بينَ الخمْرِ وَسَاقِيها نَوعًا مِنَ المنافسَةِ الضِّمنيةِ لننظرَ أَيَّهمَا أَقدرُ عَلَى الفوزِ باهتمامِ الشَّاعِرِ وَأَقْوَى عَلَى إِسْعَادِهِ أَنشْوةُ الْحُبِّ أَمْ نَشْوَةُ السُّكْرِ، وَذَلِكَ حِينَ يُصرِّحُ بأنهُ نَازعَ سَاقيهِ خَمْرًا تُضيءُ كالبرقِ أَوِ النارِ .. وَبِذَلِكَ يَتجَاوَزُ السَّاقِي مُهمَّةَ السَّقْيِ إِلَى المنَادمَةِ:

وَمُهَفْهَفٍ يَجْرِي الوشَاحُ بِخَصْرِهِ ... وَيَضِيقُ عَنْهُ دُمْلُجٌ وسِوَارُ

نَازَعْتُهُ صَهْبَاءَ تَحْسَبُ أَنَّهَا ... بَرْقٌ تَأَلَّقَ ضَوْءُهُ أَوْ نَارُ[79]

أَمَّا الشطرُ الثانِي: «سَرَى البَرْقُ غَرْبيًّا فَحَنَّ غَرِيبُ»، فَهُوَ تَوضيحٌ لِمَا أُبْهِمَ فِي الشَّطْرِ الأَوَّلِ (صَوْتًا)، وَقَدْ كَانَ فِي ذَرْعِ الشاعِرِ أَنْ يَقُولَ: وَغَنَّى لَنَا صَوْتًا: بِهذَا التنكيرِ المُبْهِمِ دُونَ تَوضيحٍ أَوْ تَحديدٍ، فَكُلُّ ضَرْبٍ مِنَ الغِنَاءِ يُسَمَّى صَوْتًا، وَالجمْعُ أَصْوَاتٌ، وَلِذَا فَسَّرَ بَعضُهُم قَولَ الله تعَالَى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾: بأَصْوَاتِ الغناءِ وَالمزامِيرِ، لكنهُ أَبَى إِلَّا أَنْ يُشيرَ إِلَى أُغنيةٍ خَاصةٍ أُنشدَتْ فِي هَذَا المجْلسِ، وَذَلِكَ مَا حَقَّقَهُ هَذَا الشطْرُ: (سَرَى البَرْقُ غَرْبيًّا فَحَنَّ غَرِيبُ)؛ إِذْ يَغلبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ هذَا الشَّطْرَ هوَ مَطلَعُ ذَلكَ الصَّوْتِ/ الأُغنيَةِ التِي غَنَّاهَا ذَلكَ الغُلامُ، أَوْ أَنَّهُ جُزءٌ مِنْهَا، وَيَغلبُ عَلَى الظَّنِّ كَذلكَ أَنَّ تلكَ الأغنيةَ مَعْرُوفَةٌ وَرُبَّمَا أَثيرَةٌ لَدَى أُولَئِكَ الشَّرْبِ، وَرُبَّمَا لَدَى جُمْهُورِ التَّلقِّي آنَئِذٍ، وَمِمَّا يُقوِّي ذَلكَ أَنَّ هَذَا البَيتَ كُتِبَ فِي دِيوَانِ أَبِي نُواسٍ، وتحديدًا فِي الطَّبعَةِ التِي حَقَّقَهَا إِيقَالدُ فَاغنَرْ هَكذَا:

وَغَنَّى لَنَا صَوْتًا بِحُسْنِ تَرَجُّعٍ: ... سَرَى الْبَرْقُ غَرْبِيًّا فَحَنَّ غَرِيبُ

وَلَا يُهمنَا اخْتلافُ كَلماتِ الشطْرِ الأَولِ فِي هذهِ الروايَةِ عنِ الروايَةِ التِي آثَرْنَاهَا، فَإِنَّ الْمعنَى قَريبٌ مِنْ قَريبٍ – بِقَدرِ مَا يُهمُّنَا انتهاءُ الشطرِ الأولِ بِعلامَةِ الترقيمِ هَذِي (:)، وَهِيَ عَلامةٌ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ مَا سَبقَهَا مُجمَلٌ أَوْ مُبْهَمٌ، وَأَنَّ مَا يَليها تَفسيرٌ وَتبيَانٌ لِذَلكَ المجْمَلِ، وَقَدْ كَانَ، فَوَضْعُ الشطْرِ الثانِي بَعْدَ هَاتينِ النقطتينِ فِيهِ دِلَالةٌ عَلَى الشرْحِ وَالتفسِيرِ، وَفِيهِ كَذلكَ دِلَالةٌ عَلَى الاقتبَاسِ أَوِ التضمِينِ

(التَّنَـاصّ: Intertextuality)، فَهاتَانِ النقطتانِ تُوضعَانِ بَينَ لَفظِ القَولِ وَالكلامِ المقُولِ، أَوْ مَا يُشبِهُهُما في المعنَى، وَتُوضعانِ كَذلكَ بَيْنَ الشيءِ وأَقسَامِهِ وأنواعِهِ، وَقَبْلَ الكَلامِ الذي يُعرَضُ لِتوْضِيحِ مَا سَبقَهُ[80]، وَمُؤَدَّى ذَلكَ أَنَّ الشطرَ الثانِـيَ في هَذَا البَيْتِ جُزْءٌ مِنْ نَصٍّ آخَرَ قَبسَهُ الشاعرُ إِلَى خَمْرِيتِهِ، أَوْ هُوَ مَطلَعُ أُغنيةٍ (صَوْت) مَعلُومَةٍ لَدَى المتلَـقِّينَ آنَـئذٍ، أَيْ أَنَّ الكلمَةَ الشاعِرَةَ هُنا قَدْ تَفاعلتْ مَعَ كلمةٍ شاعِرَةٍ أُخرَى، وَيَكُونُ **أَبُو نُواسٍ** بِذَلكَ قَدْ وَظَّفَ أداةً سَرديَّـةً أُخْرَى، عَنَيْتُ **الحِوَارِيَّةَ** التِي أَشَارَ إِلَيْهَا **مِيخَائِيلُ بَاختِين**، ذلكَ أَنَّ **جُولِيَا كريستيـفَـا** قَدْ صَاغَتْ مَفهُومَ **التنَاصّ** بِوَحْيٍ مِنْ مَفهومِ **الحِوَارِيَّـةِ** البَاخْتِينِيِّ، يَقولُ د. **فَيصَل درَّاج**: «إِنَّ وجودَ البطَلِ الرِّوائِيِّ كشَخْصٍ آخَرَ، لَه وُجُودُهُ الذَّاتِـيُّ الْـخاصُّ، هُوَ الَّذِي يَـجعلُ الروَائِيَّ يَنسجُ خطابَـهُ مِنْ كَلماتِه وكَلمَاتِ الشخصيةِ الروَائِيَّةِ التِي تُـحيطُ بِه. وهَذَا الوضْعُ الذِي يَقـرَأُ فيه الكاتِبُ كَلامَ الشَّخصيةِ كَكَلامٍ آخَرَ غَريبٍ، هوَ الذِي أَوْحَى إِلَى **جُولِيَا كريستيـفَا** بالتعبيرِ السعيدِ: (التنَاصِّ)، حَيثُ الكِتابةُ حِوارٌ معَ الذاتِ وَتَواصلٌ مَع نَصٍّ آخَرَ أيضًا»[81]، وَفِي كَلامِ د. **محمَّد عَنانِـي** عنِ التناصِّ مَا يُؤكِّدُ أسبقيةَ بَاختينَ إِلَى مَفهومِ (**التنَاصّ**) دُونَ وَضْعِ المصطلَحِ، ثُمَّ تَـأَثَّرَتْ بِه **جُوليا كريستيـفَا** في صياغةِ مَفهومِ التناصِّ، **وَجِيرار جِينيتْ** في مَفهومِ (المتعاليَاتِ النَّصيةِ)، وَمُؤَدَّى ذَلكَ أَنَّ تِقنيةَ (التنَاصِّ) قَدْ نَشأَتْ سَرديَّـةً مَحضًا، وَتَحديدًا في رَحِمِ الروايَةِ، ثُمَّ وَسَّعَ جُون **فرَاو** نِطاقَ التناصِّ ليجعَلَهُ مَذهبًا يَتعَلَّقُ بأيِّ نَصٍّ أَدَبِـيٍّ[82]، وَفِي كَلامِ **رُولان بَارت** مَا يُوحِي بأَنَّ التناصَّ ضَرُورةٌ فنيةٌ لَا مَعْنَى لِنصٍّ أَدَبِـيٍّ عَنْهُ؛ لأَنَّ النصَّ الذِي لَا يَقبَلُ ظاهرةَ التداخُلِ نَصٌّ عَقِيمٌ، أَوْ إِنَّه – كَما يقُولُ رُولان بَارْت – نَصٌّ بِلَا ظِلٍّ؛ لأَنَّ النصَّ الحقيقيَّ فِي حَاجَةٍ إِلَى ظِلِّه بِشكلٍ لَازمٍ[83]. وَكُلُّ نصٍّ هو حَتْمًا نَصٌّ مُتدَاخِلٌ (Intertext)، ذَلكَ أنهُ: لَا وُجودَ للنصِّ البَرِيءِ[84]، وَمِنْ ثَمَّ لَـمْ يَكُنْ بِدعًا أَنْ يَجعلَ النصيُّونَ (التناصَّ) أحدَ مَعاييرِ النصيةِ السَّبْعِ (السبكِ – الحبكِ (الالتحام) –القَصدِ – القَبولِ – المقَاميةِ – **التناصّ** – الإعلاميةِ)[85].

وَمَا دُمْنَا قَد تَوقَّفْنَا أَمَامَ التنَاصِّ في هَذَا البيْت، فَلَا مَعْدَى مِنَ الإشَارَة إِلَى قُدْرة أُخْرَى مِنْ قُدرَات أَبِي نُواس؛ عَنيْتُ استرفَادَهُ أَو اسْتدْرَاجَهُ نُصُوصًا أُخْرَى إِلَى قَصَائِدِه يُوظِّفُهَا في إِنْتَاج دِلَالَاته الشِّعْريَّة؛ وَلَا غَرْوَ أَنَّ ثَقافةَ أَبِي نُوَاس الواسعَةَ المتشعبَةَ، كَانَتْ رَافدًا ثَرًّا لَا يَخذُلُهُ عندَ الاسترْفَاد، وَمِنْ ثَمَّ تَداخَلَتْ مَعَ شِعْرِه نُصوصٌ أُخَرُ كَثيرَةٌ، فَكَانَ التنَاصُّ بِكلِّ أَنْوَاعِه وَدَرجَاته ظَاهرَةً لَافتَةً في شِعْرِ أَبِي نُوَاس، وَلَيسَ بِي أَنْ أُكَرِّرَ مَا قَالَهُ دَارِسُونَ آخَرُونَ عُنُوا بِهذِه الظَّاهرَة[86]، وَحَسْبِي أَنْ أَجْمِلَ مَا أَشَارَ إِليه أُولئكَ الدَّارِسُونَ؛ فَفِي شِعْرِ أَبِي نُواس تَنَاصٌّ دَاخِلِيٌّ (ذَاتِيٌّ) وَخَارِجِيٌّ (غَيرِيٌّ)، وَتَجِدُ التنَاصَّ في مَطالِع قَصائِده مَرَّةً، وَفي أَوْسَاطِهَا أُخْرَى، وَفي خَواتِيمِهَا ثَالِثَةً، وَفي شِعرِه كَذلكَ تَناصٌّ دِينيٌّ، وَتَاريخِيٌّ وَأَدَبِيٌّ وَعِلْمِيٌّ، وَتَجِدُ أَبَا نُواس في تَوظيف تلكَ النصوص، يَقتَبِسُهَا كَاملةً تَارَةً، وَيَتَدَخَّلُ فيهَا بِالزيَادة والْحذْف وَالتحْوِير تَارةً أُخْرَى، وَيَكتَفِي بِالإشَارَة إِلَى النصِّ المسْتَرْفَد تَارَةً ثَالِثَةً.

عَلَى أَنَّ أَهَمَّ مَا يَلفتُ النظَرَ في تَناصِّ أَبِي نُوَاس هوَ قُدرتُهُ عَلَى هَزِّ دِلَالَات النصُوص التي يَسترْفِدُهَا؛ إِذْ يَقْطَعُهَا عَنْ سِيَاقِهَا الأَوَّل وَيَضعُهَا في سِيَاقِه الشِّعْرِيِّ الْخَاصِّ، حَتَّى يُخَيِّلَ إِلَى قَارِئِه أَنَّهَا مِنْ بَنَات أَفْكَارِه أَنتَجَهَا لِحينِهَا، وَلَمْ يَأْخُذْهَا مِنْ غَيْرِه؛ ذَلكَ أَنَّ هَذِه النصوصَ تَقولُ في شِعْرِ أَبِي نُواس غَيْرَ مَا تَقُولُهُ في سِيَاقِهَا الأَصْلِيِّ، وَخَيْرُ مِثَالٍ لِذَلكَ خَمريَّتُهُ الثانيةُ والستُّونَ[87]، وَمَطلَعُهَا:

تُعَاتِبُنِي عَلَى شُرْبِ اصْطِبَاحِ وَوَصْلِ اللَّيْلِ مِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ

إِذْ نَرَى أَبَا نُواس فِي هَذِه الْخَمْرِيَّة يَستَرْفِدُ حَائِيةَ جَرِير التِي يَمدَحُ بِهَا عَبدَ الملِك ابْنِ مَروَانَ مَرْتَيْن: الأُولى حِينَ يَسترفِدُ مَطلَعَهَا:

أَتَصْحُو بَلْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحِ عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّوَاحِ

في ثَنايَا خَمريتِهِ، **وَالـثَّانِيَة** حِينَ يَختِمُ خَمرِيتَـهُ تِلْكَ بِبيْتِ جَرِيرٍ الذَّائِعِ:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَـنْ رَكِبَ الْمَطَـايَـا وَأَنْـدَى الْعَـالَمِيـنَ بُطُـونَ رَاحِ

وَإِذَا كَانَ **جَرِيرٌ** قَدْ وَظَّفَ البيتَ الآنِفَ في سِيَاقِ المدْحِ، فإنَّ أَبَا نُواسٍ يُوظفُهُ في سِيَاقِ عُهْرٍ وَفُسُوقٍ، وَمِنْ ثَمَّ تَتجَرَّدُ كَلِمَاتُ **جَرِيرٍ** بينَ يَدَي **أَبِي نُواسٍ** مِنْ دِلَالتِهَا، لِتقُولَ في خَمريتِهِ غَيرَ مَا قَالتْهُ عِندَ جَرِيرٍ، فَالمخاطَبُ عِندَ أَبِي نُواسٍ غَيْرُ المخَاطَبِ عِنْدَ **جَرِيرٍ**، وَالمطَايَا عِنْدَ **أَبِي نُواسٍ** غَيْرُهَا عِنْدَ **جَرِيرٍ**، وَلَـولَا تَعهِيرُ **أَبِي نُوَاسٍ** لَكَانَ لَـنَا مُـتَّسَعٌ مِنَ القَوْلِ في ذَلِكَ التنَاصِّ، وَلَكِنْ يَأْبَـى الْـخُلقُ وَالدِّينُ.

وَصَفْوَةُ القَوْلِ: أَنَّـنَا مِنْ شِعْرِ **أَبِي نُوَاسٍ** بِإِزَاءِ شَاعِرٍ قَدِيرٍ يَأتِي التَنَاصَّ عَالِمًا بِغَايَاتِـهِ الجمَالِيةِ وَالفَنِّيَّـةِ، وَلَسْنَا بِـإِزَاءِ شَاعِرٍ يَكتفِي بِأَخْذِ نُصُوصِ السَّابِقِينَ وَإِدْرَاجِهَا في نَصِّهِ، فَيَكُونُ سَاطِيًا أَوْ سَارِقًا أَوْ مقلِّدًا إِذَا أَحْسَنَّا الظَّنَّ. لَكِنَّما تَنَاصُّ **أَبِي نُـوَاسٍ** مَهْيَـعٌ خَاصٌّ، وَلَيْسَ كَمَا فَعلَ الشاعِرَانِ الْـجَاهِليانِ؛ يَقولُ أَولُـهُما (**امْـرُؤُ القَيْسِ**):

وُقُـوفًا بِـهَا صَحْبِي عَلَـيَّ مَطِيَّـهُمْ يَقُـولُونَ: لَا تَـهْلِكْ أَسًـى **وَتَـجَمَّـلِ**

فَـيَأْخُذُهُ ثَانِيهِمَا (طَرَفَـةُ بنُ العَبْدِ) فَيقُولُ:

وُقُـوفًـا بِـهَـا صَحْبِي عَلَـيَّ مَطِيَّـهُمْ يَقُـولُونَ: لَا تَـهْلِكْ أَسًـى **وَتَـجَلَّـدِ**

وَلَا يُغَيِّرُ سِوَى الكَلِمةِ الأَخِيرَةِ (تَـجَلَّدِ) – وَإِنْ كَانَتْ مُـرَادِفَـةً لِنظِيرَتِـهَا في المعْنَى – لِـتُوافِقَ قَافِيتَـهُ، وَمِنْ ثَـمَ جَعَلَ **ابْنُ قُتيبةَ طَرَفَـةَ أَوَّلَ الآخِذِينَ مِنَ امْـرِئِ القَيْسِ**[88].

هَذَا، وَتَحسُنُ الإِشَارَةُ إِلَى مَلمحٍ رُومَانتيكِيٍّ في هَذَا الشطرِ؛ فَحِينَ يَقولُ **أَبُو نُواسٍ**: «**سَرَى البَـرْقُ غَرْبِيًّا فَحَنَّ غَرِيبُ**»، أَوْ يَقْبِسُهُ مِنْ نَصٍّ آخَرَ – فَإِنَّـهُ يَجعلُ الطبيعَةَ تَشْرَكُ أُولئِكَ المخْمُورِينَ نَشْوَتَهم، فَـتُثِيرَ حَنِينَهُم؛ ذَلِكَ أَنَّ سَرِيَانَ البَـرْقِ غَرْبِيًّا

يُوافِقُ رِيحَ الصَّبَا التي تَهُبُّ مِنَ المشْرِقِ إِلَى المغرِبِ، وَهِيَ رِيحٌ مَقرونَةٌ عِندَ العَرَبِ بِالعشْقِ وَالهُيامِ وَالحنينِ، وَمِنْ ثَمَّ بَدَا الفعلُ الثانِي (فعلُ النَّدامَى) في هَذَا الشَّطْرِ (فَحَنَّ غَريبُ) مُتَرتبًا عَلَى الفعلِ الأوَّلِ: (سَرَى البَرْقُ غَرْبيًّا)، وَمُرْتَبطًا بِهِ ارتبَاطَ المسَبَّبِ بِالسبَبِ، وَالغُربةُ هُنا غُرْبةٌ عَاطِفيةٌ أَوْ رُوحيَّةٌ يُكابِدُها كُلُّ مَهجورٍ غيرِ مَوصولٍ مِمَّنْ يُحبُّ، عَلَى نَحوِ مَا قَالَ **بَشارُ بنُ بردٍ** فِي نَسِيبِهِ بِعَبْدَةَ:

إِذَا نَطَقَ القَوْمُ الجُلُوسُ فَإِنَّنِي أُكِبُّ كَأَنِّي مِنْ هَوَاكِ غَرِيبُ

وَلَئِنْ تجلَّى أَثَرُ الغِنَاءِ فِي حَنينِ الغُرباءِ أَوِ المحبِّينَ المحرُومِينَ، لَقَدْ تَجَلَّى أَثَرُ الْخَمْرِ فِي مِثْلِ هَذِهِ المفَارَقَاتِ:

فَمَنْ كَانَ مِنَّا عَاشِقًا فَاضَ دَمْعُهُ وَعَاوَدَهُ بَعْدَ السُّرُورِ نَحِيبُ

فَمِنْ بَيْنِ مَسرُورٍ وَبَاكٍ مِنَ الهوَى .....

فَنحنُ مِنْ هَذهِ الصورَةِ بِإِزَاءِ مُفارقَةٍ تَمتزجُ فِيهَا المتناقِضَاتُ وَتَأْتَلِفُ المتباينَاتُ، وَهِيَ مُفارَقةٌ يُنتجُهَا التضادُّ بَينَ المفرداتِ اللغوية: (العِشق/ الدمْع – السرُور/ نَحيب – مَسرور/ بَاكٍ)، فَأَنَّى تَجتمِعُ تِلْكَ المتناقِضَاتِ وَتَتبادَلُ مَوَاقِعَهَا فِي الآنِ عَينِهِ إِلَّا فِي أَفعَالِ السُّكارَى والمخمُورِينَ، وَقَدْ تَمكنَتِ الخمرُ مِنهُم، وَغَيبَتْ أَلْبَابَهم وَوَارَتْهَا، فَتَراهُم يَنتقلونَ مِنْ سُرورٍ إِلَى بكاءٍ وَمِنْ بُكاءٍ إِلَى سُرُورٍ، وَكَذلِكَ الخَمرُ تَفعَلُ؛ إِذْ يَأتِي شَارِبُهَا الفِعلَ وَنَقيضَهُ فِي آنٍ معًا، وَتِلْكَ صُورةٌ بَديعَةٌ لأَثَرِ الْخَمْرِ فِي شَارِبِيهَا.

وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ المفارقَاتُ حَدَثًا عَارِضًا، وَإِنَّما صَوَّرَهَا الشاعِرُ حَالَةً دَائِمَةً تَلَبسَتْ أولئِكَ المخْمُورِينَ فَلَازَمَتْهم حَتَّى انتَهَى المشهَدُ أَو انتَهَتِ القصةُ، وَفِي لُغةِ الشاعِرِ مَا يُصوِّرُ تِلْكَ الْمُلازَمَةَ وَيُؤكِّدُهَا، مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ الشاعِرَ آثَرَ صِيغَةَ المعاوَدَةِ (وَعَاوَدَهُ)، وَهِيَ صِيغَةٌ دَالةٌ عَلَى تَكرارِ الفِعْلِ ودَائِرِيَّتِهِ حَتَّى إِنَّهُ لَا يَكادُ يَنقطِعُ أَوْ يَنتَهِي، كَأَنَّ المخمُورَ يَنتقِلُ مِنْ سُرورٍ إِلى نَحيبٍ، وَمِنْ نَحيبٍ إِلَى سُرورٍ، وَهَكذَا دَوَاليكَ دُونَما

انقطَاعٍ، وَمنهَا كَذلكَ إيثارُ **المقابلاتِ الاسْميةِ** (السرُورُ/ نَحيب – مَسرُور /بَاكٍ) دُونَ الفعلية، وَلَا رَيْبَ أَنَّ إيثارَ البِنَى الاسْمية مُوحٍ بِثَباتِ الدِّلالَـة وَدَوَامهَا، ثُـمَّ منْهَا أَخيرًا **التعبيرُ بِوَاوِ الْـحَال** في الشطرِ التالـي: (وَقَدْ لَاحَ مِنْ ثَوْبِ الظَّلَام غُيُوبُ)، فَهَذَا الشطرُ إلْمـاحٌ إلَى تولِّـي الليلِ وَاقترابِ الصباحِ، وَبِه تَبدأُ نِهايةُ القصَّة، لَكنَّ تَصدرَهُ بِوَاوِ الحالِ مُوحٍ بِتَداخُلِ النهَايةِ مَعَ حَالةِ السُّكْرِ وَالعربدَةِ البَادِيَةِ فِي أَفْعَالِ السُّكَارَى المتنَاقضَة، أَيْ أَنَّ سُكْرَهُم دَامَ حَتَّى أَدْرَكَهُمُ الصبَاحُ.

أَمَّا ثَلاثَـةُ الأَشْطُرِ الأَخِيرَةِ:

..... وَقَـدْ لَاحَ مِـنْ ثَـوْبِ الظَّـلَام غُيُوبُ

وَقَدْ غَـابَتِ الشِّعْرَى العَبُورُ وَأَقْبَلَتْ نُجُـومُ الثـرَيَّـا بِالصَّبَاحِ تَثُـوبُ

فَـتُمثِّلُ نِهايةَ القصة، وَقَـدْ وُفِّـقَ الشَّاعرُ فِي تَصوير تِلْكَ النهَايَـة، فَأَلْمَحَ وَلَـمْ يُصَرِّحْ، وَتِلْكَ وَاحِدَةٌ مِنْ أَمَارات الشعْرية أو الأَدبيَّـة: أَنْ تُومئَ إِلَى المعنَى وَلَا تَقولَـهُ؛ ذَلكَ أَنَّ خُلاصَةَ مَا تَقولُه تِلْكَ الأَشْطُرُ: إِنَّ هَذه الجماعَةَ مَازَالَتْ بَينَ شُرْبٍ وَلَـهو، وَسُرورٍ وَبُـكاءٍ حَتَّى أَذِنَ الليلُ بِالمغيبِ، وَبَشَّرَتْ نُجُومُ الثُّريَّا بِعودَةِ صُبْحٍ جَديدٍ، لَكنَّها لَـمْ تَقُلْ هَذَا المعنَى قَولًا صَريحًا مُبَاشرًا، وَإِنَّما قَـالَتْهُ قَولًا شعريًّا، وَمِنْ ثَمَّ بَدَتْ تِلْكَ النهَايةُ أَشبهَ بِالنهايَـة المفتوحَة منْهَا بِالنهايَة المغلقَة، فَليسَ ثَمةَ إِشارةٌ حَاسمَةٌ إِلَى مَا آلَ إِليهِ أَمْرُ المجْلسِ أَوْ أَمْـرُ **أَبِي نُواسٍ** وَرِفَاقِه.

وبعدُ، فَـحَرِيٌّ **بأبي نواس** أن يُغبَطَ على هذَا النصِّ، فمأ أخطأَ تقنيةً سرديةً تخدمُ النصِّ، وتُسعِدُهُ عَلَى تَصْوير ذَلكَ المشهدِ، وإِخْراجِه بتلكَ الصورَةِ لِقَارئِـه، ولَا يعنِي ذلكَ أَنَّ القصيدةَ برئَتْ من العيوبِ تمامًا، ومَا أظنُّ واحدًا من دعاةِ الحداثةِ ومتشَاعريهَا يَسطِيعُ أَنْ يُنتجَ ذلكَ المشهَدَ أو قريبًا منهُ بهذِه البراعةِ والدقةِ فِي توظيف التقنياتِ السرديةِ، رُغمَ ما بينَ الحداثيينَ **وأبِي نواسٍ** من فارقٍ مهمٍ؛ فقد كانَ **أبو نواسٍ** يُبدِعُ مَحكومًا بإطارِ الوزنِ والقافيةِ،

فمَا ضاقتْ قدرتُـهُ الفارهةُ بالإطارِ، ومَا ضاقَ ذلكَ الإطارُ بتجلياتِه الإبدَاعيةِ وما خذلَهُ، أمَّا شَاعِرُ الحداثَـةِ فقدْ مَزَّقَ الإطارَ (الوزنَ والقافيةَ) وَدَمَّرَهُ، وَاعِدًا بتجَارِبَ قَصصيةٍ كثيرةٍ حَالَ الإطارُ الموروثُ بينهُ وبينَ إنتاجِهَا، لَكِنَّهُ أَخْلفَ مَا وَعَدَ، وَكَأَينٍ مِنْ وَعْدٍ وَعَدَهُ الحداثيونَ وكانَ الْـخُلْفُ منهمْ سَجيةً!!.

إنَّ بَرَاعَـةَ أَبِـي نُواسٍ – عَلَـى مُـجُونِـهِ – لَـتَـذَرُ قَارِئَـهُ يَعجَبُ، فَيستَدْعِي قَولَـةَ عُمَـرَ: «**عَجِبْتُ لِـجَلَدِ الفَاجِرِ وَعَجْزِ الْـمُؤْمِنِ**»[89]، وَلَـرُبَّـمَا يُـؤمِنَ قَـارِئُ هَذهِ القَصِيدَةِ بَقولَـةِ الأَصْمَعِيِّ – عَلَى ضَعفِهَا[90] –: «**الشِّعْـرُ نَكِدٌ بَـابُـهُ الشَّـرُّ، فَـإِذَا دَخَـلَ فِي الْـخَيْـرِ ضَعُفَ**...».

هَذَا، وَلَيسَتْ هَذهِ القَصيدَةُ فَارِدَةً في شِعْرِ أَبِي نُواسٍ، أَوْ في خَـمريَّـاتِـه عَلَـى وَجْهِ التحْديدِ، فَالسَّرْدُ مِنَ الأَدوَاتِ الأَثِيرَةِ في شِعْرِ **أَبِي نُواسٍ** وَلَا سِيَّمَا خَـمريَّـاتُـهُ، غَيْرَ أَنَّـهُ قَـلّما يَكتَمِلُ عَلَى نَحْوِ مَا وَجَدْنَاهُ في الْـخَمْرِيَّـةِ الآنِفَـةِ، وَمِنْ ذَلِكَ – مَـثَـلًا – خَمرِيتَاهُ اللتَانِ عَدَّهُـمَا د. حُسَين خريس أَكْثَرَ قِصَصِهِ الخمْـريَّـةِ احْتِفَاءً بِالعنَاصِرِ القَصصِيَّـةِ يُـرِيدُ بِـذَلِكَ الخمْـريَّـةَ التِي مَطلعُهَا:

وَأَحْـوَرَ ذِمِّـيٍّ طَـرَقْـتُ فِـنَـاءَهُ بِـفِتْيَانِ صِدْقٍ مَـا تَـرَى مِنْهم نُكْرًا

والخمريَّـةَ التِي مَطلَعُهَا:

وَفِـتْيَـةٍ كَمَصَـابِيـحِ الـدُّجَـا غُـرَرٍ شُمِّ الأُنُـوفِ مِنَ الصِّيدِ الْمَصَالِيتِ

وَلَا أَدْرِي كَيْفَ ذَهِلَ د. **حُسين خـريس** عَنْ خَـمريَّـةِ **أَبِي نُواسٍ** الآنِفَةِ (دَعِ الـرَّبْـعَ..) فَلَمْ يَـرَهَـا وَاحِدَةً مِنْ أَكْثَـرِ قَصَائِـدِهِ احْتِفَاءً بِالعنَاصِرِ القَصصِيَّـةِ عَلَى نَحْوِ مَا رَأَى فِي تَـيْنِكَ الْـخَمرِيتَـيْنِ، رُغْمَ تَفوقِهَا الوَاضِحِ عَلَى هَـاتَينِ الخمرِيتينِ. وَلَـرُبَّـمَا كَانَتْ شُهْرَةُ تِلْكَ الخمْرِيَّـةِ حِجَابًا أَمَامَ الالتِفَاتِ إِلَيهَا أَو الاكتِرَاثِ بِبِنَائِهَا القَصَصِيِّ الفَارِهِ، وَلَا عَجَبَ أَنْ تَـرَى د. **حُسين خريس** يَـقُولُ بعدَ ذَلِكَ: «أَمَّا عَنْ قِصَصِهِ الخمْـرِيّـةِ

فَـلَا بُـدَّ مِنَ القَوْلِ بَادِئَ ذِي بَـدْءٍ بِأَنَّـهُ لَيسَ مِنَ المتوَقَّعِ أَنْ نُصَادِفَ قِصَّةً فَـنِّيَّةً بِشُرُوطِهَا المعهودَةِ مِنْ بِدَايَـةٍ وَنِـهَايَةٍ وَعُـقدَةٍ تَـدُورُ عَلَـيْهَا الوَقَائِعُ وَالْـحَوَادِثُ ثُـمَّ تَنتَهِي بِحَـلٍّ لَـهَا، لِسَبَبٍ بَسِيطٍ هوَ أَنَّ الغَايَةَ التِي كَانَ يَـرْمِي إِلَـيْهَا أَبُو نُواس مِنْ وَرَاءِ قِصَصِهِ الخمْـرِيَّـةِ هِيَ تَصْوِيـرُ مَـجَالِسِهِ الخمْرِيَّـةِ بِأَكْبَـرِ قَدْرٍ مِنَ التَّـأْثِيـرِ»[91].

وَلَسْتُ أَرَى أَنَّ تَصويرَ مَـجَالِسِ الخمْـرِ يَصلُحُ عِلَّـةً لِغِيَـابِ القِصَّـةِ الفَنِيَّـةِ بِشُرُوطِهَا المعهُودِةِ في شِعْرِ أَبِي نُواسٍ، وَلَقَدْ أَكَّدَتْ وقْفَتُـنَا أَمَامَ الخمرِيَّـةِ السّابقَةِ وُجودَ تِلْكَ القِصَّـةِ الفَنِيّة، وَاكتِمَالَـهَا وَنُضْجَهَا وَتَنوُّعَ تِقنِيَّاتِـهَا السَّرْدِيَّـة، وَلَسْتُ أَوَدُّ أَنْ أُسْرِفَ في تَبْجِيلِ تِلكَ الخمْرِيَّـة، فَلَئِنْ كَانَتْ عَلامَةً عَلَى قُدرَةِ أَبِي نُواس السَّـرديَّـة، لَقَدْ كَانَتْ كَذلِكَ حُجَّـةً عَلَيْهِ، لأَنَّ تِلْكَ القُدرَةَ كَانَتْ وَاعِدَةً بِنَمَـاذِجَ عَديدَةٍ مِنْ تِلْكَ القِصَصِ الشِّعْرِيَّـةِ النَاضِجَةِ لَكِنَّ **أَبَا نُواس** لَـم يَـفعَلْ، وَبَـقِيَتْ هَذِهِ النمَاذِجُ المكتَمِلَةُ قَلِيلَـةً بَلْ نَـادِرَةً في شِعْرِ أَبِي نُوَاسٍ[92]. وَزِدْ إِلَى تِلْكَ النُّدرَةِ تَشَابُـهَ النمَاذِجِ القَصَصِيّةِ في بِنَائِهَا القَصَصِيِّ وَتِـقْنِيَّاتِـهَا، وَرُبَّـمَا تَعبِيـرَاتِـهَا وَصُوَرِهَا، مِـمَّا يَسِمُهَا بِشَيْءٍ مِنَ النمَطِيّةِ، حَتَّى إِنَّ إِحْدَاهَا لَـتُغْنِي عَنْ بَـقِيّـتِهَا، فَكَأَنَّـهَا قِصَّةٌ وَاحِدَةٌ كُتِبَتْ بِأَشْكَالٍ مُتقَارِبَـةٍ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ مَا دَعَانَا إِلَى الموازنَةِ بَـيْنَ خَـمْرِيتَيْنِ كَانَـتَا بِنَجْـوَةٍ مِنْ تِلْكَ النَّمطِيَّـةِ؛ إِذْ تَشَابَـهَتَا فِي مَضْمُونِ القِصّةِ، وَاخْتَلَفَتا فِي أَدَاةِ التشْكِيلِ السَّرْدِيِّ.

ثَانِيًا - الخمْرِيَّةُ الثانِيَةُ

يَقُولُ أَبُو نُوَاسٍ[93]:

وَخَمَّارَةٍ لِلَّهْوِ فِيهَا بَقِيَّةٌ ... إِلَيْهَا ثَلاثًا نَحوَ حَانَتِهَا سِرْنَا

وَلِلَيْلِ جِلْبَابٌ عَلَيْنَا وَحَوْلَنَا ... فَمَا إِنْ تَرَى إِنْسًا لَدَيْهِ وَلَا جِنَّا

يُسَايِرُنَا إِلَّا سَمَاءٌ نُجُومُهَا ... مُعَلَّقَةٌ فِيهَا إِلَى حَيْثُ وَجَّهْنَا

إِلَى أَنْ طَرَقْنَا بَابَهَا بَعْدَ هَجْعَةٍ ... فَقَالَتْ مَنِ الطُّرَّاقُ؟ قُلْنَا لَهَا: إِنَّا

شَبَابٌ تَعَارَفْنَا بِبَابِكِ لَمْ نَكُنْ ... نَرُوحُ بِمَا رُحْنَا إِلَيْكِ فَأَدْلَجْنَا

فَإِنْ لَمْ تُجِيبِينَا تَبَدَّدَ شَمْلُنَا ... وَإِنْ تَجْمَعِينَا بِالوِدَادِ تَوَاصَلْنَا

فَقَالَتْ لَنَا أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرحَبًا ... بِفِتيَانِ صِدْقٍ مَا أَرَى بَيْنَهُمْ أَفْنَا

فَقُلْتُ لَهَا: كَيْلًا حِسَابًا مُقَوَّمًا ... دَوَارِيقَ خَمْرٍ مَا نَقَصْنَ وَمَا زِدْنَا

فَجَاءَتْ بِهَا كَالشَّمْسِ يَحكِي شُعَاعُهَا ... شُعَاعَ الثُّرَيَّا فِي زُجَاجٍ لَهَا حُسْنًا

فَقُلْتُ لَهَا: مَا الاسْمُ وَالسِّعْرُ؟ بَيِّنِي ... لَنَا سِعْرَهَا كَيْمَا نَزُورَكِ مَا عِشْنَا

فَقَالَتْ لَنَا: حَنُّونُ اسْمِي وَسِعْرُهَا ... ثَلَاثٌ بِتِسْعٍ هَكَذَا غَيْرَكُمْ بِعْنَا

وَلَمَّا تَوَالَى اللَّيْلُ أَوْ كَادَ أَقْبَلَتْ ... إِلَيْنَا بِمِيزَانٍ تَنْقُدُنَا الْوَزْنَا

فَقُلْتُ لَهَا جِئْنَا وَفِي الْمَالِ قِلَّةٌ ... فَهَلْ لَكِ فِي أَنْ تَقْبَلِي بَعْضَنَا رَهْنًا؟

فَقَالَتْ لَنَا: أَنْتَ الرَّهِينَةُ فِي يَدِي ... مَتَى لَمْ يَفُوا بِالْمَالِ خَلَّدْتُكَ السِّجْنَا

لَقَدْ أَشَرْتُ مِنْ قَبْلُ إِلَى اخْتِلَافِ وَسَائِلِ تَشكِيلِ النصِّ بِاختِلَافِ غَايَاتِهِ وَمَقَاصِدِهِ؛ وَلَا تَخرُجُ المُوَازنَةُ بينَ تَيْنِكَ الخمْرِيتَيْنِ عَنْ تَأكِيدِ تِلْكَ الإِشَارَةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ هَاتَينِ الخمريتَينِ وَإِنْ تَشَابَهَتَا فِي تَصوِيرِ رِحْلَةِ أَبِي نُوَاسٍ وَرِفَاقِهِ إِلَى خَمَّارَةٍ لَيلًا؛ فَلَقَدِ اختلَفَتْ غَايَةُ تِلْكَ الرحلَةِ وَمَقْصِدُهَا؛ إِذْ كَانَ أَبُو نُوَاسٍ - وَرِفَاقُهُ لَه

تَبَعٌ – في الخمْريَّـة الأُولَـى عَابِـثًا مَاجِـنًا يَـتغيَّا الخمْـرَ وَمَـجْلِسَهَا، وَمَا يَدورُ في ذَلكَ المجْلِس، وَمِنْ ثَمَّ نَاسَبَ تِلْكَ الغَايةَ البنَاءُ السَّرْدِيُّ الْـخَالِصُ، وَتَـهْمِيشُ الْـحِوَارِ حَتَّى كَانَ وُجُودُهُ فِيهَا كَالعَدَم، لَكِنَّ **أَبَا نُواس** في الخمريَّـة الثَّانيَـة هَذِه مُـحِبٌّ وَامِـقٌ أَوْ غَـزِلٌ مُتشَاجٍ[94]، حَتَّى وَلَـوْ كَانَ الشَّاعِرُ لَاهِيًا هَـازِلًا في هَذِي القَصيدَة، فَاللَّهْوُ والغَـزَلُ صِنْوَانِ، وَلَقَدْ نَـقلَ ابْـنُ مَنظُورٍ في لِسَانِـه عَنِ ابْنِ سِيدَه: «**الغَـزَلُ اللَّـهْوُ مَعَ النسَاء**»، وَلَقدْ كَانَ سَلفُهُ عُمرُ بنُ أَبِـي رَبيعَةَ سَيِّدَ الْـهَازِلِينَ في غَـزلياتِـه، فَـمَا أَكْثَـرَ حِوَارِيَّاتِـه الْـهازلةَ مَعَ مَـحبوبَاتِـه، سَوَاءٌ أَكُنَّ حَقِيقَـةً أَمْ خَيَالًا، وَلَقدْ صَرَّحَ أَبُو نُواسٍ بِلَهْوِهِ مِنْ أَوَّلِ بَيتٍ، وَلَـمْ يوارِهِ: «وَخَـمَّارَةٍ **لِلَّـهْوِ** فِيهَا بَـقِيَّـةٌ».

وَمِنْ ثَـمَّ فغَايَـةُ **أَبِي نُواسٍ** هُنَا بَائِعةُ الخمْـرِ وَمُـحادَثَتُهَا، لَا الْـخَمْـرُ ذَاتُـهَا، حَتَّى لَـيمْكِنُـنَا القَولُ بِأَنَّ هَذِه الْـخَمْرِيَّـةَ كَانَتْ أَوْلَى بِأَنْ تُوضَعَ في بَابِ الغَـزَلِ بِديوَانِ **أَبِي نُـوَاسٍ** مِنْهَا بِبَابِ الخمْرِيَّات، وَرُبَّـمَا لِـهذِه الغَايَـة تَدَاخَلَ السَّرْدُ وَالْـحِوَارُ في الخمريَّـة الثَّانيَـة، مَعَ تَغْلِيبٍ لِلْحِوَارِ، مِـمَّا يُـؤَكِّدُ جَدليَّـةَ العلَاقَةِ بينَ السَّرْدِ والحِوَارِ؛ إِذْ يَتفَاعَلَانِ وَيَتَدَاخَلَانِ وَلَا يَـتَناقضَانِ؛ فَيَـرْتَفِعُ أَحدُهمَا في وُجُودِ الآخَرِ؛ وَلعلَّـهُ يَـحسُنُ بِـنَا بعدَ ذَلكَ – وَنَحنُ نُوازِنُ بينَ هَذَيْنِ النصيْنِ – أَنْ نُسمِّـيَهُما قَصيدَتَـيْنِ لَا خَـمريتَـيْنِ، فَـلَا وَاشِجَةَ بينَ القَصيدَةِ الثانيَـةِ والخمْـرِ، سِوَى أَنَ الخمَّارةَ (بَـائِعَةَ الخمْـرِ) كَانَتِ الطَّـرَفَ الثانِـيَ لِلحِوَارِ في القَصيدَةِ، وَأَنَّ ذَلكَ الحِوَارَ دَارَ في حَانَتِهَا[95].

وَقَـدْ يُـقَوِّي زَعْمَنَا بِأَنَّ الحِوَارَ أَكثَـرُ مُناسبةً لهذِه القَصيدَةِ الغَزليةِ – إِذَا اتفَقْنَا عَلَى أَنَّ غَايتَهَا الغَـزَلُ لَا المجُونُ – أَمْـرَانِ: **أَوَّلُـهُما** – المعنَى اللغَويُّ للغَـزَلِ؛ إِذْ يَـدُورُ هَذَا المعنَى حَولَ مُـحادثَـة النِّسَاءِ بِلِينٍ وَرِفْـقٍ، وَالتَّـوَدُّدِ إِلَـيْهِنَّ؛ فَفِي لِسَانِ العَرَبِ يَـقُولُ **ابنُ مَنظُور**: «وَالغَـزَلُ: **حَديثُ الْفتْيانِ وَالفَتَيات**. ابْنُ سِيدَه: **الغَـزَلُ اللَّـهْوُ مَعَ النساء** ... وَمُغازَلَـتُهنَّ: **مُـحَادثَتُهُنَّ وَمُـرَاوَدَتُـهُنَّ**، وَقَدْ غَازَلَـهَا، وَالتَّغَزُّلُ: التكَلّفُ لذلكَ... تَقُولُ: غَازَلْتُهَا وَغَازَلَتْني، وتَغَزَّلَ أَيْ تَكلَّفَ الغَـزَلَ، وَقَدْ غَـزِلَ غَـزَلًا، وَقَدْ تَغَـزَّلَ بِـهَا وَغَازَلَـها وغازَلَتْه مُغازَلَـةً. وَرَجُلُ غَـزِلٌ: مُتَغَـزِّلٌ بِـالنسَاءِ عَلَى النسَبِ أَيْ ذُو غَـزَلٍ»[96].

وَفِي لِسَانِ العَاشِقِينَ يَقُولُ أَحَدُهُم (جَمِيلُ بُثينَةَ):

يَقُولُونَ: جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِغَزْوَةٍ وَأَيَّ جِهَادٍ غَيرَهُنَّ أُرِيدُ

لِكُلِّ حَدِيثٍ عِنْدَهُنَّ بَشَاشَةٌ وَكُلُّ قَتِيلٍ عِنْدَهُنَّ شَهِيدُ

وَيَقُولُ ثَانِيهِم (مُسلِمُ بنُ الوَلِيد):

عَينَاكِ رَاحِي، وَرَيْحَاني حَدِيثُكِ لِي وَلَوْن خَدَّيْكِ لَون الوَرْدِ يَكفِينِي

وَرَوَى أَبُو حَيَّان التَّوحِيدِيُّ عَنْ أَبِي العَبَّاس النَّاشِيء أَنَّهُ قَالَ: «وَمُخاطبَاتُ النسَاءِ تَحلُو فِي الشِّعْرِ، وَتَعْذُبُ فِي القَرِيضِ، لَا سِيَّمَا لِغانِيَةٍ قَدْ أَطَرَّ الفَتَاءُ شَارِبَهَا، وَزَوَى الإِبَاءُ حَاجِبَهَا، وَأَشَطَّ الْجَمالُ قَوَامَهَا، وَأَفْرَدَ الحسْنُ تَمامَهَا، وَأَنْجَلَ الْهَوَى عَينَيْهَا، وَأَمْرَضَ الزَّهْوُ جَفْنَيْهَا، وَأَرَابَتِ الصَّبَابَةُ أَلْفَاظَهَا، وَفَتَرَ الرَّبْو أَلْحَاظَهَا...» [97].. وَفِي ذَلِكَ مَغْنًى عَنِ الإِطْنَابِ.

أَمَّا ثَانِي الأَمْرَيْنِ؛ فَهوَ وَاقِعُ التُّرَاثِ الغَزَلِيِّ فِي شِعْرِ العَرَبِ؛ ذَلِكَ أَنَّ هَيمنَةَ ضَمِيرِ الخِطَابِ – وَهوَ ضَمِيرُ الحِوَارِ – عَلَى ذَلِكَ التراث أَجْلَى مِنْ أَنْ نُشِيرَ إِلَيهَا، نَاهِيكَ بِأَنَّ الفلَذَ الحِوَارِيَّةَ فِي شِعْرِ الغَزَلِ العَرَبِيَّ أَكثَرُ مِنْ أَنْ تُحصَى، وَفِي غَزَلِيَّاتِ عُمَرَ بنِ أَبِي رَبِيعَةَ – مَثلًا – مَا يُؤَكِّدُ ذيوعَ ذَلِكَ النفَسِ الْحِواريِّ.

عَلَى أَنَّ تَغلِيبَ القصيدَةِ الثانِيةِ الحِوَارَ لَا يُخْرِجُهَا مِنْ إِطَارِ السَّرْدِ؛ فَلَقَدْ فَهِمَ الأستاذُ يَحيَى حَقِّي – خَطَأً – أَنَّ السَّرْدَ وَالحِوَارَ عُنصُرَانِ مُتَباينَانِ، وَأَنَّ السَّرْدَ عُنصُرٌ بِجوَارِ عُنصُرِ الْحِوَارِ، «وَهوَ تَصوُّرٌ مُختَزَلٌ وَقَاصِرٌ عَنِ الإِلْمَامِ بِمفهُومِ السَّرْدِ بِاعتِبَارِ أَنَّهُ وَسِيلَةُ تَشكِيلِ الأَحدَاثِ، وَأَنَّ الْحِوَارَ وَالإِخْبَارَ إِنَّما هُمَا عُنصُرَانِ سَرديَّانِ يُسْهِمَانِ فِي تَنوِيعِ تِقنيَّاتِ السَّرْدِ فِي التعْبِيرِ عَنِ الأَحْدَاثِ وَدِلَالَاتِهَا، فَإِنَّهُ قَدْ لَمَسَ وُجُوهَ التَّمَاثُلِ بينَ رِوَايَةِ هَيكَل وَرِوَايَاتِ بُورجِيه وبُوردُو وزُولا»[98]، وَمَعنَى ذَلِكَ أَنَّ السَّرْدَ وَالْحِوَارَ أَدَاتَانِ سَرديتَانِ تَتكامَلَانِ وَلَا تَتعَارَضَانِ، أَوْ هُما ضَرْبَانِ

سَرديَّان عَلَى نَحْو مَا أَشَارَ الكَاتبُ الأَلْمَانيُّ **لُودفيج** (1813 – 1865) الذي كَانَ مُهْتمًا بالدِّرَامَا الشّكْسبيريّة، حَيثُ يُؤكِّدُ أَنَّ هُنالكَ شَكْليْن سَرديين، طبقًا لِوَظيفَة الْحَكْي، **أَولُهما– قَصُّ الحدَث**، حَيثُ يَعتَمدُ الإِخْبَارَ عَن الحدَث، وَفيه يَتوَجَّهُ الرَّاوي إِلَى المستَمعينَ، فَيكُونُ الْحَكْيُ أَحَدَ العنَاصر التي تُحدِّد الأَثَرَ الأَدَبيَّ. **وَثَانيهمَا – السَّرْدُ المشْهَدِي**، حيثُ يَتخَيّلُ المتلقِّي أَنَّهُ يُشاركُ الشخْصيَّات في أَفْعَالِهَا، وَهذَا النمَطُ منَ السَّرْد مُتَأثِّرٌ بالمسْرَح، لاعتمَاده عَلَى الْحوَار، وَإعطَاء أهمية كَبيرَة لتقْديم الوَقَائع بشَكْل حَيٍّ[99]، وُيُمْكنُنَا أَنْ نَعُدَّ هَذه القَصيدَةَ منْ ذَلكَ السَّرْد المشْهَدي؛ ذَلكَ أَنَّ الْحوَارَ فيهَا يُصوِّرُ حَدَثًا أَوْ مَشْهدًا.

هَذَا، وَليسَ منْ غَايَتي أَنْ أُطيلَ الوقْفَةَ أَمَامَ هَذه القَصيدَة مثلَما فَعَلْتُ مَعَ سَالفَتهَا، وَحَسْبي أَنْ أُشيرَ إِلَى بَعْض المفَارَقَات بينَ القَصيدَتَيْن؛ وَفْقًا لاختلَاف غَايتَيْهمَا.

وَأَوَّلُ هَذه المفَارَقَات وَأَهْونُها ذَلكَ الاخْتلَافُ الشَّكْليُّ بَينَ القَصيدَتَيْن، فَبينَما طَالَت القصيدَةُ الأُولَى فَأَنافَتْ عَلَى عشْرينَ بَيْتًا، قَصُرَت الثَّانيَةُ، فكَانَتْ أَربعَةَ عَشَرَ بَيْتًا.

وَلَمَّا كانَ السيَاقُ هُنَا سيَاقَ غَزَل وَلَهْو، فَقَد وَظَّفَ أَبُو نُوَاس منَ التقْنيات كُلَّ مَا يَخدمُ هَذَا السيَاقَ، وَيتَجَلَّى ذَلكَ في بنَاء القَصيدَة؛ فَلَمْ يُقدِّم الشاعرُ أَوْ يُمَهِّدْ مثلَما فَعلَ في قَصيدته السالفَة، وَإِنَّمَا دَلَفَ إِلَى غَايته منْ أَقْرَب طَريق؛ فَبدأَ بصيغَة التذَكُّر أَو الاسْترْجَاع (**وَخَمَّارة**) مُباشَرَةً؛ وَإِذَا كَانَتْ تلْكَ الصيغَةُ قَدْ أَسْعفَتْهُ في تَحديد زَمَن الحدَث (**وَليلَة دَجْن**) في القَصيدَة السَّالفَة، فَقَدْ أَسْعفَتْهُ هُنَا في تَحديد غَايته (الْخَمَّارَة/ بَائعَة الخمْر أَوْ رَبَّة الْحَانَة)، وَرُغْمَ أَنَّ قَوْلَهُ (**وَخَمَّارة**) يَحتَملُ أَنْ يُرَادَ بهَا بَيْتُ الخمْر وَحَانَتُهَا، كَما يَحتَملُ أَنْ يُرَادَ به صَاحبَةُ الْخَمْر أَوْ بَائعَتُهَا، فَإِنَّ سيَاقَ الغَزَل يُرَجِّحُ الاحتمَالَ الثَّاني، نَاهيكَ بأَنَّ سياقَ النصِّ يُؤَكِّدُ ذَلكَ الاحْتمالَ؛ فَقَدْ حَسَمَ الشاعرُ نَفسُه الأَمْرَ فَقصَرَ دلَالَةَ الكَلمة (**وَخَمَّارة**) عَلَى (بَائعَة الخمْر أَوْ

رَبَّـةِ الْـحَانَةِ)، حِينَ قَالَ فِي الشطرِ الثانِي: (إِلَيْهَا ثَلاثًا نَحْوَ **حَانَتِهَا** سِرْنَا)، فَذكَرَ كَلمةَ (حَانَة) مُتصلَةً بِضَمِيرٍ يَعودُ عَلَى الخمارَةِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الحانَةَ غَيْرُ الْخمارَةِ التِي افتتَحَ بِهَا قَصيدَتَهُ، وَشَبِيهٌ بِذَلِكَ مَا قَالهُ **أَبُو نُوَاسٍ** فِي مَطلَعِ خَمريتِهِ الوَاحِدَةِ وَالأَربعِينَ:

يَا رُبَّ **خَمَّارَةٍ** بِالقُفْصِ **حَانَتُهَا** بِهْدِينَةٍ ذَاتِ أَطْمَارٍ مَهَارِيتِ
نَبَّهتُهَا سَحَرًا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ وَالدِّيكُ يَمْزِجُ تَصْفِيقًا بِتَصْوِيتِ
فَأَوْجَسَتْ خِيفَةً مِنِّي وَمَا عَلِمَتْ أَنِّي طَرُوقٌ لِرَبَّاتِ **الْحَوَانِيتِ**[100]

وَيَزدَادُ الاحتِمَالُ الثَّانِي تَأْكِيدًا حِينَ نَرَى الشَّاعِرَ يَقولُ فِي البَيْتِ الرّابِعِ:

إِلَى أَنْ طَرَقْنَا **بَابَهَا** بَعْدَ هَجْعَةٍ **فَقَالَتْ** مَنِ الطُّرَّاقُ؟ قُلْنَا لَهَا: إِنَّا

فَمرجعيَّةُ الضَّمائِرِ فِي كَلِماتِ البيْتِ (بَابَهَا – فَقَالَتْ – لَهَا) تُؤكِّدُ أَنَّ **أَبَا نُوَاسٍ** أَرادَ بَائِعَةَ الخمْرِ، وَلَمْ يُرِدْ بَيتَ الخمْرِ أو حَانُوتَهَا، وَلَوْ أَرَادَهُ مَا آدَهُ أَنْ يُصرِّحَ بِهِ عَلَى نَحْو مَا فَعلَ فِي القَصيدَةِ السابقَةِ؛ حَيثُ قَالَ: (إِلَى **بَيْتِ خَمَّارٍ** وَدُونَ مَحلِّهِ، قُصُورٌ مُنِيفَاتٌ لَنَا وَدُرُوبُ).

وَلَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ **أَبِي نُوَاسٍ** أَنْ يُصَرِّحَ بِدَارِ الْخَمْرِ إِذَا مَا أَرَادَ الإِشَارَةَ إِلَى مَكانِ المجُونِ، وَقَدْ يَأْتِي تَصرِيحُهُ عَامًّا، كَأَقْوَالِهِ فِي غَيْرِ خَمرِيَّةٍ:

رَاحَ الشَّقِيُّ عَلَى رَسْمٍ يُسَائِلُهُ وَرُحْتُ أَسْأَلُ عَنْ **خَمَّارَةِ الْبَلَدِ**[101]
وَفِتْيَانِ صِدْقٍ قَدْ صَرَفْتُ مَطِيَّهُمْ إِلَى **بَيْتِ خَمَّارٍ** نَزَلْنَا بِهِ ظُهْرًا[102]
وَحَانَةِ خَمَّارٍ تَوَخَّيْتُ صَحْبَهَا بِأَرْبَعَةٍ مِثْلِ النجُومِ الزَّوَاهِرِ[103]
وَدارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَدْلَجُوا بِهَا أَثَرٌ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدارِسُ[104]

وَقَدْ يَكونُ تَصريحُه خَاصًا إِذَا أَرادَ مَكانًا بِعينِه، مِثْلِ (دَيْرِ حِنّة – أَوْ دَيْرِ الأُكَيْرَاحِ)؛ كَقَولِه:

دَعِ البَسَاتِينَ مِنْ وَرْدٍ وَتُفَّاحِ وَاعْدِلْ –هُديتَ– إِلَى دَيْرِ الأُكَيْرَاحِ[105]

وَرُغْمَ قِصَرِ هَذِهِ القَصِيدَةِ إِذَا مَا قُورِنَتْ بِسَالِفَتِهَا؛ فَإِنَّهَا قَدْ عُنِيَتْ بِجُزْئِيَّاتٍ وَتفْصِيلَاتٍ لَمْ تُعْنَ بِهَا القَصِيدَةُ السَّالِفَةُ، وَلَقَدْ كَانَتِ الحِفَايَةُ بِتِلْكَ التفَاصِيلِ أَوْ تَرْكُهَا مُرَاعَاةً لِلغَايَةِ أَوِ الْمَقَامِ؛ فَلَمَّا كَانَتِ القَصِيدَةُ الأُولَى سَرْدِيَّةً أَغْفَلَ الشَّاعِرُ كَثِيرًا مِنَ التفَاصِيلِ التِي تُؤَثِّرُ فِي بِنَاءِ الحَدَثِ السَّرْدِيِّ وَتَصوِيرِهِ اطْمِئْنَانًا إِلَى ذَكَاءِ المتلقِّي وَقُدرَتِه عَلَى مَلْءِ فَجوَاتِه السَّرْدِيَّةِ، وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ؛ وَلَمَّا كَانَتِ القَصِيدَةُ الثانِيَةُ تَجْمَعُ بينَ السَّرْدِ وَالْحِوَارِ، وَالْحِوَارُ فِيهَا أَغْلَبُ؛ فَقَدْ حَرَصَ الشاعِرُ عَلَى ذِكْرِ تَفاصِيلِ المشهَدِ الحِوَارِيِّ لِيُطِيلَ الحِوَارَ مَا استَطَاعَ؛ فَينْعَمَ بِمُحادَثَةِ الْخَمَّارَةِ وَالتوَدُّدِ إِلَيهَا.

حَتَّى المقطَعُ السَّرْدِيُّ الذِي افتَتحَ بِهِ الشاعِرُ هَذِي القَصِيدَةَ لَمْ يَخْلُ مِنْ تَفصِيلٍ؛ فَبعْدَ أَنْ حَدَّدَ الشاعِرُ بِصِيغَةِ الاستِذْكَارِ (**وَخَمَّارة**) غَايتَهُ وَوِجْهَتَهُ، وَصَفَ تِلْكَ الْخَمارَةَ بِمَا يُسوِّغُ الرِّحْلَةَ إِليهَا، وَيَجعلُها حَرِيَّةً بِالمغَامَرَةِ فِي هَذَا اللَّيلِ الأَلْيَلِ: (**لِلَّهْوِ فِيهَا بَقِيَّةٌ**)، وَلَمْ يَذكُرِ الشَّاعِرُ فِي القَصِيدَةِ السَّالِفَةِ عَدَدَ مَنْ رَافَقَهُ إِلَى بَيْتِ الْخمَّارِ، وَلَكنَّه يُحدِّدُ العدَدَ هُنَا: (**إِلَيْهَا ثَلَاثًا نَحْوَ حَانَتِهَا سِرْنَا**). وَبَيْنَما اخْتَزَلَ الشَّاعِرُ زَمَنَ الحدَثِ فِي القَصِيدةِ السَّالِفَةِ فِي هَاتينِ الكَلِمتيْنِ (وَلَيلَةَ دَجْنٍ) نَرَاهُ فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ يُسهِبُ فِي وَصْفِ زَمَنِ الرِحْلَةِ فَيقُولُ:

وَلِلَيْلِ جِلْبَابٌ عَلَيْنَا وَحَوْلَنَا فَمَا إِنْ تَرَى إِنْسًا لَدَيْهِ وَلَا جِنَّا
يُسَايِرُنَا إِلَّا سَمَاءٌ نُجُومُهَا مُعَلَّقَةٌ فِيهَا إِلَى حَيْثُ وَجَّهْنَا

أَمَّا البيْتُ الرَّابِعُ فَيستَكمِلُ الشَّاعِرُ بِشَطْرِهِ الأَوَّلِ ذَلِكَ المطْلَعَ السَّردِيَّ الخالِصَ

(**إِلَى أَنْ طَرَقْنَا بَابَـها بَعْدَ هَجْعَةٍ**)، ثُـمَّ يَبدَأُ الْـحِوَارُ – وَهوَ لُـحمَةُ القَصِيدَةِ وَسَدَاهَـا – مَعَ الشَّطْرِ الثانِـي مِنْ هَذَا البيْتِ، وَنُلاحِظُ أَنَّ الحِوَارَ يَبدَأُ وَجِيـزًا لَا حَشْوَ فِيه وَلَا تَفْصِيلَ، فَيأْتِـي الْـجَوَابُ عَلَى قَدْرِ السؤَالِ (**فَقَالَتْ: مَنِ الطُّرَّاقُ؟**)، بَلْ أَقَلَّ مِنْهُ بِحَذْفِ المسْنَدِ (الخبَرِ)، فَيكُونُ كَلِمةً وَاحِدَةً (إِنَّـا): (قُلْـنَا لَـهَا: إِنَّا)، وَقَدْ يَـرْجِعُ ذَلِكَ الإِيـجَازُ إِلَى أَنَّ هذَا السؤَالَ بِدايَـةُ الحِوَارِ، فَهوَ مِهَادٌ لَـهُ، أَوْ هُوَ تَعارُفٌ بينَ طَرَفَـي الحِوَارِ، ثُـمَّ إِنَّـهُ لَـمْ يَـكُنْ مُواجَهَةً أَوْ كِفَاحًا، وَإِنَّـمَا كَانَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، فَالـمُتحَاوِرَانِ (الشَّاعِرُ وَالخـمَّارَةُ) لَـمْ يَلتَقِيَا بَعْدُ.

عَلَى أَنَّ الشَّاعِـرَ مَا عَـتَّمَ أَنْ شَفَعَ ذَلِكَ الإِيـجَازَ بِـإِسْهَابٍ، فَفَصَّلَ فِي البَيْتِ التَّالِي (الْـخَامِس) مَـا أَجْـمَلَـهُ فِي البيْتِ السَّابِقِ:

شَبَـابٌ تَعَـارَفْـنَـا بِبَابِـكِ لَـمْ نَكُنْ نَـرُوحُ بِمَـا رُحْـنَـا إِلَيْكِ فَـأَدْلَـجْـنَا

وَلَا رَيْبَ أَنَّ العلاقةَ بَينَ البيتَينِ تَفتَحُ بَابَ التأْوِيلِ؛ فَقدْ يَكونُ البيتانِ مُنقطَعَيْنِ عَلَى مُستَوَى التَرِكيبِ، بِحَيْثُ يَستقِلُّ كُلٌّ مِنْهُمَا بِذَاتِه، لَكنَّهمَا مُتصِلَانِ اتصَالَ التفْصِيلِ بعدَ الإِجْمَالِ، وَمِنْ ثَمَّ يَنتَهِي البيتُ الرَّابِعُ بِمُسنَدٍ إِلَيه (إِنَّا) وَالمسنَدُ أَو الخبَرُ مَـحذُوفٌ، وَيَكونُ التقْدِيرُ: (**إِنَّا الطُّرَّاقُ**)، ثُـمَّ يَبدَأُ البَيْتُ الْـخَامِسُ بِخَبَرٍ حُذِفَ مُبتَدَؤُهُ، فَيكُونُ تَقدِيرُ الكَلَامِ (نَحْن شَبَابٌ)، وَقَدْ يَكُونُ البيتَانِ مُتصِلَينِ (**بِالتضْمِينِ**[106])، بِحَيثُ تَـتوَزَّعُ الجملَـةُ عَلَى البيتَيْنِ، فَينتَهِي أَحَدُهُـمَا بِـرُكْنِهَا الأَوَّلِ (المسنَدِ إِلَيه: إِنَّا)، وَيَـبْدَأُ ثَانِيهِمَا بِـرُكْنِهَا الثانِي (المسْنَدِ: **شَبَابٌ**)، وَلَا رَيْبَ أَنَّ فَصْلَ البيتينِ أَوْ وَصْلَهُمَا يَنعَكِسَانِ عَلَى الْـمَوقِفِ الحِوَارِيِّ، فَيُحتَمَلُ أَنْ يَكونَ الحِوَارُ قَدْ توقَّفَ بِـنِهَايَـةِ البيتِ الرَّابِعِ رَيْثَمَا تَفتَحُ الخـمَّارَةُ البَابَ، ثُـمَّ يُستَأْنَفُ بَعدَ أَنْ تَفتَحَ البَابَ؛ فَـيُفصِّلُ الشاعِرُ مَـا أَجْـمَلَهُ آنِفًا، وَلَوْ قُلْنَا بِاتِّصَالِ البيتَيْنِ وَعَدَمِ انقِطَاعِهِمَا، فَلَيسَ يَـخلُو ذَلِكَ التأْوِيلُ مِنْ دِلَالَةٍ عَلَى اتِّصَالِ الحِوَارِ وَعَدَمِ انقِطَاعَـهِ انْتِظَارًا لِفَتْحِ البَابِ وَخُرُوجِ الخـمَّارَةِ إِلَى الشاعِرِ وَرِفَاقِه.

وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ فَقَدْ كَانَ الإيجازُ في سُؤالِ الخمَّارَةِ فَحَسْبُ (فَقَالَتْ: مَن الطُّرَّاقُ؟)، أَمَّا شَاعِرُنَا الحريصُ عَلَى الحِوَارِ فَليسَ يَكفيهِ الإيجازُ، وَلَم يَكنْ تَفصيلُ مَا أُجْمِلَ أَدَاةَ الشَّاعِرِ الوَحيدَةَ في إِطَالَةِ الحِوَارِ، فَالوَصْفُ كَذَلِكَ مِمَّا استَخدَمَهُ الشَّاعِرُ في إِطَالَةِ الحِوَارِ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الوَصْفُ عَلَى لِسَانِ الشَّاعِرِ، مِثْلَما وَصَفَ الشبَابَ، وَهوَ أَحَدُهُم بَلْ رَائِدُهُمْ:

شَبَابٌ تَعَارَفْنَا بِبَابِكِ لَمْ نَكُنْ نَرُوحُ بِمَا رُحْنَا إِلَيْكِ فَأَدْلَجْنَا

أَوْ كَانَ الوَصْفُ عَلَى لِسَانِ الخمَّارَةِ، حِينَ وَصَفَتْ أُولئِكَ الفتيَانَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى إِعْجَابِهَا بِهِمْ:

فَقَالَتْ: لَنَا أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرحَبًا بِفِتيَانِ صِدْقٍ مَا أَرَى بَيْنَهُمْ أَفْنَا

وَلَا يَخفَاكَ أَنَّ الخمَّارَةَ التي كَانَتْ مُوجِزَةً في سُؤَالِهَا قَدْ أَصَابَتْهَا عَدْوَى الإِطْنَابِ، فَجَعَلَتْ تُطيلُ هِيَ الأُخْرَى في تَرْحِيبِهَا، فَتَقُولُ لَهُمْ مُنَوِّعَةً في صِيَغِ التَّرْحِيبِ: (أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرحَبًا)، ثُمَّ تُتبِعُ ذَلِكَ فتَصِفُ الفتيَانَ كَأَنَّهَا خَبِيرَةٌ بِأَخْلَاقِهِمْ، وَلَيْسَتْ تَلْقَاهُمْ أَوَّلَ مَرَّة (بِفتيَانِ صِدْقٍ مَا أَرَى بَيْنَهُمْ أَفْنَا).

ثُمَّ يَتتَابَعُ الحِوَارُ في بقيةِ الأَبيَاتِ مُصَدَّرًا بِحَرْفِ الفَاءِ المتصلَةِ بِفِعْلِ القَوْلِ (قُلْتُ أَوْ قَالَتْ)، مِمَّا يَوحِي بِاتصَالِ الحِوَارِ وَتَدفُّقِهِ، وَلَا يَندُّ عَنْ ذَلِكَ سِوَى بَيتَيْنِ سَرْدِيينِ يَتخَلَّلَانِ ذَلِكَ الحِوَارَ؛ أَولُهُمَا قَولُ الشَّاعِرِ:

فَجَاءَتْ بِهَا كَالشَّمْسِ يَحكِي شُعَاعُهَا شُعَاعَ الثُّرَيَّا في زُجَاجٍ لَهَا حُسْنَا

وَرُبَّمَا يُظَنُّ أَنَّ هَذَا البيتَ السَّرْدِيَّ جُملَةٌ اعْتِرَاضِيةٌ تَقْطَعُ تَدَفُّقَ الحِوَارِ وَتوَاصُلَهُ، وَتَنَالُ مِنَ التحَامِ النصِّ وَتَمَاسُكِهِ، وَلَو أَمْعَنَّا النظَرَ لَعلِمْنَا أَنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ، فَالبَيْتُ – عَلَى سَرْدِيَّتِهِ يَخدمُ الحِوَارَ وَيُنمِّيهِ، وَيَحْسُنُ أَنْ نَذْكُرَهُ في سِيَاقِهِ:

فَقُلْتُ لَهَا: كَيْلًا حِسَابًا مُقَوَّمًا ... دَوَارِيقَ خَمْرٍ مَا نَقَصْنَ وَمَا زِدْنَا

فَجَاءَتْ بِهَا كَالشَّمْسِ يَحكِي شُعَاعُهَا ... شُعَاعَ الثُّرَيَّا فِي زُجَاجٍ لَهَا حُسْنَا

فَقُلْتُ لَهَا: مَا الاسْمُ وَالسِّعْرُ؟ بَيِّنِي ... لَنَا سِعْرَهَا كَيْمَا نَزُورَكِ مَا عِشْنَا

فَقَالَتْ لَنَا: **حَنُّونُ** اسْمِي وَسِعْرُهَا ... ثَلَاثٌ بِتِسْعٍ هَكَذَا غَيْرَكُمْ بِعْنَا

لِنَعْلَمَ أَنَّ مَا قَامَتْ بِهِ الخَمَّارَةُ مِنْ إِحْضَارٍ لِلخَمْرِ لَمْ يَقْطَعِ الحِوَارَ، وَإِنَّمَا أَحْضَرَتِ الخَمْرَ، وَالحِوَارُ مَوصُولٌ، وَلِنَعْلَمَ كذلكَ أن هذا البيتَ السَّرْدِيَّ قَدْ وَقَعَ في ثَنايَا كَلَامِ الشَّاعِرِ نَفْسِه؛ بَينَ طَلَبِهِ الخَمْرَ، وَسُؤَالِهِ الخَمَّارَةَ عَنِ اسْمِهَا وَسِعْرِ الخَمْرِ؛ وَيَغلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ هذَا البَيْتَ بَوْحٌ ذَاتِي أَوْ حِوَارٌ دَاخِلِي (مُنولُوجٌ)، حَدَّثَ بِهِ الشَّاعِرُ نَفسَهُ، وَلَكِنَّهُ أَخْبَرَ بِهِ قَارِئَهُ لِيُوقِفَهُ عَلَى إِعْجَابِهِ بِالخَمْرِ وَحُسنِهَا، وَلِيَعْلَمَهُ كَذَلِكَ مَدَى حِفَايَةِ الخَمَّارَةِ بِالشَّاعِرِ وَصَحْبِه؛ إِذْ قَدَّمتْ لَهُمْ أَجْوَدَ خَمْرٍ فِي أَجْوَدِ إِنَاءٍ، أَمَّا ثَلَاثَةُ الأَبْيَاتِ الباقيَاتِ – إِذَا أَغْضَيْنَا الطَّرْفَ عَنْ هَذَا البَيْتِ السَّرْدِيِّ – فَهِيَ حِوَارٌ مَوصُولٌ حَوْلَ تَفصيلَاتٍ لَمْ تُعْنَ بِهَا القَصيدَةُ السَّابِقَةُ، كَسُؤَالِ الخَمَّارَةِ عَنِ اسْمِهَا، وَسِعْرِ الخَمْرِ، وَالخَمَّارَةُ لَا تَضِنُّ بِالجَوَابِ، فَيتَّصِلُ الحِوَارُ.

وَأَمَّا البَيْتُ السَّرْدِيُّ الثَّانِي، فَهوَ أَوَّلُ الأَبْيَاتِ الثلاثَةِ التِي تُختَمُ بِهَا القَصِيدَةُ، وَيَحسُنُ كَذلِكَ أَنْ نَذكُرَهَا تَامَّةً:

وَلَمَّا تَوَالَى اللَّيْلُ أَوْ كَادَ أَقْبَلَتْ ... إِلَيْنَا بِمِيزَانٍ تَنْقُدُنَا الْوَزْنَا

فَقُلْتُ لَهَا: جِئْنَا وَفِي الْمَالِ قِلَّةٌ ... فَهَلْ لَكِ فِي أَنْ تَقْبَلِي بَعْضَنَا رَهْنًا؟

فَقَالَتْ لَنَا: أَنْتَ الرَّهِينَةُ فِي يَدِي ... مَتَى لَمْ يَفُوا بِالْمَالِ خَلَّدْتُكَ السِّجْنَا

وَلَا يَقطَعُ هَذَا البيتُ الحِوَارَ بِقَدْرِ مَا يُؤْذِنُ بِتَحَوُّلِ المشْهَدِ الحِوَارِيِّ وَيُؤْذِنُ بِانتِهَائِهِ، فَيتغَيَّرُ نَمطُ الحِوَارِ إِلَى الْهَزْلِ والمزَاحِ بَعدَ أَنْ كَانَ حِوَارَ غَزَلٍ وَتَوَدُّدٍ؛ تَبَعًا لِذَلِكَ التَحَوُّلِ المشْهَدِيِّ؛ ذَلِكَ أَنَّ ابتداءَ هَذَا البَيْتِ بِوَاوِ العَطْفِ تَتبَعُهَا لَمَّا: (**وَلَمَّا**

تَوَالَى اللَّيْلُ أَوْ كَادَ) مُوحٍ بِوجُودِ مسَاحَةٍ زَمَنيَّةٍ بَينَ المقْطَعِ الحِوَارِيِّ السَّابِقِ، وَالمقْطَعِ الحِوَارِيِّ التّالِي، هَذِهِ المسَاحَةُ الزمَنيَّةُ وَمَا جَرَى فِيهَا مِنْ حِوَارٍ وَأَحْدَاثٍ تَختزِلُهَا كَلمَةُ (**لَمَّا**)، وَتُضْمِرُهَا الجملَةُ التالِيَةُ لَهَا (**تَوَالَى اللَّيْلُ أَوْ كَادَ**)، وَقَدْ ذَكَرْنَا في حَدِيثِنَا عَنِ القَصِيدَةِ الأُولَى أَنَّ كَلمَةَ (**لَمَّا**) كَلِمةٌ سَرْدِيَّةٌ لَحْمًا وَدَمًا، وَأَنَّهَا مُناسِبَةٌ للمفَاصِلِ السَّرديّةِ؛ حِينَ يَأْخُذُ الحدَثُ السَّرْدِيُّ يَتطَوَّرُ وَيَتحَوَّلُ، فَلَا يَجِدُ السَّارِدُ أَفْضَلَ مِنْ كَلمَةِ (**لَمَّا**) أَوْ إِحْدَى أُختَيْهَا (حِينَ – إِذْ) يُصوِّرُ بِهَا ذَلِكَ التحَوُّلَ، وَقَبلَ ذَلِكَ التحَوُّلِ حِوَارٌ وأَحْدَاثٌ أَغفَلَها الشَّاعِرُ؛ فَقَدِ امتَدَّ الحِوَارُ مَعَ مَجلِسِ الخمْرِ، وَتناوُلِ الشاعِرِ الخمْرَ مَعَ رِفَاقِه، وَأُنْسِهِم بِحَدِيثِ الخمارَةِ وَحِوَارِهَا خِلَالَ ذَلِكَ المجْلِسِ، لَكِنَّ الشَّاعِرَ أَضْمَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ، أَلَمْ أُحَدِّثْكَ مِنْ قَبلُ أَنَّ مُحاوَرَةَ رَبَّةِ الخمْرِ هِيَ غَايَةُ الشَّاعِرِ مِنَ هَذَا النَّصِّ وَمُبتَغَاهُ؟ وَلَيسَتِ الخمْرَ ذَاتَهَا، وَلَا يُناقِضُ ذَلِكَ أَنَّ الشَّاعِرَ – يُشَارِكُهُ صَحْبُهُ – قَدْ ثَمِلَ مِنَ الخمْرَيْنِ عَلَى بَوَاءٍ: **خَمْرِ الشَّرَابِ**، **وَخَمْرِ الحِوَارِ**.

وَيُلمِحُ هَذَا البَيْتَ السَّرْدِيَّ إِلَى أَمْرٍ آخَرَ؛ وَهُوَ طَلَبُ الخمَّارَةِ ثَمنَ مَا أَصَابَهُ الشَّاعِرُ وَصَحْبُهُ مِنْ مُتعَةٍ وَلَهْوٍ، لَكِنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ سَرْدًا (**أَقْبَلَتْ إِلَيْنَا بِمِيزَانٍ تَنْقُدُنَا الْوَزْنَا**)، وَلَا يَقُولُه حِوَارًا أَوْ سُؤَالًا، فَفِيمَا فَعَلَتِ الخمّارَةُ مَا يُغنِيهَا عَنْ طَلَبِ الثمَنِ صَرَاحَةً، وَلَا يَخفَاكَ أَنَّ الشَّاعِرَ بِذَلِكَ حَرِيصٌ عَلَى أَنْ تَظَلَّ صُورَةُ الخمَّارَةِ حَسَنَةً فِي عَينَيْهِ، فَلَا يُجْرِي عَلَى لِسَانِهَا، مَا يَخْدِشُ تِلْكَ الصُّورَةَ – وَإِنْ كَانَ حَقًّا لَهَا – وَإِنَّمَا يُلمِحُ إِلَيْهِ بِمَا فَعَلَتْ.

أَمَّا الشَّاعِرُ نَفسُهُ فَيَلْقَى فِعْلَها بِحِوَارٍ هَازِلٍ يُصوِّرُ فيه فَقرَهُ، وفقرَ أصحابه وَعُدْمَهُمْ: (**فَقُلْتُ لَهَا: جِئْنَا وَفِي الْمَالِ قِلَّةٌ فَهَلْ لَكِ فِي أَنْ تَقْبَلِي بَعْضَنَا رَهْنًا**؟)، وَذَاكَ الهَزْلُ مُوحٍ بِأَثَرِ الخمْرِ عَلَى عَقلِ الشَّاعِرِ وَصَحبِه، لَكِنَّهُ هَزْلٌ تَتنَفَّسُ فِيه الأُمنِيَاتُ وَتَصْحُو الرَّغَبَاتُ؛ حَيثُ يَبحَثُ الشاعِرُ عَنْ مَخْرَجٍ مِنْ دَفْعِ الثَّمَنِ حِينَ طَالبتْهُمْ بِه الخمَّارَةُ فَيدَّعِي الفقْرَ، وَيَسأَلُهَا، بَلْ يَتمَنَّى أَنْ تَأْخُذَ الخمَّارَةُ أَحدَهُم (وَهُوَ يُرِيدُ نَفْسَهُ) رَهْنًا: (**فَهَلْ لَكِ فِي أَنْ تَقْبَلِي بَعْضَنَا رَهْنًا**؟).

وَلَعلَّ الخمارَةَ قَدْ أَدْرَكَتْ أُمنيَةَ الشَّاعِرِ فَلَبَّتْهَا، حِينَما اختَارَتْهُ دُونَ رِفَاقِه لِيكُونَ رَهِينَةً، كَيْ يَخْلُدَ في سِجْنِهَا إِنْ لَمْ يَفِ رُفقَاؤُهُ بِالْمَالِ، وَيَحملُنا الحوَارُ الهازِلُ عَلَى أَنْ نَتسَاءَلَ: تُرَى أَهُوَ سِجْنُ عُقوبَةٍ وَتَعزِيرٍ أَمْ سِجْنُ مَحبَّةٍ وَوِدَادٍ يَتمَنَّاهُ الشاعِرُ وَإِنْ كَانَ هَازِلًا؟!، وَفي سُؤَالِه الآنِف: «**فَهَلْ لَكَ في أَنْ تَقْبَلِي بَعْضَنَا رَهْنًا؟**» مَا يُؤَكِّدُ تِلْكَ الأُمنِيَةَ، فَلَقَدْ كَادَ شَاعِرُنَا يَقُولُ: (**فَهَلْ لَكَ في أَنْ تَقْبَلِيني رَهْنًا؟**)، وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ الوَزْنَ مَنعَهُ مِنْ ذَلِكَ، فَفي ذَرْعِه أَنْ يُغيِّرَ تَرْكِيبَ البيتِ لِيقُولَ مَا في نَفْسِه، لَكِنَّهُ أَحَبَّ أَنْ تَختَارَهُ حَنُّونُ مِنْ بَيْنِ رِفَاقِه، لِيُلمِحَ إِلَى إِيثَارِهَا إِيَّاهُ، وَفتْنَتِهَا بِه، وَكَرِهَ أَنْ يَفْرِضَ نَفسَهُ بِاقتِرَاحٍ رُبَّمَا تَخذُلُه فيه فَتُحرِجهُ، وَفي إِيثَارِ الشَّاعِرِ كَلِمَةَ (**خَلَّدْتُكَ**) دُونَ (أَوْدَعْتُكَ) مَا يُومِئُ إِلَى رَغبتِه وَيُؤَكِّدُهَا، وَمَا أَحْسَنَ أَنْ يُومِئَ الشَّاعِرُ إِلَى مَعَانِيه فَتَغْنَى تَأْوِيلَاتُهَا، وَأَقبِحْ بِأَنْ يَقُولَهَا صَرِيحَةً، فَيُحَجِّرَ عَلَى مُتلقِّيه وَاسِعًا.

خَاتِمَةٌ

لَا أُرِيدُ لِهَذِهِ الْخَاتِمَةِ أَنْ تُكَرِّرَ مَا قِيلَ أَوْ تُوجِزَهُ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ لَهَا أَنْ تَكُونَ دَعْوَةً لِلنقَّادِ وَالدَّارِسِينَ كَيْ يَنعَطِفُوا إِلَى تُرَاثِهِم الأَدَبِيِّ (شِعْرًا كَانَ أَوْ نَثْرًا)؛ فَمَا زَالَتْ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ فِي هَذَا التُّرَاثِ رِكَازًا لَمْ يُزكَّ، وَزَكَاتُهُ قِرَاءَتُهُ وَتَولِيدُ مَعَانِيهِ، وَاكْتِنَاهُ دِلَالَاتِهِ، وَتَجدِيدُ أَدَوَاتِ مُقَارَبَتِهِ وَتَأْوِيلِهِ دُونَمَا تَكَلُّفٍ أَوْ تَعَسُّفٍ.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يُؤْمِنُ صَاحِبُ هَذِهِ الدِرَاسَةِ بِضَرُورَةِ مَوَاصَلَةِ التُّرَاثِ، وَلَا يُؤْمِنُ بِالقَطِيعَةِ المعْرِفِيَّةِ مَعَهُ، وَلَا تَعْنِي مُواصَلَةُ التُّرَاثِ تَقدِيسَهُ وَتَسْوِيغَ كُلِّ مَا فِيهِ وَإِنْ كَانَ خَطَأً؛ فَلَا يُوجَدُ جُهدٌ بَشَرِيٌّ مَعصُومٌ (قَدِيمًا كَانَ أَوْ حَدِيثًا)، وَلَكِنَّنَا بِحَاجَةٍ إِلَى وَعْيٍ نَقْدِيٍّ يَأْخُذُ وَيَدَعُ، وَيَتفِقُ وَيَختَلِفُ، وَيُخَطِّئُ وَيُصحِّحُ، وَيُسَدِّدُ وَيُقَارِبُ.

وَلَسْتُ فِي دَعْوَتِي إِلَى إِعَادَةِ قِرَاءَةِ التُّرَاثِ بِوَاحِدٍ وَلَا أَوَّلَ، وَإِنَّهُ لَعَجِيبٌ أَنْ يُغْرِيَ تُرَاثُنَا مُحِبِّيهِ وَشَانِئِيهِ عَلَى سَوَاءٍ؛ فَتَجِدُ الدَّاعِينَ إِلَى قَطِيعَةٍ مَعرِفِيَّةٍ مَعَ التُّرَاثِ أَحْرَصَ النَّاسِ إِلَى قِرَاءَتِهِ طَلَبًا لِعُيُوبِهِ وَبَحثًا عَنْ ثُغْرَاتِهِ، بِقَدْرِ مَا تَجِدُ دُعَاةَ التُّرَاثِ حَرِيصِينَ عَلَى تَنْزِيهِهِ وَتَبْرِئَتِهِ مِنْ كُلِّ نَقِيصَةٍ، وَرَدِّ سِهَامِ طَاعِنِيهِ. ثُمَّ تَنشَبُ بَينَ الفَرِيقَينِ مَعرَكَةٌ فِي غَيْرِ مَيدَانٍ، وَلَوْ كَفَّ الأَوَّلُونَ عَنْ مُقَايَسَةِ تُرَاثِنَا بِمَبَادِئِ الحَدَاثَةِ الغَرْبِيَّةِ، وَكَفْكَفَ الآخَرُونَ مِنْ تَعصُّبِهِم لِتُرَاثٍ فِيهِ خَطَأٌ وَصَوَابٌ وَغَثٌّ وَسَمِينٌ؛ لَكَسَبَ تُرَاثُنَا، وَكَسَبَتْ ثَقَافَتُنَا خَيْرًا وَفِيرًا.

أَمَّا هَذِهِ الدِرَاسَةُ فَلَيسَتْ إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا أُولَئِكَ – رُغْمَ تَحيزِ صَاحِبِهَا لِلتُّرَاثِ العَرَبِيِّ وَإِيمَانِهِ بِغِنَاهُ وَكَثْرَةِ دُرَرِهِ وَلَآلِئِهِ – وَلَكِنَّهَا بُنِيَتْ عَلَى رَؤْيَةٍ تُوَافِقُ – إِنْ صَحَّتْ – كُلَّ نَصٍّ عَسِيٍّ بِالقِرَاءَةِ وَالتَّأْوِيلِ (قَدِيمًا كَانَ أَوْ حَدِيثًا)، وَخُلَاصَةُ تِلْكَ الرؤْيَةِ: أَنَّ لِكُلِّ نَصٍّ أَدَبِيٍّ غَايَةً أَوْ مَقْصِدًا كُلِّيًّا قَدْ يَكُونُ جَلِيًّا، وَقَدْ يَكونُ خَفِيًّا، وَأَنَّ أَدوَاتِ التشْكِيلِ الفَنِيِّ أَوِ الجَمَالِيِّ تَختَلِفُ وَتَتنَوَّعُ وَتَتدَاخَلُ بِتنَوُّعِ مَقَاصِدِ المبدِعِ وَاخْتِلَافِ غَايَاتِهِ وَتَدَاخُلِهَا.

وَقَدْ وَازَنْتُ في هَذِهِ الدِّرَاسَةِ بَيْنَ قَصيدَتَينِ لأَبِي نُوَاسٍ وَفْقَ هَذِهِ الرُّؤْيَةِ أُحَاوِلُ إِثْبَاتَهَا وَتَأْكِيدَهَا، وَيَبقَى أَنَّ حَظَّ هَذِهِ الدرَاسَةِ مِنَ التوْفِيقِ وَالإِخْفَاقِ حُكْمٌ مَتْرُوكٌ لِقَارِئِهَا.

وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الدرَاسَةُ مَسبُوقَةً بِجُهودٍ كَثِيرَةٍ عُنِيَتْ بِفَنِّ الخمْرِيَّاتِ في تُراثِنَا الشِّعْرِيِّ بِوَجْهٍ عَامٍّ، وَخَمرِيَّاتِ أَبِي نُوَاسٍ بِوَجْهٍ خَاصٍّ، فَلَم يَكُنْ بُدٌّ مِنْ مُرَاجعَةِ بَعضِ هَذِهِ الجهُودِ، وَتَقْوِيمِ مَداخِلِهَا إِلَى قِرَاءةِ الخمْرِيَّاتِ، وَذَلِكَ مَا نَهَضَ بِهِ التمْهِيدُ، فَأَشَارَ إِلَى ثُغْرَاتٍ وَنَبَّهَ إِلَى أَخْطَاءٍ لَمْ تَسلَمْ مِنْهَا مَدَاخِلُ قِرَاءةِ تُرَاثِنَا الشِّعْرِيِّ بِوَجْهٍ عَامٍّ؛ فَمِمَّا يُؤمِنُ بِهِ صَاحِبُ هَذِهِ الدرَاسَةِ أَنَّ النصَّ الأَدَبِيَّ بِنَاءٌ بَابَتُهُ اللُّغَةُ، وَمَا سِوَاهَا مِنْ مَدَاخِلَ وَتِقنِيَّاتٍ خَدَمٌ لَهَا في بِنَاءِ دِلَالَةِ ذَلِكَ النصِّ، بَلْ إِنَّهُ يَقُولُ مَا قَالَهُ أُستَاذُنَا الدُّكتورُ سَعْدُ مَصْلُوح: «**وَهَلْ هُنَاكَ مَكَانٌ لِنَقْدٍ غَيْرِ لُغَوِيٍّ؟**»[107] ؛ وَمِنْ ثَمَّ تُخطِئُ مَدَاخِلُ كَثِيرَةٌ حِينَ تَتَوَسَّلُ إِلَى قِرَاءَةِ النصِّ الأَدَبِيِّ أَدَوَاتٍ غَيْرِ أَدَاتِهِ الرئِيسَةِ، وَتَستَبدِلُ بِلُغتِهِ وَسَائِلَ أُخْرَى كَمقُولَاتِ عِلْمِ النفْسِ وَالاجتِمَاعِ، وَالأَسَاطِيرِ .. وَغَيرِهَا، تَحسَبُهَا كَافِيَةً في سَبْرِ أَغْوَارِ النصِّ، وَمَا هِيَ بِكَافِيَةٍ، نَاهِيكَ بِمَا تَتَّسِمُ بِهِ مِنَ اعْتِسَافٍ حِينَ تُنْطِقُ النصَّ بِمَا لَا يَقُولُهُ.

وَرُغْمَ أَنَّ القَصِيدَتينِ اللتيْنِ عُنِيَتْ بِهِمَا الدرَاسَةُ كَانَتَا صُورَةً كُلِيَّةً أَوْ مَشْهَدِيَّةً؛ تُصوِّرُ رِحْلَةَ الشَّاعِرِ وَرِفَاقَهُ إِلَى الْخمَّارَاتِ؛ فَإِنَّ غَايَةَ الشَّاعِرِ مِنْ هَذِهِ الرِحْلَةِ قَدِ اختَلَفَتْ في القَصِيدَتَينِ؛ فَبينَما كَانَتِ الخمْرُ وَمَجْلِسُهَا غَايَتَهُ في القَصِيدَةِ الأُولَى، كَانَتْ رَبَّةُ الخمْرِ وَمُحَادَثَتُهَا غَايَتَهُ في القَصِيدَةِ الثَّانِيَةِ؛ وَلأَجْلِ ذَلِكَ وَافَقَ القَصِيدَةَ الأُولَى تِقْنِيَةُ السَّرْدِ، في حِينِ لَاءَمَ القَصِيدَةَ الثانِيَةَ تَغلِيبُ الحِوَارِ عَلَى السَّرْدِ لِيصَوِّرَ حَدِيثَ الشَّاعِرِ مَعَ الخمَّارَةِ، وَلَا يَعنِي ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الرؤيَةَ مِعْيَارٌ أَوْ قَاعِدَةٌ لَا يَجُوزُ مُخَالَفَتُهَا أَوِ الخرُوجُ عَلَيْهَا؛ فَالفُنونُ – وَالشِّعْرُ أَوَّلُهَا – تَضِيقُ بِالقَوَاعِدِ وَتَتَأَبَّى عَلَيهَا، وَلِكُلِّ نَصٍّ مَقْصِدٌ وَسِيَاقٌ وَوَسَائِلُ تَشكِيلٍ وَبِنَاءٍ، وَبَرَاعَةُ المبدِعِ أَنْ يُحسِنَ اختِيَارَ مَا يُوَافِقُ مَقْصِدَهُ، وَيَخْدُمُ دِلَالَاتِهِ، وَبَرَاعَةُ الناقِدِ أَنْ يَهتَدِيَ إِلَى مَا وَرَاءَ

الصيَاغَـةِ اللغَويَّـةِ بِكُلِّ مُستوَيَاتِـهَا مِنْ دِلَالَاتٍ جَلِـيَّـةٍ أَوْ خَفِـيَّـةٍ، وَأَنْ يُـجَلِّـيَ كَذَلِكَ حَظَّ الشَّاعِـرِ مِنَ التوْفِيقِ وَالإِخْفَاقِ.

وَفِي شَعْرِ **أَبِي نُواس** – وَلَا سِيَّما خَمرِيَّـاتُـهُ – مَا يُـغْرِي بِتَتَبُّعِ المقَاصِدِ الكُلِيةِ لِقَصَائِدِه، وَمَدَى تَـوَافُـقِ أَدَوَاتِ التشْكِيلِ مَعَ تِلْكَ المقَاصِد، فَـرُغْمَ أَنَّ الخمْرِيَّـاتِ فَـنٌّ شِعْرِيٌّ مُـرْتَـبِطٌ فِي ذِهْنِ المتلَقِّي العرَبِـيِّ بِاللهْوِ وَالعَبَثِ وَالمجُونِ، فَإِنَّ بَعضَ خَـمرِيَّـاتِـه تَـتخِذُ الخمْـرَ تُـكأَةً إِلَى مَقْصِدٍ آخَرَ غَيرِ المجُونِ وَالعَبَثِ، حَتَّى لَـيُمكِنُـنَا أَنْ نَـقُولَ بِلُغَـةِ المتصَوِّفَـةِ: إِنَّ لِبعْضِ خَـمرِيَّـاتِـه ظَاهِـرًا وَبَـاطِـنًا.

وَحَسْبِـي فِي هَذَا الْـمقَامِ أَنْ أَزْعُمَ أَنَّ خَـمْرِيَّـتَـهُ الأَرْبعِينَ (دِيوَانه: 3/61 – 64)، وَمَطلَعُهَا:

وَفِتيَـةٍ كَمَصَـابِـيحِ الـدُّجَـى غُـــرَرِ شُمِّ الأُنُـوفِ مِـنَ الصِّيدِ الْـمَصَالِيتِ

أَقْـرَبُ إِلَى البكَاءِ مِنْهَا إِلَى اللَّهْوِ وَالمجُونِ، وَلَئِنْ صَحَّ مَـا زَعَمْتُ لَيجِدَنَّ القَارِئُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَلفَاظِـهَا وَلُغتِهَا، وَوَسَائِـلِ تَشكِيلِهَا مَـا يَـخدُمُ غَايَـةَ بُـكَاءِ الشبَابِ وَالحنِينِ إِليهِ وَالتحَسُّرِ عَلَى تَـقَضِّيه، وَلَا يَـتَّسِعُ المقَامُ لِتفْصِيلِ ذَلِكَ، وَبِحَسْبِي أَنْ أَضَعَ يَـدَ القَارِئِ عَلَـى بَـعضِـه:

فَـهَذِه القَصِيدَةُ تُـوَافِـقُ القَصِيدَتَينِ السابقتيْنِ فِي تَصْوِيرِ رِحْلَـةٍ ثَـالِـثَةٍ إِلَـى خَـمَّارَةٍ أُخْرَى، لَكِنَّ الشَّاعِـرَ لَا يَبتَغِي بِتِلْكَ الرِحْلَةِ الخمْـرَ وَلَا رَبَّـتَهَا، وَإِنَّما يَبتَغِي رِثَاءَ أَيَّـامٍ صِبَاهُ وَفِتَائِـه؛ أَوَلَا تَـرَاهُ يَـفتَتِحُهَا بِصِيغَـةِ الاستِرْجَاعِ (flash back)مِثْلَما استَرْجَعَ فِي القَصِيدَتَيْـنِ السَّالِفَتيْنِ، لَكِنَّـهُ لَا يَتذَكَّرُ زَمَنَ تِلْكَ الرِّحْلَـةِ كَـمَا فَعلَ فِي القَصِيدَةِ (**وَلَيلَـةِ دَجْـنٍ قَـدْ سَـرَيْـتُ بِـفِتْيَـةٍ..**)، وَلَا يَتذَكَّرُ كَذَلِكَ بَـائِعَةَ الخمْـرِ (**وَخَـمَّارَةٍ لِـلهْوِ فِيهَا بَـقِيَّـةٌ..**) لِأَنَّـهَا كَانَتْ غَايتَـهُ فِي القَصِيدَةِ الثَّانِيَةِ، وَإِنَّـمَا يَتذَكَّرُ فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ رِفَـاقَـهُ الذِينَ شَارَكُوهُ أَيَّـامَ صِبَـاهُ وَشَبَـابِـه، فَيقُولُ:

وَفِتيَةٍ كَمَصَابِيحِ الدُّجَى غُرَرٍ شُمِّ الأُنُوفِ مِنَ الصِّيدِ الْمَصَالِيتِ

وَلَاحِظْ أَنَّهُ سَمَّاهُمْ (فِتْيَةً) لِيشِيرَ إِلَى أَهَمِّ صِفَةٍ افتقدَهَا فِي شَيْبِهِ: الفَتَاءُ وَالقُوَّةُ، ثُمَّ يَأْخُذُ فِي وَصْفِ أُولئِكَ الفِتْيَةِ وَمُنادَمَتِهِ إِيَّاهُمْ فِي أَبياتٍ مُتتابِعَاتٍ يَقُولُ ظَاهِرُهَا بِأَنَّهُ يَمدَحُهُم، وَيَقُولُ بَاطِنُهَا بِأَنَّهُ يَتحَسَّرُ عَلَى زَمَنٍ تَقَضَّى، وَيَحِنُّ إِلَى عهدٍ تولَّى، وَيَتمَنَّى رُجُوعَهُمَا، وَمَا كُلُّ مَا يَتمَنَّاهُ الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ.

وَفِي هَذِهِ القَصِيدَةِ حِوَارٌ كَذَلِكَ مَعَ الخمَّارَةِ، وَلَكِنَّهُ حِوَارٌ جَافٌّ لَا تَجِدُ فِيهِ مَا كَانَ بينَ المتحَاوِرَيْنِ فِي القَصِيدَةِ السَّالِفَةِ مِنْ لَهْوٍ وَغَزَلٍ وَهَزْلٍ، إِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى جَدَلِ البَائِعِ وَالمشْتَرِي، وَقَدْ جعلَ الشَّاعِرُ الخمَّارَةَ هُنَا عَجُوزًا شَمْطَاءَ، وَلَمْ يَجْعَلْهَا شَابَّةً (**لِلهْوِ فِيهَا بَقِيَّةٌ**) مِثْلَمَا كَانَتْ فِي القَصِيدَةِ السَّالِفَةِ، وَيَبْدُو أَنَّ شَاعِرنَا – وَقَدْ وَخَطَهُ المشِيبُ – قَدْ أَبَى إِلَّا أَنْ تُشَارِكَهُ الخمّارَةُ كِبَرَهُ وَمَشِيبَهُ، وَاقْرَأْ هَذِهِ الأَبيَاتَ تَجِدْ فِيهَا مَا أَقُولُ أَوْ حَتَّى بَعضَهُ:

إِذَا بِكَافِرَةٍ شَمْطَاءَ قَدْ بَرَزَتْ فِي زَيِّ مُختَشِعٍ **للهِ** زِمِّيتِ

قَالَت: مَنِ القَوْمُ؟ قُلْنَا: مَنْ عَرَفْتِهِمُ مِنْ كُلِّ سَمْحٍ بِفَرْطِ الْجُودِ مَنْعُوتِ

حَلُّوا بِدَارِكِ مُجْتَازِينَ فَاغتَنِمِي بَذْلَ الكِرَامِ وَقُولِي كَيْفَما شِيتِ

فَقَدْ ظَفِرْتِ بِصَفْوِ العَيْشِ غَانِمَةً كَغُنْمِ دَاوُدَ مِنْ أَسْلَابِ جَالُوتِ

فَاحْيَي بِرِيحِهِمُ فِي ظِلِّ مَكْرُمَةٍ حَتَّى إِذَا ارتَحَلُوا عَنْ دَارِكُمْ مُوتِي

قَالَتْ: فَعِنْدِي الَّذِي تَبْغُونَ فَانتَظِرُوا عِنْدَ الصَبَاحِ فَقُلْنَا: بَلْ بِهَا إِيتِي

هِيَ الصَبَاحُ يُجَلِّي اللَيْلُ صَفْوَتَهَا إِذَا ارْتَمَتْ بِشَرَارٍ كَاليَوَاقِيتِ

قُلْنَا لَهَا: كَمْ لَهَا فِي الدَنِّ مُذْ حُجِبَتْ؟ قَالَتْ قَدِ اتُّخِذَتْ مِنْ عَهْدِ طَالُوتِ

وَمِمَّا يُؤَكِّدُ جَوَّ الكَآبَةِ وَالتحسُّرِ في النَّصِّ، أَنَّ الشَّاعِرَ عنِيَ مِنْ تَصْوِيرِ الْخَمْرِ بِتَعتِيقِهَا حَتَّى شَابَتْ مِثْلَما شَابُوا، وَقَدْ تَجِدُ في القَصيدَةِ مَا يُوحِي بِتَمَاجُنِ الشَّاعِرِ ولَهْوِهِ مِثْلَ تَصوِيرِهِ مُقَدِّمَ الخمْرِ، وَمُغَنِّيَهَا:

يُدِيرُهَا قَمَرٌ فِي طَرْفِهِ حَوَرٌ كَأَنَّمَا اشْتُقَّ مِنْهُ سِحْرُ هَارُوتِ
وَعِنْدَنَا ضَارِبٌ يَشْدُو فَيُطْرِبُنَا: **يَا دَارَ هِنْدٍ بِذَاتِ الْجِزْعِ حُيِّيتِ**

لَكِنَّنَا إِنْ قَرَأْنَا ذَلِكَ في سِيَاقِ التَّحَسُّرِ عَلَى شَبَابٍ وَلَّى، فَلَرُبَّمَا نَرَى فِيمَا طَرِبَ لَهُ الشَّاعِرُ وَرِفَاقُهُ مَا يُجَدِّدُ مَوَاجِعَهُ، وَيَزِيدُه حَسْرَةً، فَالشَّدْو قَدْ يُجَدِّدُ ذِكْرَى، وَيَهِيجُ لَوْعَةً، وَيُسعِفُنَا في ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ **عَلِيٍّ الْجَارِمِ** في قَصيدَتِهِ (حَنِينُ طَائِرٍ):

طَائِرٌ يَشْدُو عَلَى فَنَنِ جَدَّدَ الذِّكْرَى لِذِي شَجَنِ
قَامَ وَالأَكْوَانُ صَامِتَةٌ وَنَسِيمُ الصُّبْحِ فِي وَهَنِ
هَاجَ فِي نَفْسِي وَقَدْ هَدَأَتْ لَوْعَةً لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنِ[108]

نَاهِيكَ بِأَنَّ الشَّادِيَ يُغَنِّيهم صَوْتًا أَقْرَبَ إِلَى الرِّثَاءِ أَو الحنين كَذَلِكَ (**يَا دَارَ هِنْدٍ بِذَاتِ الْجِزْعِ حُيِّيتِ**)، وَجَلِيٌّ أَنَّ هَذَا الصَّوْتَ تَنَاصٌّ مَعَ قَصيدَةٍ أُخْرَى – كَأَبْنَا مِنْ **أَبِي نُوَاسٍ** – تَبكِي طَلَلَ الحبيبَة (هِنْد)؛ وَإِنَّهُ لَعَجِيبٌ أَنْ يَطْرَبَ **أَبُو نُوَاسٍ** لِلوقُوفِ عَلَى طَلَلٍ – سَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ الوُقُوفُ تَحِيَّةً أَوْ بُكَاءً – وَهُوَ أَكْثَرُ مَنْ ذَمَّ الأَطلَالَ، وهاجَمهَا في شعرِه، وَفِي الوُقُوفِ عَلَى الأَطلَالِ إِيمَاءٌ إِلَى فَنَاءٍ أَوْ رَحِيلٍ أَوْ هَجْرٍ واسْتِيحَاشٍ، يُغذِّي سِيَاقَ الحنين، وَالْحَسْرَةِ التي تُصوِّرُهُمَا القَصيدَةُ. بَلْ إِنَّ إِشَارَاتِ الشَّاعِرِ لِلشخصيَّاتِ عُنِيَتْ بِالماضِينَ الفَانِينَ أَكْثَرَ مِمَّا عُنِيَتْ بِالأَحيَاءِ البَاقِينَ، كَأَنَّمَا يُلمِحُ الشَّاعِرُ إِلَى اقْتِرَابِ مُجَاوَرَتِهِم، وَيَتجَلَّى ذَلِكَ فِي استِدْعَاءِ الشَّخصِيَّاتِ القُرآنِيّةِ فِي قَوافِي الأَبيَاتِ الآتِيَةِ:

فَقَـدْ ظَفِـرْتِ بِصَفْوِ العَيْشِ غَـانِمَةً كَغُنْمِ دَاوُدَ مِــنْ أَسْــلَابِ جَــالُــوتِ
قُلْنَا لَـهَا: كَمْ لَـهَا فِي الدَنِّ مُذْ حُجِبَتْ؟ قَـالَـتْ قَـدِ اتُّخِذَتْ مِـنْ عَهْدِ طَالُوتِ
يُـدِيـرُهَا قَـمَــرٌ فِـي طَـرْفِــهِ حَـوَرٌ كَـأَنَّـمَـا اشْتُـقَّ مِنْــهُ سِحْـرُ هَـارُوتِ
أَدْعُـوكَ سُبْحَـانَكَ اللَـهُمَّ فَـاعْـفُ كَمَـا عَفَوْتَ يَا ذَا العُلَى عَنْ صَاحِبِ الْحُوتِ

وَإِنْ لَـمْ يَكْفِ كُلُّ مَا تَـقَدَّمَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الشَّاعِرَ يَـقُولُ هَذِهِ الخَمْرِيَّـةَ مُتَوَجِّعًا بَاكِيًا؛ فَفِي خِتَامِهَا مَا يَـقُولُ ذَلِكَ صَرَاحَةً؛ إِذْ نَـرَى الشَّاعِـرَ يَطْوِي مَـجْلِسَ الْـخَمرِ طَيًّا، وَلَا يُسهِبُ فِي تَصوِيرِهِ، مِثْلَمَا فَعلَ فِي خَمْرِيَّاتٍ أُخْرَى، وَزِدْ إِلَى ذَلِكَ ضِيقَـهُ بِالمشِيبِ، وَنَـدَمَـهُ عَلَى مَا اقْـتَـرَفَ مِنْ آثَامٍ، وَطَلَبَـهُ عَفْوَ الله وَمَغفِرَتَـهُ:

حَـتَّــى إِذَا فَـلَكُ الْأَوْتَــارِ دَارَ بِـنَــا مَــعَ الطُبُـولِ ظَلِلْنَـا كَـالْمَسَـابِيتِ
سُـقْـيًـا لِـذَلِكَ دَهْـرًا بَـانَ مُنفَـرِطًـا مُـحَبَّـبًـا لَـمْ يَكُـنْ عِنْـدِي بِمَمْقُوتِ
حَـتَّــى إِذَا الـشَيْبُ فَـاجَأَنِي بِـطَلعَـتِهِ أَقْبِـحْ بِطَلعَـةِ شَيْـبٍ غَيْـرِ مَبْخُوتِ
عِنْـدَ الغَـوَانِـي إِذَا أَبْصَـرْنَ طَلعَتَــهُ آذَنَّ بِــالصَّــرْمِ مِــنْ وُدٍّ وَتَشْتِـيتِ
فَـقَدْ نَـدِمْتُ عَلَـى مَـا كَـانَ مِنْ خَطَلٍ وَمِــنْ إِضَـاعَـةِ مَكتُـوبِ الْـمَوَاقِيتِ
أَدْعُـوكَ سُبْحَانَكَ اللَـهُمَّ فَـاعْـفُ كَمَا عَفَوْتَ يَا ذَا العُلَى عَنْ صَاحِبِ الْحُوتِ

وَحَسبُكَ مِنْ خَمرِيَّـةٍ تُـختَمُ بِالدعَاءِ لِدَهْرٍ بَانَ[109]، وَتَـوْبَـةٍ وَنَـدَمٍ دَلِيلًا عَلَى أَنَّـهَا قِـيلَتْ لِغَيْـرِ عَـبَثٍ وَمُـجُونٍ، وَلَا يَتسِعُ المَقَامُ لِتفْصِيلٍ، وَحَسبُـنَا مِنَ القِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالعُنُقِ.

وَالحمدُ لله أَوَّلًا وَآخِـرًا.

الهوامش

(1) ضيف، شوقي. **التطور والتجديد في الشعر الأموي** (ط 9). دار المعارف، القاهرة، ص 202، 303.

(2) عطوان، حسين (1997م). **الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية** (ط 3). دار الجيل، بيروت، ص 292، 393.

(3) السابق: ص 306.

(4) حَاوِي، إيليا (1417هـ – 1997م). **فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب**، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 209.

(5) أقولُ ذلكَ بغضِّ النظَرِ عَن اتفاقِي أَوِ اختلَافِي مَعَ مَا انتهَتْ إِلَيهِ دِراسَةُ الأستَاذِ **حَاوِي** مِنْ نَتائِجَ أَوْ أحكامٍ نَقديّةٍ.

(6) النويهي، محمد (1970م). **نفسية أبي نواس** (ط 2). مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 44.

(7) السابق: ص 52.

(8) السابق: ص 52، 53.

(9) **ديوان أبي نواس** (**1988م – 1408** هـ). ج 3. (ط 1). تحقيق إيفالد فاغنر، دار النشر فرانز شتاينر فيسبادن بشتوتغارت: 3/ 230.

(10) **ديوان عنترة بشرح الخطيب التبريزي** (**1412هـ – 1992م**). (ط 1) قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت ، ص 38.

(11) السابق: ص 46.

(12) علام، عبد الواحد (1990م). **اتجاهات نقد الشعر في مصر** (**1940م – 19650م**) ط 2، مكتبة الشباب، ص 299.

(13) العقاد، عباس محمود، **أبو نواس الحسن بن هانئ**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة بدون تاريخ، ص 101.

(14) انظر السابق: ص 106، 107.

(15) علام، عبد الواحد (1990م). **اتجاهات نقد الشعر في مصر** (**1940م – 19650م**)، ص 310.

(16) سويدان، سامي (1999م). **فِي النص الشعري العربي مقاربات منهجية**، ص 8.

(17) السابق: ص 10.

(18) انظر السابق: ص 35.

(19) انظر السابق: ص 36، 37.

(20) السابق: ص 39.

(21) السابق: الصفحة نفسها.

(22) السابق: الصفحة نفسها.

(23) السابق: ص 54.

(24) السابق: ص 53.

(25) **ديوان أبي نواس**، ص 192.

(26) السابق: 3/ 322.

(27) السابق: 3/ 326.

(28) السابق: 3/ 417.

(29) السابق: 3/ 422.

(30) السابق: 3/ 87، 88.

(31) سويدان، سامي (1999م). **فِي النص الشعري العربي مقاربات منهجية**، ص 36.

(32) إبراهيم، عبد الله (1999م). **الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة** (ط 1). المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص 91.

(33) حمودة، عبد العزيز (1422هـ – 2001م). **المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية**. سلسلة (عالم المعرفة)، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب رقم (272)، الكويت، ص 104.

(34) راجع في تلك الأقوال وسواها، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (1343هـ – 1924م). **أخبار أبي نواس** (**تاريخه، نوادره، شعره، مجونه**)، شرحه وضبطه محمد عبد الرسول إبراهيم، عُنيَ بنشره عباس الشربيني بدار الكتب المصرية، مطبعة

الاعتماد بشارع حسن الأكبر بمصر، صفحات: 51 – 52 – 53 – 58 – 62 – 64 على التتابع.

(35) ديوان أبي نواس: 3/ 46 – 48.

(36) **وَلَيلَةِ دَجْنٍ**: الواو واو (ربَّ) المحذوفة، وأكثر النحاة يرى أن (ربَّ) حرف للتقليل، وذكر بعضهم أنها للتكثير، وقال آخرون أنها للتقليل والتكثير، فهي من الأضداد، **والحق**: أن إفادتها التقليل أو التكثير مرده إلى السياق، وهي حرف جر شبيه بالزائد، ومن ثم فإن مجرورها في موضع رفع بالابتداء، **وليلةٍ**: مبتدأ مرفوع بالضمة المقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الشبيه بالزائد، **وليلة دجنٍ**: أي ليلة شديدة الظلام لكثرة غيمها، **والدجن**: إطباق الغيم والندى، وأخذه بأقطار السماء والأرض، وإضافة كلمة (ليلة) إلى (دجن) مما يعني أن أبَا نواس ورفاقه قد اختاروا زمنًا مناسبًا للمجون والشراب، ولم يختاروا أي ليلة، **قَدْ سَرَيْتُ**: والسُّرى: السير ليلا، وإسناد فعل السير إلى تاء المتكلم، توحي بموقع الشاعر من رفاقه، فهو لهم رائد قائد، **بِفِتْيَةٍ**: بشباب، والمفرد فَتًى، والفتاءُ: القوةُ والشبابُ، **تُنازِعُهَا**: تغالبها، **المُدَامِ**: المُدامُ والمُدامَةُ: الخَمْرُ، سُمِّيَتْ مُدامةً لأنه ليس شيءٌ تُستَطاعُ إدامةُ شُرْبِه إلا هي، وقيل: لإدامتها وتعْتيقِها في الدَّنِّ زمانًا حتى سَكَنَتْ بعدما فارتْ، وكل شيء سكنَ فقد دامَ.

(37) **فَفُزِّعَ**: الفَزَعُ: الفَرَقُ والذُّعرُ، ولاحظ التشديد في الفعل المصور لشدة فزع الخمَّار وهلَعه، كما أن الفعل بُنيَ للمجهول للعلم بالفاعل، ثم إيثارًا لتجنيبه الذكر والتصريح في مقام سوء، ولعل هذا يشبه قول **الله** تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾، **مِنْ إِدْلَاجِنَا**: بسبب إدلاجنا، فـ (مِنْ) سببية)، **والإدلاجُ**: السير من أول الليل، وقيل: سيْرُ الليلِ كلِّه، من أولِه إلى آخرِه، أما الادّلاجُ (بالتشديد، وفِعْلُهُ: ادَّلَجَ): فهو السَّيرُ آخرَ الليل (وقت السَّحَر)، وفي الحديث: عن أبي هريرة –رضي **الله**– عنه قال: قال رسول **الله** ﷺ: « **من خاف أدلج، ومن أدلج، بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن .. **والمراد**: التشميرُ في الطاعة.

(38) **وَلَـمَّا**: حرفٌ لهُ ثلاثَةُ أقسام: **الأول – (لمَّا) الجازمة**، وهي حرف نفي تدخل على الفعل المضارع، فتجزمه وتصرفُ معناهُ إلى الماضي، وهي بذلك تشبه (لم)، لكنَّ الفرق بينهما: أن المنفي بـ (لم) لا يلزم اتصاله بالحال، بخلاف المنفي بـ (لـمَّا)، فإنه يجب اتصال نفيها بالحال، **والثاني – (لمَّا) التي بمعنى (إلّا)**، نحو: نشَدتُكَ **بالله** لَمَّا فعلتَ: أي إلَّا فعلتَ،

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾، أي: ما كلٌّ إلا جميع، **والثالثة – لـمَّا التعليقية**، وتُسمَّى أيضًا (الحِينيَّة)، وفيها **مذهبان**: **أحدهما** – أنها حرف، وهو مذهب سيبويه، **والثاني**: أنها ظرف بمعنى (حِينَ)، أو (إذ) ولذا تسمَّى (لمَّا الحينية) وهي حرف وجود لوجود ففيها معنى الشرط، وهي تقابلُ (لو) نحو قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴾، والفرق بين أقسام (لمَّا) الثلاثة: أن الجازمة لا يليها إلا مضارع، ماضي المعنى، والتي بمعنى (إلا) لا يليها إلا ماضي اللفظ، مستقبل المعنى، والتي بمعنى (حين) لا يليها إلا ماضي اللفظ والمعنى، أو مضارع مجزوم بـ (لم).

(39) انظر طَبَانَة، بدَوي (1382هـ – 1963م). **التيارات المعاصرة في النقد الأدبي** (ط 1). مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص294 – 295.

(40) انظر: السابق، ص 294.

(41) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(42) انظر: السابق، ص 295، 296.

(43) النويهي، محمد (1971م). **قضية الشعر الجديد** (ط 2). دار الفكر، ومكتبة الخانجي، القاهرة، ص 129.

(44) السابق: ص 129، 130.

(45) الملائكة، نازك (2002م). **مقدمة ديوان (شظايا ورماد)**. ج 1، ضمن كتاب الأعمال الشعرية الكاملة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص 421.

(46) الملائكة، نازك (2002م). **قضايا الشعر المعاصر**. ج 1، ضمن كتاب الأعمال النثرية الكاملة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص 60.

(47) القرطاجني، أبو الحسن حازم (2008م). **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** (ط 3). تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ص 60، 61.

(48) انظر السابق: ص 61.

(49) انظر في تلك الأبيات على الترتيب **ديوان الأعشى الكبير: ميمون بن قيس بن جندل (2010م)**. (ط 1) تحقيق محمود إبراهيم الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، صفحات: 1/203، 1/334، 2/320، ومثلها كثير في شعره.

(50) ابن الأثير، ضياء الدين. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، قدمه وعلق عليه د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، ج 3، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ، ص 128.

(51) انظر السابق، ص 129.

(52) السابق، ص 130.

(53) لودج، ديفيد (2002م). **الفن الروائي** (ط 1)، ترجمة ماهر البطوطي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، المشروع القومي للترجمة (عدد 288)، ص 57.

(54) تمثل تقنية الاسترجاع واحدة من أهم تقنيات رواية تيار الوعي في السرديات المعاصرة، فاعجب كيف اهتدى إليها شعراؤنا قبل فرجينيا وولف، وجيمس جويس، ومَن لَفَّ لَفَّهما.

(55) استخدام تلك الصيغة (واو رب ومجرورها) في مقام التذكر والاسترجاع لدى الشاعر القديم أكثر من أن تحصى، وما دمنا قد أشرنا إلى **عمرو بن كلثوم** ومقدمته الخمرية، فقد كانت لحظة النشوة التي عاشها في تلك المقدمة خليقة بأن تذكره بلحظات أخرى سالفات، فقال عَقِيبَ الأبياتِ السابقَاتِ:

وَكَـأْسٍ قَـدْ شَـرِبْـتُ بِبَعْلَبَـكٍّ وَأُخْـرَى فِـي دِمِشْـقَ وَقَـاصِـرِيـنَـا

وحين أراد – في المعلقة ذاتها – أن يسترجع أمجاد قومه وأيامهم، قال مستخدما الصيغة ذاتها:

وَأَيَّـامٍ لَـنَـا غُـرٍّ طِـوَالٍ عَصَـيْـنَـا الْمَلْكَ فِـيهَـا أَنْ نَـدِينَـا

ويستخدم امرؤ القيس الصيغة ذاتها في ادِّكَار الهمُوم المجتمعَة عليه بالليل، فيقول:

وَلَـيْـلٍ كَمَـوْجِ البَـحْـرِ أَرْخَى سُدُولَـهُ عَلَـيَّ بِـأَنْـوَاعِ الهمُـومِ لِيـبْـتَلِـي

وعلى النهج ذاته يسير الحطيئة، فيبدأ سرديته الذائعة قائلا:

وَطَـاوِي ثَـلَاثٍ عَاصِبِ الْبَطْنِ مُرْمِلٍ بِتَـيْهَاءَ لَـمْ يَعْرِفْ بِـهَا سَاكِنٌ رَسْمًا

(56) يقول جيرالد برنس في تَعريف **المفاجأة**: «المفاجَأَة (surprise): الانفعالُ الحاصلُ عندَمَا تُحبَطُ التوقعَاتُ المتعلقَةُ بِمَا سَوفَ يَحدُثُ بواسطَة مَا يَحدُثُ بِالفعْلِ، وَيُعدُّ تَوليدُ المفاجَأَةِ ذَا أَثَرٍ عَلَى نَحوٍ خاصٍّ عِندَما يَكونُ مُؤَسَّسًا جَيدًا عَلَى مَا حدثَ مِنْ قَبْلُ، عَلَى

الرغْم مِنْ أَنَّ مَا يَحدُثُ بالفعلِ يُخَيِّبُ تَوقعاتِنَا، **وَيُشكِّلُ التفاعُلُ بَينَ المفاجَأَة والتشْويق – تَقليديًّا – أَحَدَ مَظاهِرِ الحبكَة الجيدَة**. تشَاتمان 1978». برنس، جيرالد (2003م). قاموس السرديات (ط 1). ترجمة السيد إمام، ميرت للنشر والمعلومات، القاهرة، ص 194، وَيغلبُ عَلى الظنِّ أَنَّ تَعريفَ جيرالد برنس السّالفَ يُرَاعِي مُفاجأَةَ المتلقِّي أَكثَرَ ممَّا يُرَاعِي مُفاجَأَةَ شَخصٍ من أشخاصِ القصَّةِ أَو الحكايَةِ، وَلَا يَمنَعُ ذَلكَ مِنَ الاستئْناسِ بِإشارَتِه إِلَى دَوْرِ المفاجَأَةِ فِي تَجْويدِ الحبكَةِ.

(57) **ديوان الحطيئة برواية ابن السكيت (1415هـ، 1995م)**. (ط 1) شرحه وقدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور حنَّا نصر الحتِّي، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 257، والعانة: قطيع الأُتُن، المِسْحَلُ: حِمار الوحشِ، وانتظامها من خلفه: انضمامها إليه وقربها منه.

(58) وَلَعلَّها لهذَا كلمةٌ أثيرةٌ في قَصصِ القرآنِ، وَلَا سيَّمَا في انتقَالِ الحدَثِ وَتَطوُّرِه، وَيَكْفِي أَنْ نَلْحَظَ في قصَّةِ مُوسَى –عَليه السلامُ– في سُورَةِ القَصَصِ، أَنَّ تَحَوُّلاتِ القصَّةِ تَبْدَأُ بِهذهِ الكَلِمَةِ، لَاحِظْ مَطالِعَ الآياتِ التاليات، ولاحظْ كذلكَ أننَا من كلِّ واحدةٍ منها بإزاءِ تحولٍ في بناءِ الحدثِ القصصيِّ – قَالَ تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾... ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ ...﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ ... ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾..﴾ ... ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾..﴾ ... ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ ... ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ ... ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾... ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ

أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾: (القصص: 14)، ولاحظْ كَذلكَ هَذهِ الآيـاتِ مِن سُورةِ يُوسفَ عليـه السلامُ، قـال تعالـى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾... ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.. ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.. ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾... ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ... ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ﴾... ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾... ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾... ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾... ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّاۖ﴾... ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ ... ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾... ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ﴾... ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾، ولا تكاد قصة قرآنية تخلو من كلمة (لـمَّا).

(59) أُريدُ **بالمفاصل السرديَّة** تلكَ اللحظات التي يَنمُو فيهَا الحدَثُ السرديُّ وَيتطَوَّرُ، أَوْ يَسلُكُ عِندَهَا مَجْرَى الحدَثِ السَّرْدِيِّ مَسلكًا مُختلِفًا مُؤْذِنًا بالتحَوُّلِ.

(60) حسن، عباس. **النحو الوافي** (ط 11). دار المعارف، القاهرة، ص 420.

(61) مِنَ القضَايا المهمَّة التي نَاقشَها تُومَاشفسكي في مَجَالِ النثْرِ قَضيتَانِ، هُمَا: **المتْنُ الحكَائِيّ**، وَيُعَرِّفُهُ بأَنَّهُ: مَجموعُ الأَحدَاثِ المتصلَة فيما بَينَهَا، **وَالمبنَى الحكائي** الذي يَتألَّفُ مِنَ الأحدَاثِ نفسهَا، لكنهُ يُرَاعِي نِظَامَ ظُهورِهَا في الأَثَرِ الأَدَبِيِّ. انظر: إبراهيم، عبد الله، والغانمي، سعيد، وعلي، عواد (1996م). **معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة** (ط 2). المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 14.

(62) انظر: خطابي، محمد (2006م). **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب** (ط 2). المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص 38.

(63) يُسمِّي د. **حَاتم الصَّكر** ذَلكَ النمطَ الحواريَّ في القصيدَة التراثية الحوارَ الصريحَ أو المباشرَ، حَيثُ يَقولُ: "وَلَقدْ كانتْ نَتيجةُ ذَلكَ أنْ تَكرَّسَت الرؤيةُ الغنائيةُ التي سَتنحصرُ في إجادَة لوحة الوصف واحتكار أَنَا الشاعر لمساحة الملفوظ، مما يَجعلُ حوارَ الآخَر والعَالَم والأشياء مَفقُودًا. وَإذَا مَا جاءَ الحوارُ كمَظهر نَصيٍّ، فَإنه لَا يَتعدَّى **الحوارَ الصريحَ أو المباشرَ** الذي يَستخدمُ مُؤشرَ الفعل (قَالَ – قُلتُ – سَأَلَ – أَجَبْتُ) وهوَ لَا يَنسجمُ مَعَ سمَة السرد في النصوص ذات الحوار المضمَّن في بنيَة النصِّ، والمتسَلْسِل عَبْرَ أبيات القصيدَة بَيتًا بَيتًا". الصكر، حاتم (2010م). **مرايا نرسيس الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة** (ط 1). المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص 33.

(64) أردتُ بالإجْمال هُنَا حذفَ مَعمولِ الفعل (أَرحْنَا) للعِلْم به، وهذَا التعبيرُ يُذكرُنا بِمَا صَحَّ عَن النبيِّ ﷺ أنهُ كَانَ يَقولُ لبِلَال – رَضيَ **الله** عنهُ – فيمَا رَواهُ أَحْمَدُ وأبو داودَ وَصَحَّحهُ الألبانيُّ– «أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ»، فَلَمْ يَذْكُر النبيُّ ﷺ الصلاةَ، وإنَّما كَنَّى عَنها بالضمير لأنهَا مَفهومَةٌ مِنَ السيَاق.

(65) مِنَ الفوارق التي رآهَا **ايخنباوم** بينَ الروايةِ والقصةِ القصيرَة، أنَّ الأُولَى (الروايَةُ) فيهَا تقنيةُ إبطاءِ الحدَث وَهوَ مَا لَا نَجِدُهُ في القصة القصيرة، انظر: إبراهيم، عبد **الله**، والغانمي، سعيد، وعلي، عواد (1996م). **معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة**، ص14، وَرُبما لِهذَا، كَانت القصةُ القصيرةُ – لِتَرْكيزهَا وَكَثافَتهَا واكتنازهَا وفَرديتهَا – أَقْرَبَ فُنونِ القَوْلِ إِلَى فَنِّ الشِّعْرِ وَأَشْبَهَهَا بِهِ؛ ذلكَ أن الروايةَ صوتُ المجتمَع، أما القصةُ القصيرةُ فَتبقَى بحُكم طَبيعتهَا الثابتة بعيدةً عن الجماعة، وَرُومانتيكيةً، وَفَرديَّةً، ومُتأبيةً.. انظر أوكونور، فرانك (1983). **الصوت المنفرد (مقالات في القصة القصيرة)**، ترجمة الدكتور محمود الربيعي، مكتبة الشباب، ص 16.

(66) **فالصُّهْبةُ**: الشُّقْرةُ في شعر الرأس، ولونُ حُمرةٍ في شعر الرأس واللحية، **والأصهب** من الشَّعر أو الإبل: الذي يخالط بياضَهُ حُمرةٌ، **والصهبةُ** أشهرُ الألوان وأحسنها حينَ تنظُرُ إليها، **والصهباءُ**: الخمرُ؛ سميت بذلك للونها. قيلَ: هيَ التي عُصرتْ من عنبٍ أبيضَ، وقيلَ: هي التي تكون منه أو من غيره، وذلك إذا ضربتْ إلى البياضِ؛ وقال **أبو حنيفة**: الصهباء اسم لها كالعَلَم، وقد جاء بغير ألفٍ ولامٍ لأنها في الأصل صفةٌ؛ قال الأعشى:

وَصَهْبَاءَ طَافَ يَهُودِيهَا وَأَبْرَزَهَا، وَعَلَيْهَا خَتَمُ

انظر لسان العرب لابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة السادسة 3008م، المجلد السابع/ص 259، 296.

(67) وهو قول الشاعر:

وَلَـمَّـا دَعَوْنَـا بِاسْمِهِ طَـارَ ذُعْرُهُ وَأَيْقَـنَ أَنَّ الـرَّحْـلَ مِنْـهُ خَصِيبُ

(68) وهما قول أبي نواس:

كَثِيبٌ عَلَاهُ غُصْنُ بَانٍ إِذَا مَشَى تَكَـادُ لَـهُ صُـمُّ الجِـبَالِ تُنِيـبُ

يَشُمُّ النَّدَامَى الوَرْدَ مِنْ وَجَنَاتِهِ فَلَيْسَ بِـهِ غَيرَ الـمَلَاحَـةِ طِيبُ

(69) **قَالَ الْـجَاحِظُ**: «وَقالَ بعضُ الشعَرَاءِ لِصاحِبِه: أَنَـا أَشْعَرُ مِنْكَ. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنِّـي أَقُـولَ البَيْتَ وَأَخَاهُ، وَأَنْتَ تَـقُولُ البيتَ وابْـنَ عَمِّه. وَعَابَ رُؤْبَـةُ شِعْـرَ ابْـنِه فقالَ: (لَيْسَ لَـهُ قـرَانٌ)»، ثُم عَقَّبَ **الْـجاحِظُ** شَارِحًا فقالَ: «وَجَعلَ البَيْتَ أَخًا لِلبَيْتِ إِذَا أَشْبَهَـهُ وَكَانَ حَقُّـهُ أَنْ يُـوضَعَ إِلَى جَنْبِـهِ». الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (2003م). **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة (الذخائر 85)، 1 / 228.

(70) مَعَاييرُ النصِّيَّـةِ سَبْعَـةٌ، هِيَ: (السَّبْكُ – **الحبْكُ** (**الالتِحَامُ**) – القَصدُ – القَبولُ – المقاميةُ – التنَاصُّ – الإعْلَاميةُ) انظر: دي بوجراند، روبرت (1428هـ – 2007م). **النص والخطاب والإجراء** (ط 2). ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، من ص 103 حتى ص 105.

(71) لَسْتُ أَعِيبُ الشاعِرَ بِهَذَا الصَّنيع، وَلَعلهُ أَحْسَنَ حِينَ جَـمَعَ بينَ البِناءِ الطبيعيِّ للحَدَثِ (مثلَما في المقطَعِ السالِفِ)، وبينَ قَطْعِه للحدَثِ والانتقالِ بينَ أحداثِـه بِطرُقٍ مختلفةٍ تَلفتُ الانتباهَ وَتُجنِّبُ بِناءَهُ السرْدِيَّ الرتَابَـةَ والنمطيةَ، وَلقدْ أَضَافَ الشاعِرُ بِذلكَ القَطْعِ تِـقنيةً سِينمائِيَّـةً تُشبِـهُ مَـا يَفعلُـهُ السينِمَائِيُّونَ مِنْ قَـطْعٍ وَمُونْـتَاجٍ لِإعَـادَةِ تَـرتيبِ الأَحْدَاثِ، وَفْـقَ رُؤْيَـةٍ فَـنيَّـةٍ.

(72) يَـبدُو أن أبَـا نواسٍ مَفتونٌ بتصويرِ الخمرِ عَروسًا، وَمما يَقولُه في موضعٍ آخرَ:

زُفَّـتْ إِلَـى أَكْـرَمِ خُـطَّـابِـهَا وشَـاحُـهَـا وَرْدٌ وَنِـسْـرِيـنُ

تَسْعَـى بِـهَا حَـوْرَاءُ فِي طَرْفِـهَا ضَحِـكٌ وَفِـي الْـمَضْحَـكِ تَـقْيِينُ

(73) والتخييلُ مِنْ أَهَمِّ سماتِ الشعـرِ، وَبِـهِ يَنمـازُ عَـنْ لغـةِ الكَلامِ العـاديِّ وَيُجـاوِزُهَـا، يَقـولُ د. **مُصطفَى نَاصف** – وَإِنْ كنتُ أُخالِفُه في مُبالغَته في تَبجيلِ الخيالِ –: «وَلَـيْسَ الشِّعرُ كُلهُ مُحتاجًا إِلَى العواطِفِ القويةِ، ولكنهُ مُحتاجٌ إِلَى أَنْ يَكُونَ خَلْقًا خَياليًّا، فَالـخَلْقُ الخيالِـيُّ

صِفتُـهُ الأُولى». ناصف، مصطفى. دراسة الأدب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ، ص 51.

(74) إسماعيل، عز الدين (1980م). **في الشعر العباسي (الرؤية والفن)**، دار المعارف، ص378، ومما يَستدِلُّ بهِ د. عِزُّ الدِينِ قَولُ أَبِي نُوَاسٍ:

قُـلْ لِـذِي الطَّـرْفِ الْخَلُـوبِ	وَلِـذِي الْـوَجْـهِ الْـغَضُـوبِ
وَلِـمَـنْ يُـثْـنِـي إِلَيْـهِ الْـ	ـحُسْـنُ أَعْنَـاقَ الْقُـلُـوبِ
يَـا قَضِيـبَ الْبَـانِ يَـهْـتَـزُّ	عَـلَـى دِعْـصٍ كَـثِـيـبِ
قَـدْ رَضِـيـنَـا بِسَـلَامٍ	أَوْ كَـلَامٍ مِـنْ قَـرِيـبِ
فَبِـرُوحِ الْـقُـدْسِ عِيسَـى	وَبِـتَـعْـظِيـمِ الصَّـلِيـبِ
قِـفْ إِذَا جِـئْـتَ إِلَـيْـنَـا	ثُـمَّ سَلِّـمْ يَـا حَـبِـيـبِـي!..

فالصِّفَاتُ التِي يُوصَفُ بِهَا الْمُذَكَّرُ فِي هَذِهِ الأَبيات هِيَ ذَاتُهَا الصِّفَاتُ التِي تُوصَفُ بِهَا الْمَرْأَةُ الحسْنَاءُ.

(75) نقلًا عن: هلال، محمد غنيمي (1997م). **النقد الأدبي الحديث** (ط 3)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص 395، 396.

(76) مِنْ ذَلِكَ مَثلًا قَوْلُ أَبِي نُواس ذَاتِهِ فِي مَوضِعٍ آخَرَ يَصِفُ سَاقِيَ الْخَمْرِ:

يُـدِيـرُهَـا قُـرْطَـقِـيٌّ فَـاتِـرٌ خَـنِـثٌ	**تَسقِيكَ آمَـاقُـهُ مِنْ طَرْفِهِ الرِّيَـبَا**

ديوانه بتحقيق إيفالد فاغنر: 3/ 405

وَقَوْلُ ابْنِ حَمدِيس فِي وَصْفِ الْخَمْرِ:

يَـا تَـارِكًـا رَاحًـا تُسَلِّي هَـمَّـهُ	هَـلَّا اتَّـقَـيْـتَ السُّـمَّ بِالـدُّرْيَـاقِ
وَتَـنَـاوَلَـتْ يُـمْـنَـاكَ نَـارًا لَـمْ تَـخَفْ	فِـي لَـمْسِهَـا لَـذْعًا مِـنَ الإِحْـرَاقِ
حَـمْـرَاءَ تَـشْـرَبُ بِـالأُنُـوفِ سُلَافَـهَا	**لُـطْـفًـا وَبِـالأَسْـمَـاعِ وَالأَحْـدَاقِ**

وَلْيُـرَاجِعْ مَنْ أَرَادَ مَـزِيدًا مِنَ الشَعَرَاءِ وَالنمَاذِجِ كِتابَ: الوصيفي، عبد الرحمن محمد (1424هـ – 2003م). **تراسل الحواس في الشعر العربي القديم** (ط 1). مكتبة الآداب، القاهرة.

(77) **ديوان أبي نواس**: ص 42.

(78) السابق: ص 107.

(79) أبو إبراهيم المعروف بالرقيق النديم، أبو إسحاق (1969م)، **قطب السرور في أوصاف الخمور**، تحقيق أحمد الجنديّ، المطبعة التعاونية، دمشق، ص 386، وانظر كذلكَ: خريس، حسين (1414هـ – 1994م). **حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه** (ط 1). مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 70، 71.

(80) انظر عبد العليم إبراهيم: الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة بدون تاريخ، ص 91.

(81) دراج، فيصل (1999م). **نظرية الرواية والرواية العربية** (ط 1). المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص 72.

(82) يقول د. محمد عناني: «التناص(intertextuality): معنى المصطلح هو العلاقة بين نصين أو أكثر، وهي التي تؤثر في طريقة قراءة النص المتناصِّ intertext، أي الذي تقع فيه آثار نصوص أخرى. فإذا كان التناص لا يقتصر على الآثار أو التَّضمين أو الأصداء، بل يمثل تمازجًا كبيرًا أطلق على الظاهرة تعبير transtextuality أي عبر النصية. وقد وضع جينيت مصطلحين هما hypertext للإشارة إلى النص المتأثر، وhypotext للإشارة إلى النص المؤثِّر. وكان السباقُ في هذا المجال دون ذكر المصطلح هو ميخائيل باختين الذي ألمح إلى تداخل الصور النصية في الرواية، واعتمدت عليه جوليا كريستيفا Julia Kristeva في وضع تعريفها التناص، وكذلك اعتمد عليه **رولان بارت**. وقد كتبَ ليون س. روديه Leon s . Roudiez في مقدمة كتاب (الرغبة في اللغة) Desire in Language الذي ترجمه عن جوليا كريستيفا ينعى سوء فهم هذا المصطلح بصفة عامة؛ إذ ينكر جانب تأثير كاتب في كاتب وفكرة مصادر العمل الأدبي، مؤكدًا أن المقصود به (تبادل مواقع نظم العلامات فيما بينَ النصوص)، أي إحلال نهج أسلوبي محل نهج، وأن ذلكَ هو ما كانت كريستيفا ترمي إليه في كتابها (ثورة اللغة الشعرية). ويتفق بارت مع هذا التفسير. ولما كان جل اهتمام هؤلاء النقاد منصبًّا على الرواية، فقد انبرى جون فراو John Frow لتوسيع نطاق التناص ليجعله مذهبًا يتعلق بأي نص أدبي، ولإقامة علاقة بين النص ونفسه، أي بينَ النص ونفسه، أي بينَ العمل الأدبي باعتباره نصًّا جديدًا وبينَ صورتهِ بوصفه نصًّا أدبيًّا رسميًّا أو معتمدًا. ومعنى ذلك إفساح مجالٍ أكبرَ لإيجابية

القارئ في تفهم النصِّ». عناني، محمد (2003م). **المصطلحات الأدبية الحديثة** (ط 3). الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، القاهرة، ص 46.47.

(83) انظر: عبد المطلب، محمد (1995م). **قراءات أسلوبية في الشعر الحديث**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 163.

(84) انظر: الغذامي، عبد الله محمد (1412هـ – 1991م). **الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر** (ط 2)، ص 13، وَفي ذَرْعِنَا أَنْ نَجِدَ لِمقُولَةِ رُولَان بَارت هَذِي نَسبًا أَوْ أَصْلًا في قَولَةِ ميخَائيل بَاختين: «لَيسَ هُناكَ مِنْ تَلفُّظٍ يُمكِنُ نسبتُهُ إِلَى المتكلِّم بصُورةٍ حَصْريَّةٍ، أَنَّه نِتَاجُ تَفَاعُلٍ بَينَ المتحَاورِينَ، بَلْ هُوَ، بِصُورةٍ أَكْثَرَ شُمولًا، نِتَاجٌ مُركَّبٌ مِنَ الوَضعِ الاجتماعيِّ الذِي حَصلَ عَليه». تودوروف، تزفيتان (1996م). **ميخائيل باختين المبدأ الحواري**، ترجمة فخري صالح. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 68، وفِي تراثنا الشعري إشارات أسبق من بارت وباختين، فقد قالَ **عنتَرَةُ بنُ شَدَّاد**:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ؟

كَما قالَ **زهيرُ بنُ أَبِي سُلْمَى**:

مَا أَرَانَا نَقُولُ إِلَّا مُعَارًا أَوْ مُعَادًا مِنْ قَوْلِنَا مَكْرُورًا

وَيُؤَكِّدُ هذَا التوارُدَ **أَبُو عَمْرو بنُ العلاء** لَمَّا سُئِلَ: أرأيتَ الشاعِرَيْنِ يَتفقَانِ وَيتوَارَدَانِ في اللفظِ، لَمْ يَلْقَ واحدٌ مِنهُما صَاحِبَهُ، وَلَمْ يَسْمَعْ بِشِعْرِهِ؟ فأجابَ قَائِلًا: «الشِّعْرُ جَادَةٌ، وَرُبَّمَا وَقَعَ الحافِرُ علَى الحافِرِ»، طَبَانَة، بدَوي (1986م)، **السرقات الأدبية دراسة في انتحال الأعمال الأدبية وتقليدها**، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 4.

(85) انظر: دي بوجراند، روبرت (1428هـ – 2007م). **النص والخطاب والإجراء**، من ص 103 حتى ص 105.

(86) انظر مثلًا ما كتبته الباحثة **آلاء عزام**، في أطروحتها للماجستير (عودة، آلاء عزام عبد الوهاب. **الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في شعر أبي نواس**. أطروحة (ماجستير)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين)، وهذه الأطروحة متاحة على شبكة المعلومات (الإنترنت).

(87) انظر **ديوان أبي نواس**، ص 90، 91.

(88) انظر الدينوري، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم (2017م). **الشعر والشعراء**. تحقيق أحمد محمد شاكر، الهيئة العامة لقصور الثقافة (سلسلة الذخائر 234)، القاهرة، ج1/ 129.

(89) رُوِيَتْ هَذِهِ المقولَةُ عَنْ عُمَرَ بنِ الخطابِ – رَضِيَ **الله** عنهُ – بِصِيَغٍ مُختلفَة، فَقَدْ رَوَاهَا **ابنُ تَيمية** في منهَاجِ السنة النبوية، فقالَ: «وَقَدْ كَانَ عُمَرُ – رَضِيَ **اللَّهُ** عَنْهُ – يَقُولُ: (**اللَّهُمَّ إلَيْكَ أَشْكُو جَلَدَ الْفَاجِرِ وَعَجْزَ الثِّقَةِ**)، **وَمَا سَاسَ الْعَالَمَ أَحَدٌ مِثْلُ عُمَرَ، فَكَيْفَ الظَّنُّ بِغَيْرِهِ**؟. وَأَورَدَهَا كَذلكَ **ابنُ الجوزيِّ** في كتابِ (مَناقِبُ عُمرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ **الله** عنهُ) في نهايةِ البابِ الحادي والأَربعينَ: (في ذِكْرِ مُلاحظته لِعماله وَوصيته لَهم وَالبحْث عَنْ أَحوالِهم)، بِهذهِ الصيغَةِ: «**وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ**: (**أَشْكُو إِلَى الله جَلَدَ الْخَائِنِ وَعَجْزَ الثِّقَةِ**)»، ابنُ الجوزيِّ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري). **مَناقِبُ عُمرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ الله عنهُ**، دار ابن خلدون، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص 117.

(90) لا يتسع المقام لمناقشة هذه المقولة، ولعل أهم ما يضعفها اضطراب روايتيها وتناقضهما بين ابن قتيبةَ والمرزباني.

(91) د. حُسين خريش: حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه، ج2/ 95.

(92) السابق: الصفحة نفسها.

(93) ديوان أبي نواس: 3/ 317، 318.

(94) **مُـتَشَاجٍ**: عَلَى وَزْنِ متفاعل، مِنَ الشَّجَا؛ أَيْ مُـتشَبِّـهٌ بِمَنْ قَـدْ شَجَاهُ الْـحُـبُّ.

(95) وَلَا يَقدَحُ في ذَلِكَ أَنَّنِي سَميتُهما خَمريتَين في عُنوَانِ الدرَاسَة؛ فَلقَدْ جَرَيْتُ عَلَى مَا في ديوَانِ أَبِي نُواسٍ ذَاتِهِ مِنْ تَسميتِهِمَا خَمريتَيْنِ أَوَّلًا، وَلَـمْ أَشَأْ أَنْ أُقَدِّمَ نَتيجَةً مِنْ نَـتَائِجِ الدِّرَاسَةِ قَـبْلَ تَسوِيغِهَا ثَانيًا، وَرَأْيِـي هَذَا اقتِرَاحٌ أَوْ هُوَ اجْتِهَادٌ قَدْ يُصِيبُ وَقَدْ يُـخطِئُ ثَالِثًا.

(96) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (2008م). **لسان العرب** (ط 6). دار صادر، بيروت، ج 11 – 12/ ص 46.

(97) التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس البغدادي (1408هـ – 1998م). **البصائر والذخائر** (ط 1). تحقيق الدكتورة وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ج 9/ 25.

(98) إبراهيم، عبد الله (1999م). **الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة**، ص 149، وكذلك يحيى حقي: **فجْر القصة المصرية**، ص44،

حيث يقولُ الأستاذُ **يَحيى حقي** عَن رِوَايَـةِ (زَينَب) للدكتور **مُحمَّد حُسَيْن هَيكل**: «**هِيَ أَوثَقُ** الصلةِ بِالفكْرِ الأُوربِّـيِّ .. وَهِيَ مصدَاقٌ لِغَلبَةِ الطَّابَعِ الفَرنسِيِّ عَلَى مَولِدِ الأَدَبِ الحديثِ عِندَنَا... وَهِيَ أَخيرًا ثَمرَةُ قِرَاءةِ **بُول بُورجيه وهنري بُورْدُو – وَلَا أَقُول إميل زُولا – في** استطْرَادِ السَّرْدِ وَقِلَّةِ الحفَاوَةِ بِالحوَارِ، وَإِقَامَةِ القِصَّةِ عَلَى عَمودِ الحبِّ وَالدوَرَانِ حَولَهُ».

(99) انظر إبراهيم، عبد الله، والغانمي، سعيد، وعلي، عواد (1996م). م**عرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة**، ص 12، 13.

(100) **ديوان أبي نواس**: 3/64.

(101) **ديوان أبي نواس**: 3/109 .

(102) **ديوان أبي نواس**: 3/130.

(103) **ديوان أبي نواس**: 3/157.

(104) **ديوان أبي نواس**: 3/183.

(105) **ديوان أبي نواس**: 3/92.

(106) **التضمينُ**: عيب من عيوب القافية، قال **الدماميني**: «وفسروا التضمينَ بأن تتعلق قافية البيت الأول بالبيت الثاني، كقول النابغة:

وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظَ إِنِّي

شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ وَثِقْنَ لَهُمْ بِحُسْنِ الظَّنِّ مِنِّي»

قال الشريف: (وإنما سُمِّيَ تضمينًا لأنكَ ضمنت البيت الثاني معنى البيت الأول، لأن الأولَ لا يتم إلا بالثاني) . الدماميني، بدر الدين أبو عبد **الله** محمد بن أبي بكر (1415هـ – 1994م). **العيون الغامزة على خبايا الرامزة** (ط 2)، تحقيق الحساني حسن عبد **الله**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 170، 171.

(107) مصلوح، سعد عبدالعزيز (1424هـ – 2004م). **في النقد اللساني المعاصر دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف** (ط 1). عالم الكتب، القاهرة، ص 225.

(108) **ديوان علي الجارم**، (1406هـ – 1986م). (ط 1). دار الشروق، القاهرة، ص 336.

(109) وَلَطَالَمَا دَلَّ الدعَاءُ لعهُودٍ مَضَتْ – في شِعْرِنَا العَرَبِيِّ – عَلَى حَنينٍ، وَتَحسُّرٍ؛ فَالشُّعَرَاءُ يَدعُونَ بِالسُّقْيَا لِلزَّمَنِ إِذَا حَنُّوا إِلَيْهِ، أَوْ تَحَسَّرُوا عَلَيْهِ يَأْسًا مِنْ عَودَتِهِ، كَقَوْلِ قَيْسِ بنِ الملوّحِ:

سَقَى اللهُ أَيَّامًا لَنَا لَسْنَ رُجَّعًا وَسُقْيَا لِعَصْرِ الْعَامِرِيَّةِ مِنْ عَصْرِ

لَيَالِيَ أَعْطَيْتُ الْبَطَالَةَ مِقْوَدِي تَمُرُّ اللّيالِي وَالشُّهُورُ وَلَا نَدْرِي

وَمِنْهُ قَولُ لِسَانِ الدينِ بنِ الْخَطِيبِ فِي مُوشَّحتِهِ الذائِعَةِ:

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى يَا زَمَانَ الْوَصْلِ بِالْأَنْدَلُسِ

لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إِلَّا حُلُمًا فِي الْكَرَى أَوْ خِلْسَةَ الْمُخْتَلِسِ

وَقَوْلِ ابنِ زَيدُون لِوَلَّادَةَ:

لِيُسْقَ عَهْدُكُمُ عَهْدُ السُّرُورِ فَمَا كُنْتُمْ لِأَرْوَاحِنَا إِلَّا رَيَاحِينَا

المراجع

إبراهيم، عبد الله. (1999م). *الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة* (ط.1). المركز الثقافي العربي.

إبراهيم المعروف بالرقيق النديم، أبو إسحاق. (1969م). *قطب السرور فِي أوصافِ الخمور*. تحقيق: أحمد الجنديّ، المطبعة التعاونية.

إبراهيم، عبد الله، والغانمي، سعيد، وعلي، عواد. (1996م). *معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة* (ط. 2). المركز الثقافي العربي.

ابن الأثير، ضياء الدين. (د.ت). *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر* ج 3. قدمه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

إسماعيل، عز الدين. (1980م). *فِي الشعر العباسي (الرؤية والفن)*. دار المعارف.

أوكونور، فرانك. (1983). *الصوت المنفرد (مقالات في القصة القصيرة)*. ترجمة الدكتور: محمود الربيعي، مكتبة الشباب.

برنس، جيرالد. (2003م). *قاموس السرديات*. ترجمة: السيد إمام، ميرت للنشر والمعلومات.

التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس البغدادي. (1998م). *البصائر والذخائر*. تحقيق: الدكتورة وداد القاضي، دار صادر.

تودوروف، تزفيتان. (1996م). *ميخائيل باختين المبدأ الحواري*. ترجمة: فخري صالح. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (2003م). *البيان والتبيين*. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة (الذخائر 85).

ابنُ الجوزِيِّ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري. (د.ت). *مَناقِبُ عُمرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ الله عنهُ*. دار ابن خلدون.

حَاوِي، إيليا. (1997م). *فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب*. دار الثقافة.

حسن، عباس. *النحو الوافي* (ط. 11). دار المعارف.

حمودة، عبد العزيز. (2001م). *المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية*. سلسلة (عالم المعرفة، رقم 272)، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب.

خريس، حسين. (1994م). *حركة الشعر العباسي فِي مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه*. مؤسسة الرسالة.

خطابـي، محمد. *(2006م). لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب* (ط. 2). المركز الثقافي العربي.

دراج، فيصل. (1999م). *نظرية الرواية والرواية العربية*. المركز الثقافي العربي.

الدماميني، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. (1994م). *العيون الغامزة على خبايا الرامزة* (ط. 2). تحقيق: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي.

دي بوجراند، روبرت. (2007م). *النص والخطاب والإجراء* (ط. 2). ترجمة: تمّام حسان، عالم الكتب.

الدينوري، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم. (2017م). *الشعر والشعراء*. تحقيق: أحمد محمد شاكر، الهيئة العامة لقصور الثقافة (سلسلة الذخائر 234).

ديوان الأعشى الكبير: ميمون بن قيس بن جندل (2010م). تحقيق: محمود إبراهيم الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث.

ديوان جميل بثينة (1402هـ - 1982م). دار بيروت للطباعة والنشر.

ديوان الحطيئة برواية ابن السكيت (1995م). شرحه وقدم له ووضع هوامشه وفهارسه: الدكتور حنَّا نصر الحِتِّي، دار الكتاب العربي.

ديوان علي الجارم، (1986م). دار الشروق.

ديوان عنترة بشرح الخطيب التبريزي (1992م). قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي.

ديوان أبـي نواس (1988م – 1408 هـ) ج 3. تحقيق: إيفالد فاغنر، دار النشر فرانز شتاينر فيسبادن بشتوتغارت.

سويدان، سامي. (1999م). *فِـي النص الشعري العربي مقاربات منهجية* (ط. 2). دار الآداب.

الصكر، حاتم (2010م). *مرايا نرسيس الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة*. المجلس الأعلى للثقافة.

ضيف، شوقي. *التطور والتجديد فِـي الشعر الأموي* (ط. 9). دار المعارف.

طَـبَـانَـة، بـدَوي. (1382هـ - 1963م). *التيارات المعاصرة في النقد الأدبي*. مكتبة الأنجلو المصرية.

طَـبَـانَـة، بـدَوي. (1986م). *السرقات الأدبية دراسة في انتحال الأعمال الأدبية وتقليدها*. دار الثقافة.

عبد المطلب، محمد. (1995م). *قراءات أسلوبية فِـي الشعر الحديث*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عطوان، حسين. (1997م). *الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية* (ط. 3). دار الجيل.

العقاد، عباس محمود.(د.ت). *أبو نواس الحسن بن هانئ*. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

علام، عبد الواحد. (1990م). *اتجاهات نقد الشعر في مصر (1940م - 1965م)* (ط.3). مكتبة الشباب.

عناني، محمد. (2003م). *المصطلحات الأدبية الحديثة* (ط.3). الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان).

عودة، آلاء عزام عبد الوهاب. *الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في شعر أبي نواس*. أطروحة (ماجستير) - جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين.

الغذامي، عبد الله محمد. (1991م). *الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية. قراءة نقدية لنموذج معاصر*. (ط. 2). (د. ن).

القرطاجني، أبو الحسن حازم. (2008م). *منهاج البلغاءِ وسراج الأدباء* (ط.3). تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب.

لودج، ديفيد. (2002م). *الفن الروائي*. ترجمة: ماهر البطوطي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، المشروع القومي للترجمة (عدد 288).

مصلوح، سعد عبدالعزيز. (2004م). *في النقد اللساني المعاصر. دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف*. عالم الكتب.

الملائكة، نازك. (2002م). *قضايا الشعر المعاصر* ج. 1. ضمن كتاب الأعمال النثرية الكاملة، المجلس الأعلى للثقافة.

الملائكة، نازك. (2002م). *مقدمة ديوان (شظايا ورماد)* ج. 1. ضمن كتاب الأعمال الشعرية الكاملة، المجلس الأعلى للثقافة.

ابـن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (1924م). *أخبار أبي نواس (تاريخه، نوادره، شعره، مجونه)*. شرحه وضبطه: محمد عبد الرسول إبراهيم، عُنيَ بنشره: عباس الشربيني بدار الكتب المصرية، مطبعة الاعتماد.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (2008م). *لسان العرب* (ط. 6). دار صادر.

ناصف، مصطفى. (د.ت). *دراسة الأدب العربي*. الدار القومية للطباعة والنشر.

النويهي، محمد. (1971م). *قضية الشعر الجديد* (ط. 2). دار الفكر، ومكتبة الخانجي.

النويهي، محمد. (1970م). *نفسية أبي نواس* (ط .2). مكتبة الخانجي.

هلال، محمد غنيمي. (1997م). *النقد الأدبي الحديث* (ط. 3). نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

الوصيفي، عبد الرحمن محمد. (2003م). *تراسل الحواس فِي الشعر العربي القديم*. مكتبة الآداب.

Abstract

In this study, the researcher wanted to prove the competence of the linguistic approache in reading the literary text, and to clear its literature. This study consisted of a preface, two subjects and a conclusion, but the **preface** was a review of some of the other entries that were interested in the art of wine in Arabic poetry, such as: (historical, psychological, and structural), and some of the shortcomings in which these approaches occurred. **The first thesis** was concluded to read the first poem through the dominant narrative technique of the construction of that poem, and the role of linguistic levels (lexical, morphographic, structural, and pictorial) in the construction of the narrative of that text and the realization of its literature the similarities and paradoxes between two poems generated to show by the different purpose of the two texts, which was the most important difference between the two poems, followed by other paradoxes; Then, **the conclusion** was an invitation to the scholars to pay attention to the texts of their Arab heritage, and to devote them to share their efforts and research. The texts are still waiting. for more vertical readings, and the researcher may have seduced them when the researcher referred to a third poem by Abu Nawas, whose purpose differed, and the means of its formation differed.

Key words: (Abbasid poetry - Abu Nawas, The Wines, Narration, Dialogue).

The Author:

Dr. Kamal Mohamed El Sayed Mohamed Abd-Elbar

- Doctorate in literary studies.
- Teacher at the Faculty of Dar Al-Uloom- Cairo University.
- Specialization: Modern literature - Meta Criticism.
- Mailing address: Faculty of Dar Al-Uloom, Cairo University, Department of Literary Studies.

Publications:

A. Thesis:

1- **"Poem Najib Kelani: Vision and Procedure".**(Master's) Thesis- Cairo University, Dar Al-Uloom, Department of Literary Studies, 2009.

2- **"Contemporary Trends in the Approach of the Modern Poetic Text in Egypt during the Second Half of the Twentieth Century"**. (Ph.D.) Thesis- Cairo University, Dar Al-Uloom, Department of Literary Studies, 2015.

B. Books:

1- **"Critics' Approaches to Modern Poetic Script in Egypt during the Second Half of the 20th Century",** NOOR Publishing, 2017 .

2- **In Abbasid Literature:, A Historical Introduction** An Educational Book for the Students of Dar Al-Uloom.

3- **"Andalisiat: Reading in Poetry and Anthology".** An Educational Book for the Students of Dar Al-Uloom.

C. Articles:

1- **"Rhythm in Siaab Poetry by Dr. Sayed Al-Bahrawi: Critical Accountability",** Journal of the Faculty of Dar Al-Uloom- Cairo University, Special Edition 2015.

2- **"Symbol and Image in Criticism of Dr. Ahmed Darwish: Readings two Readings),** Dar Al-Uloom- Cairo University, Special Edition 2015.

3- **Critical Discourse and the Concept of Experimentation: The Rhythm of the Seventies Text as a Model",** Al-Andalus Journal, Special Edition, April 201

Doi 10.34120/0757-044-633-001
Monograph (633)

Dialectic of Narrative and Dialogue (Reading in Two Wine Poems by Abu Nowas)

Kamal Mohamed El Sayed M. Abd-Elbar,Ph.D.
Faculty of Dar Al Uloom - Cairo University
Egypt

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES - KUWAIT UNIVERSITY

Editorial Board

- **Prof. Taghreed Alqudsi**
  Editor - in - Chief
  Department of Information Studies
  Kuwait University
- **Prof. Baqer Salman Alnajjar**
  Bahrain University - Bahrain
  Visiting Prof. Sociology and Social Service Department - Kuwait University
- **Prof. Numan M. Jubran**
  Irbid University - Jordan
  Visiting Prof. History Department - Kuwait University
- **Prof. Adnan Y. Alotoum**
  Psycology Department - Yarmouk University - Jordan
- **Prof. Mashael Al-Hamly**
  English Department and Literature
  Kuwait University
- **Dr. Abdullah Mohamed Aljasmy**
  Philosophy Department
  Kuwait University
- **Dr. Ibraheem Nagy Al-Hadban**
  Department of Political Science
  Kuwait University
- **Dr. Ahmed Mubarak AlHasem**
  Geography Department
  Kuwait University
- **Dr. Asad H. AL-Saleh**
  Arabic Department
  Indiana University - USA
- **Maha Ibrahim Al-Msad**
  Editorial Manager

Advisory Board

- **Prof. Basil Hatim**
  American University
  Sharjah - United Arab Emirates
- **Prof. Ibrahim Al-Sa'afin**
  Department of Arabic Language and Literature - Jordan University
- **Prof. Hamdi Hasan Abul Enein**
  Faculty of Mass Communication
  Misr International University
- **Prof. Sari Hanafi**
  President of the International Sociological Association - American University- Beirut
- **Prof. Mona Baker**
  Manchester University
  United Kingdom
- **Prof. Abdul Qader Al-Fasi Al Fehri**
  Department of Arabic Language and Literature -Mohammed V University
- **Prof. Abdullah Al-Walee'i**
  Geography Department
  King Saud University
- **Prof. Ma'moun Fandi**
  Director of London Institute of Strategic Studies - United Kingdom

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

Academic Publication Council - Kuwait University

REFEREED SCIENTIFIC QUARTERLY IN THE HUMANITIES, SOCIAL SCIENCES & LITERATURE

Volume 44, 2023

Rates:

Kuwait: K.D. 0.500, Bahrain: BD 1, Qatar: RQ 10, Emirates: DH 10,
Saudi Arabia: RS 10.

Cost per issue in Arab Countries: Equivalent to one US dollar

Cost per issue in other Countries: Equivalent to three US dollar

● Annual Subscription (individuals):

1 Year: Kuwait: 4 K.D., Arab Countries: 6 K.D., Foreign Countries 22 dollars.
2 Year: Kuwait: 7 K.D., Arab Countries: 10 K.D., Foreign Countries 37 dollars.
3 Year: Kuwait: 10 K.D., Arab Countries: 14 K.D., Foreign Countries 52 dollars.
4 Year: Kuwait: 13 K.D., Arab Countries: 18 K.D., Foreign Countries 67 dollars.

● Annual Subscription (institutions):

1 Year: Kuwait: 22 K.D., Arab Countries: 22 K.D., Foreign Countries 90 dollars.
2 Year: Kuwait: 37 K.D., Arab Countries: 37 K.D., Foreign Countries 150 dollars.
3 Year: Kuwait: 53 K.D., Arab Countries: 53 K.D., Foreign Countries 210 dollars.
4 Year: Kuwait: 67 K.D., Arab Countries: 67 K.D., Foreign Countries 270 dollars.

All correspondence and enquiries must be addressed to:

Editor

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES
P.O.BOX 17370 EL-KHALDIAH - KUWAIT 72454
Tel: 24830256 - Fax: 24830256
ISSN 1560-5248 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab
E-mail: aass@Ku.edu.Kw
http:// apc. kuniv.edu.kw/AASS/

تتوفر نصوص البحوث كاملة لدى:
EBSCO Publishing Products
دار المنظومة: www.mandumah.com
UIrich's Periodicals Directory 263117

The Publications of The Academic publiction Council

journal of the Social Sciences 1973, Kuwait Journal of Science and Engineering 1974, journal of the Gulf and Arabian Peninsula Studies 1975, Authorship Translation and Puplication Committee 1976, Journal of law 1977, Annals of the Arts and Social Sciences 1980, Arab Journal for the Humanities 1981, The Sducational Journal 1983, Journal of Sharia and Islamic Studies 1983, Arab Journal of Administrative Sciences 1991.

ANNALS OF THE
ARTS AND SOCIAL SCIENCES

A Refereed Academic Quarterly, Academic Publication Council - University of Kuwait

جَـــدَليَّـــةُ الســـرد وَالحِـــوَار
قِـراءةٌ فِـي خَـمْريتيْنِ لِأَبِـي نُواس

Dialectic of Narrative and Dialogue
(Reading in Two Wine Poems by Abu Nowas)

Kamal Mohamed El Sayed M. Abd-Elbar, Ph.D.
Faculty of Dar Al Uloom - Cairo University
Egypt

جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

Academic
Publication Council

ISSN: 1560 - 5248

Monograph 633 - Volume 44

1445 A.H / December 2023